جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية

Mohmmad Bin Ali Assanosi University

مجلة اليعربي

للدراسات اللغوية والأدبية والمكتبية

مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن كلية اللغة العربية

بجامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية

العدد الثاني

2019

مجلة العربي

للدراسات اللغوية والأدبية والمكتبية

مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن كلية اللغة العربية

بجامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية

مجلة اليعربي للدراسات اللغوية و الأدبية و المكتبية

مجلة دورية محكمة تصدر عن جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية

العدد الثاني

هيئة التحرير

المشرف العام : د. محمد عبد الحميد جار الله

رئيس التحرير : د. علي محمد عيسى الشاظوف

مديرة التحرير: أ.نسيبة سعد الفيتوري

منسق المجلة :أ. ريم سليمان يوسف

مدقق لغوي أ- سليمان رجب العقاب

****

الهيأة الاستشارية للمجلة

1- دكتور سليمان حسن زيدان . أستاذ مشارك رئيساً

2- دكتور حسين نوح بدر . أستاذ مساعد عضواً

3- دكتور محمد حامد خالد . أستاذ مساعد عضواً

4- دكتورة رحاب محمد عيسى. أستاذ مساعد عضواً

5- دكتورعاطف عبدالرحمن مخلوف. محاضر عضواً

6- أستاذة أسماء سعد المعداني . محاضر مساعد عضواً

****

الإخراج الفني

أ- أحمد الناجي بوزهره

رقم الإيداع (2018/399 دار الكتاب الوطنية)

التواصل مع المجلة

الموقع الالكتروني للجامعة: www.ius.edu.ly

البريد الإلكتروني للمجلة:falj@ius.edu.ly

هواتف هيئة التحرير:

رئيس التحرير: **0918479715**

مدير التحرير: **0911731416**

التعريف بالمجلة..

مجلة اليعربي مجلة علمية أكاديمية متخصصة محكمة إلكترونية تصدر كل ستة أشهر باللغة العربية عن كلية اللغة العربية بجامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية بمدينة البيضاء ليبيا، وتختص بنشر الأبحاث العلمية الأصيلة في المجالات اللغوية والأدبية وفي تخصص علم المكتبات والمعلومات لأعضاء هيأة التدريس و الباحثين في الجامعات الليبية و العربية ،وكذلك تهتم بنشر بحوث التخرج المتميزة بالكلية ،وملخصات الرسائل العلمية إضافة إلى كتابة تقارير عن المؤتمرات العلمية والندوات وورش العمل بالكلية .

الرؤية: تأمل مجلة اليعربي في تحقيق النقلة النوعية و ذلك بطرح كل ما هو جديد ومبتكر و متميز في مجال الدراسات اللغوية والأدبية وعلم المكتبات و المعلومات من خلال استقبال البحوث الجادة والتي ترقى بالمستوى العلمي المتميز.

الرسالة: نشر الأبحاث العلمية التي تتوافر فيها الجدة و الأصالة، والمنهجية السليمة المبنية على الدقة و المصداقية بما يضمن الجودة والتميز.

أهداف المجلة..

مجلة اليعربي مجلة علمية أكاديمية متخصصة محكمة إلكترونية تهدف إلى :

1: نشر الدراسات العلمية المحكمة في مجال الدراسات اللغوية والأدبية وعلم المكتبـــــات و المعلومات التي لم يسبق نشرها باللغة العربية.

2: تلبية حاجة الباحثين و طلاب العلم محلياً، وعربياً في مجال الدراسات اللغوية و الأدبية، والمكتبات و المعلومات.

3: إبراز جهود الباحثين من خلال نشر النتاج العلمي الخاص بهم من داخل الكلية و خارجها.

4:توثيق الروابط الفكرية، ونشر الثقافة العلمية بين الباحثين لتحقيق التواصل العلمي والفكري و الثقافي.

5:إثراء المكتبة العلمية و العربية في مجال دراسات اللغة العربية، و المكتبات.

المشرف العام: الدكتور محمد عبد الحميد جار الله.

هيأة التحرير..

هيأة التحرير تتكون من :

رئيس التحرير	**الدكتور علي محمد الشاظوف.**
مدير التحرير	**الأستاذة نسيبة سعد الفيتوري .**
منسق التحرير	**ريم سليمان يوسف .**

مهام رئيس التحرير

وهو المسؤول التنفيذي للمجلة ومن مهامه:

1: رسم سياسة المجلة و اتجاهات عملها بعد مناقشتها مع هيأة التحرير.

2: رئاسة أسرة تحرير المجلة.

3:توزيع الاختصاصات على كل عضو من أفراد هيأة التحرير على ضوء ما يراه مناسباً.

4: التوقيع و الختم على الأوراق الرسمية و مراسلة الجهات ذات العلاقة بالمجلة.

5:الاتصال المباشر برئيس الجامعة.

6:إصدار القرار النهائي بصلاحية نشر البحوث أو عدم نشرها بعد مرورها بمرحلة التقييم.

7:إعطاء الإذن بصدور العدد بعد تجهيزه.

8:المشاركة باسم المجلة في المؤتمرات والندوات داخل الجامعة وخارجها.

مدير التحرير

وهو المسؤول عن تجهيزات و إعداد المجلة و يختاره رئيس التحرير ويرتبط به إدارياً .

.مهام و اختصاصات مدير التحرير

1: ينوب عن رئيس التحرير في حالة غيابه.

2:إحالة البحوث المجاز نشرها إلى متخصصين لغويين لمراجعتها و تصحيحها لغوياً.

3:الاعتماد النهائي للمادة العلمية قبل العرض على رئيس التحرير.

4:متابعة سير العمل بالمجلة وفقاً لسياسة المجلة وتوجيهات رئيس التحرير.

5:تحديد قائمة التوزيع وتنفيذها واعتمادها من قبل رئيس التحرير.

6:مباشرة الأعمال الإدارية اللازمة لصدور المجلة في الموعد المحدد.

7: تنظيم إجراءات الإصدار بدءاً من استقبال البحوث وإعدادها للنشر وطباعة الإصدار.

8:التنسيق مع جهات الطباعة و النشر و مراجعة المسودة النهائية لإعداد المجلة قبل اعتمادها.

9: الإشراف على متابعة تنسيق العمل مع مقدم البحث.

منسق التحرير

هو المسؤول عن الطباعة والتنظيم وتنسيق المواضيع بالمجلة ويرتبط مباشرةً بمدير التحرير.

مهام منسق التحرير

1. حفظ الأوراق والرسائل والبحوث (أرشيف المجلة).
2. إعداد ما يلزم للتقييم من رسائل ونماذج .

3. الردود على تساؤلات الباحثين إلكترونياً ومكاتبة أصحاب البحوث بعد الرجوع إلى مدير التحرير .
4. أي مهام أخرى يكلف بها من قبل مدير التحرير .

الهيأة الاستشارية..

تتألف هيأة المستشارين من الأساتذة المتميزين في مجالاتهم التخصصية من داخل الجامعة وخارجها على أن يجتمع أعضاؤها بشكل دوري بطلب من رئيس التحرير ، وتتكون من ستة أعضاء من الأساتذة ذوي الكفاءة والخبرة العلمية والعملية ، وتتكون الهيأة الاستشارية للمجلة من :

1- دكتور سليمان حسن زيدان .	أستاذ مشارك	رئيساً
2- دكتور حسين نوح بدر .	أستاذ مساعد	عضواً
3- دكتور محمد حامد خالد .	أستاذ مساعد	عضواً
4- دكتورة رحاب محمد عيسى.	أستاذ مساعد	عضواً
5- دكتور عاطف عبد الرحمن مخلوف .	محاضر	عضواً
6- أستاذة أسماء سعد المعداني .	محاضر مساعد	عضواً

مهام الهيأة الاستشارية .

1. تقديم التوصيات حيال المواد العلمية المراد نشرها .
2. تقديم التوصيات حيال الإخراج الفني للمجلة .
3. تقديم التوصيات المتعلقة بتجديد وتطوير المجلة علمياً وإدارياً .

شروط كتابة البحث العلمي بمجلة اليعربي العلمية..

1- ملخص البحث يكون باللغة العربية و الإنجليزية .
2- المقدمة وتشمل الآتي:(نبذة عن موضوع الدراسة "مدخل" -أسباب اختيار الموضوع-الأهداف-الدراسات السابقة-المنهج العلمي) .
3- الخاتمة وتشمل أهم نتائج البحث و التوصيات.
4- قائمة المصادر والمراجع.
5- عدد صفحات البحث لاتزيد عن(35)صفحة ولاتقل عن(15)صفحة متضمنة الملاحق، والهوامش، وقائمة المصادر والمراجع.
6- أن يكون البحث قد تمت مراجعته لغوياً.

ضوابط النشر في المجلة..

أولاً:الضوابط العامة..

1-تنشر المجلة الأبحاث والدراسات الأكاديمية في مجال اللغة العربية والمكتبـــــات و المعلومات باللغة العربية.
2-تنشر المجلة البحوث التي تتوافر فيها الأصالة والابتكار، واتباع المنهجية الصحيحة والتوثيق العلمي مع سلامة الفكر واللغة والأسلوب، وألا يكون البحث مقتبساً أو مستلاً من رسالة أخرى أو كتاب آخر.
3-ترسل البحوث المقدمة لمحكمين متخصصين تختارهم هيئة التحرير بشكل سري، وللمجلة أن تطلب إجراء تعديلات على البحث حسب رأي المحكمين قبل اعتماد النشر.
4-لا يجوز إعادة نشر أبحاث المجلة في أي مطبوعة أخرى إلا بإذن كتابي من رئيس التحرير.
5-يلتزم الباحث عند تقديم بحثه للمجلة بتوقيع تعهد بأن البحث المقدم لم يسبق نشره،ولا يحق له عند قبول بحثه للنشر أن ينشره في مجلة أخرى.

6-يقدم الباحث بحثه في موقع المجلة الإلكتروني، ويشترط في البحث المقدم أن يكون الملخص باللغة العربية و الإنجليزية ولا يزيد عن(200) كلمة.

7-يشترط كتابة اسم الباحث كاملاً باللغة العربية(رباعياً) وكذلك الجنسية وبلد الإقامة والدرجة العلمية و جهة العمل والتخصص العام والتخصص الدقيق و الهاتف و البريد الإلكتروني.

ثانياً: الضوابط الفنية:

1- يستعمل لمتن البحث خط(simplified arabic)حجم(13)للغة العربية، مع ترك مسافة مفردة بين الأسطر.

2- تثبت هوامش البحث ومراجعه في نهاية البحث على النحو الآتي: يثبت المصدر بذكر اسم المؤلف كاملاً، ثم يذكر عنوان الكتاب ،ودار النشر ومكانها، وتاريخ النشر ثم رقم الصفحة و في حالة استخدام الدوريات والمجلات كمرجع للبحث، يجب ذكر اسم المقالة كاملاً ثم يوضع عنوانها، ثم يذكر اسم المجلة، ثم رقم العدد ورقم الصفحة أما إذا كان المرجع رسالة علمية لم تطبع فيتبع في توثيقها الآتي(اسم المؤلف ثم عنوان الرسالة، ثم درجة الرسالة "رسالة ماجستير أو دكتوراه بين قوسين ،ثم مكانها ثم البلد و القسم و الكلية والجامعة و السنة .

وإذا كان المرجع من الشبكة العنكبوتية فيتحرى دقة التوثيق ويستحسن اختصار الحواشي إلى أقصى حد ممكن ويشار إليها بأرقام متسلسلة ضمن البحث ،ومن ثم تكون مرقمة حسب التسلسل في نهايته

3- تكتب الآيات القرآنية وفق رسم المصحف الإلكتروني، ويتم تخريجها في صلب النص أما تخريج الأحاديث النبوية فيكون ضمن تسلسل الهامش.

4- ترتب المراجع العربية في نهاية البحث هجائياً بقائمة مستقلة ،والمراجع الأجنبية بقائمة مستقلة أخرى أسفل منها.

5- في حالة اختيار الصفحة مقاس (A4)تكون هوامش الصفحة يمين ويسار "4.2"وأعلى وأسفل"4سم"

6- عرض النص في المجلة هو"12.6"سم،لذا يجب الابتعاد عن الجداول الكبيرة، والصور غير القابلة للتصغير.

7- عند طباعة النصوص يرجى التقيد بالآتي:

- ترك مسافة بادئة في أول كل فقرة "1.27"سم،مع اختيار خاصية "ضبط" للنصوص
- عدم ترك فراغات بين النصوص وعلامات الترقيم التي تليها، فمثلاً الفاصلة والفاصلة المنقوطة والشارحة والشرطة المائلة وعلامة الاستفهام والتعجب، وما على شاكلتها من علامات الترقيم الفردية على أن يترك الفراغ بعدها مباشرة مثل: -مجلة اليعربي العلمية، -مجلة اليعربي العلمية؛ -مجلة اليعربي العلمية: -مجلة اليعربي العلمية/ -مجلة اليعربي العلمية؟ -مجلة اليعربي العلمية!

(ج)إجراءات النشر ..

تتم مراسلة مجلة اليعربي-البيضاء ،إلى العنوان الآتي

1- يرسل البحث إلى البريد الإلكتروني للمجلة :falj@ius.edu.ly

أو يرسل البحث إلى مقر المجلة (كلية اللغة العربية بجامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية –البيضاء)على ثلاث نسخ ورقية، مع نسخة على قرص ليزري CDنوع الملف (PDF-Word)يضم المادة العلمية للبحث كاملة مخزنة على (Microsoft Word 2007)

2-يرفق مع البحث نموذج تقديم ورقة بحثية للنشر (موجود على موقع المجلة) وكذلك إرفاق موجز للسيرة العلمية للباحث(معتمد من جهة العمل التابع لها).

3-تصدر المجلة بشكل نصف سنوي.

4-لا يستلم العمل العلمي إلا بشروط مجلة اليعربي-البيضاء.

5-تخضع جميع البحوث المرسلة إلى المجلة لفحص أولي تقوم به هيأة التحرير، و ذلك لتقرير أهلية البحث للتحكيم، ويحق لها الاعتذار عن قبول البحث، دون إبداء الأسباب.

6-في حال قبول البحث مبدئياً يتم عرضه على محكمين من ذوي الاختصاص في مجال البحث، ويتم اختيارهم بسرية تامة، ولا يعرض عليهم اسم الباحث وبياناته، وذلك لإبداء آرائهم حول مدى أصالة البحث، وقيمته العلمية، ومدى التزام الباحث بالمنهجية المتعارف عليها، ويطلب من المحكم تحديد مدى صلاحية البحث للنشر في المجلة من عدمها، وفق النموذج المعد للتقييم.

7-يخطر الباحث بقرار صلاحية بحثه للنشر من عدمها حال إتمام إجراءات التقييم.
8-في حال ورود ملاحظات من المحكمين، ترسل تلك الملاحظات إلى الباحث لإجراء التعديلات اللازمة بموجبها، على أن تعاد للمجلة خلال مدة أقصاها شهر.
9-يمنح الباحث (خطاب قبول النشر) عند إعادته للبحث في صورته النهائية ، وبعد الأخذ بالتعديلات المطلوبة، واستكمالها إن وجدت ،ولا يمنح ذلك الخطاب إلا بعد القيام بتلك الخطوة بأي حالٍ من الأحوال .
10-الأبحاث التي لا تتم الموافقة على نشرها لا تعاد إلى الباحثين، ودون إبداء الأسباب.
11-البحوث المنشورة تعبر عن آراء ووجهات نظر أصحابها، ولا تعبر عن توجه المجلة.
12- جميع المواد المنشورة في المجلة تخضع لقانون حقوق الملكية الفكرية للمجلة.

كلمة رئيس التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد _ صلى الله عليه وسلم _ رحمة العالمين، ومسك ختام الأنبياء والمرسلين، ما نطق بالعربية ناطق ومتعلم، ولهج بألفاظها ومعانيها عالمٌ ومتعلم، أمَّا بعد:

يسرني أن أقدم العدد الثاني من مجلة اليعربي العلمية، والذي احتوى على عددٍ من البحوث الرائعة في علوم العربية المختلفة من لغويات وأدبيات، فضلاً عن بحث مميز في علم المكتبات والمعلومات.

ويشكل هذا العدد حلقة مهمة في السلسلة البحثية التي نسعد بتقديمها للقراء الكرام ؛ وذلك لتعميق معارفهم وتدعيم مصادر بحوثهم، وفي الوقت الذي نتقدم فيه بالشكر والامتنان إلى كل من ساهم في هذا العدد، أدعو جميع الباحثين في علوم العربية، وعلم المكتبات والمعلومات إلى تقديم نتاجهم العلمي للنشر فيها في الأعداد القادمة.

د/ علي الشاظوف

رئيس تحرير المجلة

محتويات العدد

1	**المُميِّزَةُ لصوت الضاد**.. د . عبد الحميد محمد جار الله	16
2	**علم التخاطب الإسلامي بين التداولية والبراجماتية (قراءة في الفكر اللساني عند محمد محمد يونس علي)** .... د. حنان أمحمد ضياء الدين أحمد فنيخرة	43
3	**مظاهر التطوُّر الدلاليّ للألفاظ في اللهجة الليبيَّة (لهجة الجبل الأخضر أنموذجًا)**.. أ . خديجة عبد القادر عمر	68
4	**دور الإيجاز في تشكيل الصورة**....................................... د. خالد إبراهيم أحمد أبوالنجا	90
5	**تجليات الزمن في رواية السهل لأحمد بن نصر**..................................... أ. محمد الناجي	120
6	**أنماط التكرار وجمالياته في ديوان التليسي**....................................... أ. تهاني أمحمد ضياء الدين	166
7	**خطاب القرآن لمن لا يقرون بالوحدانية ليعتبروا بعاقبة من سبقهم تحول الخطاب من عام إلى خاص لأمر عام**... د. عبد المنعم سليمان محمد.........د. محمد أحمد محمد السنوسي	188
8	**مهارات البحث عن المعلومات– دراسة ميدانية مطبقة على المجتمع الجامعي** أ. يحيى محمد موسى حسين	209

المُميِّزَةُ لصوت الضاد

نظم وشرح د. محمد عبد الحميد جارالله
أستاذ علوم اللغة بجامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية

2019م

ملخص البحث

المُميِّزَةُ لصوت الضاد

منظومة علمية، نونية القافية، على وزن البحر الكامل، بشرح مختصر، ميّزت صوت الضاد في العربية مخرجاً وصفةً، وبيّنت بعض مظاهر تطوّر نطقه، ومواضع التحفظ في بيانه عند مجاورته لبعض الأصوات، وأجابت عن أسئلة تتعلق بكيفية ضبط أدائه في تلاوة القرآن الكريم.

Research Summary

Characteristic of the voice of the opposite

Scientific system, potty rhyme, on the weight of the whole sea, a brief explanation, characterized the voice of the dad in Arabic as a way out and a recipe, and showed some manifestations of the evolution of his pronunciation, and places of reservation in his statement when adjacent to some voices, and answered questions on how to control his performance in the recitation of the Koran.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تعالى على الأنداد، وأنعم بالهادي، أفصح من نطق بالضاد، سيدنا محمد، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله خير العباد، ورضى الله على صحبه، ومن اتبعهم إلى يوم التنادِ، وبعد:

فهذه المميزة لصوت الضاد، أكثر أصوات العربية جدلاً، إذ تطوّر نطقه، واختُلف في مخرجه وتحقيق صفته، وفي تفسير ما كُتب قديماً حوله، وكثيراً ما يُسْأَلُ: كيف يكون تجويده؟ وما هي أنواع اللحن التي تتعلّق به؟ مما جعل منه حقلاً للدرس، ومحلاً للعناية والمحْصِ، من الأوّلين والآخرين، فترسّمنا الخُطَى، وضربنا مع القوم بسهمٍ من النّظم عسى أن يكون مُسدّداً، واخترنا له بحراً من الأوزان محبّباً، ليسهل حفظه على الحفاظ، ولنحيِيَ سنةً كادت تؤول إلى انقراض، وقد فَصَّلتُه بعناوين، وأردفته بشرح موجز لكل ذي لب وعين، يعين على تقريب البعيد، ويُبِينُ عما يضيق عنه القصيد، أهديهما لطلاب العربية ومعلمي وقراء الكتاب، عسى أن أجازي عليها بجزيل الثواب.

وسأتبعه –إن شاء الله– بفاروقة الظاء، أنظم فيها شرح ابن الجزري في التمهيد لظائية الداني فيما ورد بالظاء من ألفاظ القرآن المجيد، والله الموافق للسداد إلى الصواب، فله الحمدُ على ما أعطى.

فصل في شرح مقدمة النظم

1- بسملتَ؟ فاحِمدْ ما استطعتَ من الَّثنَا

هيهاتَ تبلغُ شُكْرَ ما قد أَحْسَنَا

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين، قولنا: (بسملت؟) تذكيرٌ للمخاطب، وحضٌّ على البدء بالبسملة؛ لأنها أول كلّ أمر ذى بال، ومبدأ الإنزال، ومفتتح الكتاب وأُمّه، وعنوان المعرفة به، ولأمرٍ ما احتوت على اسمين جليلين فيهما جذر الرّحمة من دون كلّ الأسماء، وكلُّها عظيم كريم، ولئن وفّقتُ لأخصها برسالة مفردة تفيها حقها، إن شاء الله.

2- فالحمد لله المبين بفضله

قد أنزل القرآنَ نوراً بيّناً

(الحمد لله) في كلام الله: إخبار منه باختصاص الحمد به، ومن العبد إقرار باختصاصه، وجَذرُه عند ابن فارس ((... أصلٌ واحدٌ يدلُّ على خلاف الذمّ)) [1]، فهو على ذلك يتضمّن التنزيه له عمّا لا يليق، وعند الراغب ((الثناء عليه بالفضيلة))[2]، ولا يرادف دلالة الشكر بإطلاقٍ، وإن كانت بينهما وشائج قربى، ولا المدح وإن تضمّن مدحاً، وكذلك كلُّ ألفاظ القرآن الكريم، بخلاف التوسع في استعمال اللغة، ولا يفسَّر به، فلو أراد الله أن يقول (الشكر لله) لقاله، وهو في حقيقته إقرار بالامتنان على الإنعام الظاهر والباطن، فله الخلق، ومنه العون والرزق، إذ الخزائن خزائنه، والمواهب مواهبه.

وتقدير متعلق الجار والمجرور يناسبه (مختصٌّ) بصيغة الاسمية لتقرير الثبوت في كل حينٍ، ولدلالة اللاَّم، وهو أنسب من تقدير كونٍ أو ثبوتٍ أو استقرارٍ لخلوها من معنى الاختصاص، وكذلك نقترح أن يكون تقدير كلِّ متعلَّقٍ بما يناسبه في القرآن، وهو من اللطائف فتلطف فيه.

(الله)

عَلَمٌ على الذات العليّة بالغلبة، فقد سُمّى به غيره، كما زعم من قال: ﴿إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (المائدة: 72)، أو من أدّعى الألوهية لغيره سبحانه، ولذا يقيّدُ بالمعبود بحقٍ قبالَ زعمهم، فيدل الاسم على الذات بما هي، بكل أوصافها، وما عداه من الأسماء

الحسنى يدل على الذات بملاحظة وصف معين، كالرحيم من الرحمة، والعليم من العلم، ونحوه، ولا يضاهيه في الدلالة على الذات بما هي هي إلا اسم (الرحمن) بالغلبة أيضاً، وإلا فالرحمانية كالعبودية والمحبوبية مما اشتق منه لفظ (الله).

(المبين)

اسمه –جلّ وعلا– الدال على ذاته بملاحظة الإبانة، فهو المظهر لحقائق الأشياء كما هي عليه واقعاً، في الأولى، وفي عالم الدنيا، وعالم الآخرة، فسبحان من تجلت مظاهر أسمائه في آياته الدالة على معرفته، وإلّا فسِرُّ كُنهه لا يعلمه غيرُه، ولا سبيلَ إلّا المنقول الذي يفهم بحسب استعمال القرآن، وبيان النبي –عليه صلوات الله وسلامه– واستصحاب قواعد التنزيه عما لا يليق.

(بفضله)

الفضل: الزيادة، قال ابن فارس: ((الفاء والضاد واللام أصل صحيح يدل على زيادة في شيء)) [3]، فهو من الله –جلّ شأنه– ابتداؤه بالإحسان هبةً منه، لغير استحقاق سوى مقتضى رحمته وحكمته، فسبحان من بيده الفضل كله، وسيق لأن إنزال القرآن المنير المبين فضل، وبه فسر قوله تعالى:﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ.....﴾ [4] (يونس: 58) ووجوهه في استعمال القرآن عديدة منها: النبوة، والإيمان، والعناية، والرزق ...[5]، والقرائن في كل سياق تعيّن المعنى المقصود، مع ملاحظة معنى الفضل العام، والله أعلم.

(قد أنزل)

فعل الإنزال متعدّ يقتضي آمراً ذا منزلة عليّة، وفي استعمال اللغة، واستعمال القرآن ورد منه ما يقتضي علوًّا مكانيًّا بمباشرة من فاعله وغير مباشرة، فسبحان ربّنا الأعلى، الأول كما هو قبل أن يخلق الزمان والمكان.

و(التنزيل) من أسماء القرآن، وقد فرّق الراغب بين دلالة الإنزال ودلالة التنزيل، فخصّ الأول بما أنزل دفعة واحدة، والثاني بما نُزّل مفرقًا[6].

و(النور) من ألقابه كذلك، ومنه قوله تعالى: ﴿... وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ (النساء: 174)، ولعله في مرتبة أم الكتاب في عالم الملكوت كذلك، ومن لم يفرّق بين مراتب وجوده وإنزاله وقع في المشكلات. و(البيّن) الواضح بذاته شديد الوضوح.

3– واختار أفصحَ ناطقٍ لبيانه

بلسانه مُتيسّراً ومُبيّنا

الواو عاطفة، أي بفضله أنزل واختار، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ﴾ (القصص: 68)، وهو ﴿أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الأنعام: 124) وأما الحديث: ((أنا أفصح من نطق بالضاد)) فلا أصل له كما قال الحافظ ابن الجزري[7]، غير أن معناه صحيح، قال تعالى: ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ (الدخان: 13)، وقال ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ (مريم: 97، والدخان: 58) فالإضافة إليه، وقال ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ (الشعراء: 193، 194، 195) وهو المنذر، وأما من حيث لسان قومه وما أرسل الله ﴿مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ (إبراهيم: 4) فقومه هم العرب المستعربة لا قريش وحدها، سلالات إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، ليسوا من أصل عربي إلا من جهة الخؤولة، وقد دمج القرآن بين لحون العرب القديمة والعاربة في لسانه، فهو بذلك طور من أطوار العربية في أكمل أحوال بيانها، ومن جعله ككلام الأعراب فقد أجحف، لاستواء، بل فيه شائبة التشبيه، ومن فسّره على استعمال العرب من دون ملاحظة استعماله الخاصّ فقد أخطأ سواء السبيل، وفيه مباحث إلى الآن لم تستقرأ، ولم تحقق، والذي بين أيدينا اليوم أخلاط موروثة جعلت كثيراً من الآيات البينات مشكلة من المعضلات !.

4- صلوا عليه وآله فصراطه

هو للصراط الأخروي مُعَيّنا

الأمر بالصلاة عليه وعلى آله –عليهم الصلاة والسلام– تذكير للمخاطب بأمر الله –عزّ وجل– لنا بالصلاة عليهم، في آية الأحزاب خَصَّهُ بالأمر وحده، وفي أحاديث التشهد في الصلاة عطف بآله، وقد أخبر أنه يصلي على المؤمنين وملائكتهُ رحمة بهم، وأصل الخطاب فيمن آمن مع النبي من الصحابة الكرام، وكذلك المؤمنون في كل زمان بالتبع باعتبار وحدة المفهوم وتعدد المصداق، فالصلاة على النبي وعلى آله قربة لنا داعية إلى إسباغ الرحمة.

(الآل)

يستعمل في اللغة والقرآن الكريم والحديث النبوي على وجوه، عدَّ منها مقاتل ثلاثة في استعمال القرآن، بمعنى: قوم، وأهل بيت الرجل، وذريته[8]، وخصصه الراغب بالإضافة إلى الأشرف الأفضل من أعلام الناطقين دون (الأهل)[9]، وفي الاصطلاح الشرعيّ لما يختصّ به الآل من أحكام اختلف في تحديد مصداقه، فالأول أنه مقتصر على فاطمة بنت النبي، وبعلها على بن أبي طالب، وولديها الحسن والحسين، والثاني

يشملهم مع أمهات المؤمنين، والثالث يضيف إليهم بني العباس وبني عقيل، وأقواها الأول، وأضعفها الثالث، وللإمامية مصداق يضم ذرية الحسين من الأئمة عندهم، وفي تحقيق مصداقه تفصيلٌ ذو طول يضيق المقام عن ذكره، فصِلّ اللهم على محمد وعلى آله عدد ما وسعته رحمتك.

(الصراط)

في الصراط أربع لغات، قرئ بثلاث منها: بالسين، والصاد، والصاد التي كالزاى[10]، أما الرابعة فالصاد التي كالسين، فكأنها أقل إطباقاً وتفخيماً، نسبها الفراء إلى بعض قيس[11]، وجعلها سيبويه من الفروع المستقبحة، التي لا تجوز القراءة بها ((في لغة من لا ترتضي عربيته))[12].

أمّا من حيث الدلالة فقال ابن فارس: ((السين والراء والطاء أصل صحيح واحد يدل على غيبة، ومرّ وذهاب))[13] وجعل سرط الطعام أصل معناه بغيابه في البلعوم، ثم تطور إلى معنى الطريق المسلوك الذي يغيب الذاهب فيه، ومن المعنى اللغوي تطورت دلالته في الاصطلاح الشرعي، فورد استعماله بمعنى: دين الله القيّم كما بّلغه نبّيه الأكرم، فهذا صراط الله في الدنيا، من اعتنقه، وسار على نهجه القويم آل إلى سلوك صراط الآخرة الموصل إلى جنات النعيم، ومن حاد عنه هاهنا سيق في الآخرة إلى صراط الجحيم، فانظر أين تضع قدمك؟ وأين قلبك حيث تطلب عونه لهدايتك إلى صراطه في كل صلاة؟.

فصل في بيان غاية النظم وشرحه

5- وبعد: ذي منظومة فيها هدى

لتلاوة الضادات كي لا تلحنا

6- فبها تميّزها بما امتازت به

وبشرحها ازدانت تَلأْلأُ كالسَّنى

غاية هذا النظم تمييز صوت الضاد مخرجاً وصفة عما يقاربه، ولذلك سميناها (المميّزة لصوت الضاد) قصدنا بها تبيانها لقراء الكتاب، لئلا يلحنوا في تلاوته بقلة ضبطها على وفق ما اعتمده جهابذة علم التجويد، وبعضه لحن جلي ظاهر القبح، يأثم من ارتكبه من بعد علمه.

و(اللحن الجلي) كما هو عند ابن الجزري ((خلل يطرأ على الألفاظ فيخل بالمعنى والعرف، وخلل يطرأ على الألفاظ فيحل بالعرف دون المعنى))[14].

والملاحظ على تعريفه –رحمه الله– التكرار الذي يغنى عنه العطف، والإبهام الذي يزيله البيان، وخير منه أن يقال: (خَللٌ في أداء ألفاظ القرآن، فيخل بالمعنى وبعرف التلاوة معاً، أو بالعرف من دون المعنى).

ثم قال: ((وبيان ذلك أن الجليَّ المُخِلّ بالمعنى والعرف هو: تغيير الحركات عمّا ينبغي، نحو أن تضم التاء في قوله تعالى: ﴿أَنعَمتَ﴾ (الفاتحة: 7).

وقوله: (هو تغيير الحركات) يوهم الحصر، وإنما هو نوع من أنواعه، فماذا عن إبدال الحروف؟ إلا أن يكون الناسخ أو المحقق أو الطابع قد أسقط كاف التشبيه من (تغيير) أو (نحو)، ولو قيل: (إبدال صوت بصوت) لكان أجمع. ثم ضرب للجلي المخلّ بعرف التلاوة فقط بـ ((نحو رفع الهاء، ونصبها من قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِ﴾ (الفاتحة: 1)[15].

أما الخفي عندهم فهو مثل ترك الغنّة في المغن، وإخفاء المظهر، والإخلال بمقادير المدود، ونحوه مما يعرفه المجود المتقن، ويخفي على غيره ممن لا يعلم علمه، فلا يخل بالمعنى، بل بعرف التلاوة فقط.

وقد زدنا من لدنّا قسماً ثالثاً، وهو اللحن الجلي الخفيُّ معًّا، وهو على ضربين كذلك، مخلٌّ بعرف القراءة أو الرواية دون المعنى، أو مخل بهما معاً، فالأول نحو إبدال السين صاداً أو العكس في نحو (الصراط)[16]، والثاني كإبدال الضاد ظاءً أو العكس في نحو: ﴿بِضَنِينٍ﴾ (التكوير: 17) فجلاؤه من حيث إبدال الحروف وتغير المعنى من الضن الذي هو البخل والمنع إلي (الظن) الذي هو الاتهام، وخفاؤه من حيث معرفة القراءات[17].

وأما ما يتعلق بالضاد من القسم الأول فنحو: إبدالها ظاء في قوله تعالى: ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ (الإسراء: 17) لتحريف المعنى من الضلال إلى البقاء والدوام، والثاني كنطقها شديدة وهي رخوة.

(كالسنى)

السنى كما قال الخليل مقصوراً وممدوداً ((حد منتهى ضوء البدر والقمر))[18]. ومنه قوله تعالى في لمعان البرق الساطع: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ (النور: 43)، وفرّق الراغب والسمين بينهما، فجعلا المقصور للضوء، والممدود لمعنى الشرف والرفعة[19]، فعلى ذلك يفرق بينها بدلالة الخطّ في المكتوب.

فصل في بعض المطبوع ممّا صُنّف في الضاداتوالظاءات

7- لم يحظ صوت مثلها بمباحث

تترى على مرّ العصور من الغِنَى

8- لا سيما ما بينه ونظيره

فالظاء صوت من شقائقه دنا

لقد حظيت الضاد بما لم يحظ به صوت من أصوات العربية من العناية والاهتمام، ويتجلى ذلك فيما أفردت به من تأليف قديماً وحديثاً، لا سيما في الفروق بينها وبين الظاء، فمن المطبوع في شأنها مما ألف قديماً:

1- الفرق بين الضاد والظاء، للصاحب بن عباد (385هـ) تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، بغداد، 1958م.

2- الاقتضاء للفرق بين الذال والضاد والظاء، لأبي عبد الله الداني، محمد بن أحمد بن مسعود (من علماء الخامس الهجري)، تحقيق على حسين البواب، الرياض، 1997م.

3- مختصر في الفرق بين الضاد والظاء، للحميري محمد بن نشوان، (610هـ)، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، نشر مع كتاب الارتضاء.

4- الاعتضاد في نظائر الظاء والضاد، لابن مالك جمال الدين محمد (673هـ)، تحقيق حسن تورال، وطه حسين، النجف، 1972م.

5- الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء، لأبي حيان محمد بن يوسف، (745هـ) تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، بغداد، 1961م.

6- الفرق بين الضاد والظاء، للشيباني أبي بكر عبد الله بن علي (797هـ) تحقيق د. حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق، الطبعة الأولى، 2003م.

ومن الدراسات الحديث دراسة: بعنوان:

(صوت الضاد في اللغة العربية) دراسة وصفية تاريخية، للسيد: نضال أحمد الشريف، الجامعة الإسلامية، غزة.

ومن أراد الاستزادة فعليه بنقرات على شبكة المعلومات، فإن بها علماً جمًّا.

فصل في بيان مخرج صوت الضاد وصفاته

9- فأقول. والتوفيق منه لعله

يعطي فيجزل في الثواب على الثنا

10- لا تبدلن الضّادَ ظاءَ فإنّه

لحنٌ جليٌّ مَن جنَاه فقد جنى

11- لا سيما ما قد أحلت مُحرّفًا

غير المراد فإثمه متيقّنًا

جملة (والتوفيق...) إلى آخر البيت اعتراض، رجاء مَنِّ الله بفضلٍ من ثوابه على الثناء عليه أول القصيد، وعلى الصلاة على نبيه الكريم، وآله الأطهار.

(لا تبدلن)

نهيٌ مؤكد تنبيها للقراء على أن إبدال الضاد ظاءً من اللحن الجلي –وقد بيّناه– لا سيما ما يحيل إلى معنىً غير مرادٍ له –سبحانه– فهو تحريف لمعاني الكتاب، وكفى به إثماً، وقد تكرر هذا النهي في القصيد زيادة في التوكيد.

12- فالضاد صوت قد تميّز مخرجاً

وصفًا بوصفٍ فاستطال بذي البنا

13- وسما فسمّيت العَرُوبُ بوسمه

بالضاد فخُر الناطقين على الدُّنَى

للضاد مخرج خاصٌّ بها، لا يشاركها فيه غيرها من أصوات العربية، وسيأتي بيانه، وكذلك صَفَتْ لها صفة الاستطالة من دون بقية الأصوات، وهاتان من أخص خصائصها، فمن أراد نطقها مجودة فليلتزم تحقيقها، ولمّا امتازت العربية بصوت الضاد على بقية اللغات سميت (لغة الضاد) فاستطالت بصفته عليها، فكفاه بذلك فخراً على سائر أصواتها، وكفى بالناطقين بالعَرُوب المبينة أن تميزّت بخصائص ليست في غيرها.

14- ينسَلُّ من جنب اللسان ومن علا

الأضراس، أيمنُه أقلُّ تمكُّنا

15- والشدق آيته بقول مبردٍ

من نفخه عند الوقوف تبينا

هذا بيان لمخرج الضاد الفصيحة إذ تخرج من تماسّ إحدى حافتي اللسان مع ما يحاذيها من الأضراس العليا فتجد المنفذ من بين الأضراس، ومخرجها الشدق عند المبرد[20]، لما يلاحظ من انتفاخه عند النطق بها، ويتبين ذلك عند الوقف عليها، وإخراجها من الجهة اليسرى صعب ومن اليمنى أصعبُ لمن يتكلف ذلك[21].

16- هو مُشْرَبٌ رخوٌ جهورٌ مطبقٌ

عالٍ صَمُوتٌ مستطيلٌ ذو عنا.

17- إلّا لمن شربِ الفصاحةَ أو لِمَن

دأبوا على التجويدِ فنّا مُتّقنا

(هو مشرب)

بدأنا بهذه الصفة؛ لأنه قلّ من يلتفت إليها، ولتناغمها مع قبلها موضوعاً، ولا نريد من الإشراب معنى المخالطة على مصطلح مكى في الرعاية، والذي قصد به الصاد التي كالزاي والألف الممالة وهمزة بين بين ونحوها[22]، وإنما أردنا قول سيبويه: ((ومن المشربة حروف إذا وقفت عليها خرج معها نحو النفخة، ولم تضغط ضغط الأولى، وهي: الزاى، والظاء، والذال، والضاد؛ لأن هذه الحروف إذا خرجت بصوت الصدر انسل آخره، وقد فتر ما بين الثنايا، لأنه يجد منفذا، فتسمع نحو النفخة، وبعض العرب أشد صوتاً، ...، والضاد تجد المنفذ من بين الأضراس))[23].

وأراد من قوله (لم تضغط ضغط الأولى) أصوات القلقلة، وهي شديدة مجهورة إلا الكاف والتاء فمهموسان، وإشباع الاعتماد في محل النطق هو وصف الشديد الذي يحدث بعد قفل تام ثم فتح، والمجهور ما يمنع من خروج النفس مع الصوت شديداً كان أو رخواً، والهمس بخلافه، فينشأ عن ذلك أن تتفرع الأصوات إلى: شديدة مجهورة، وشديدة مهموسة، ورخوة مجهورة، ورخوة مهموسة، على تفاوت فيما بينها، ولذا وصفوا بالتوسط بين الشدة والرخاوة أصواتاً، وكذلك ينبغي أن تكون في الجهر والهمس، وعلى ذلك يكون معنى الإشراب عند سيبويه لهذه الأربعة حال الوقف أنها مجهورة أشربت همساً، وهو صوت النفخ الذي ذكره، ويكون معنى الإشراب في أصوات القلقلة أنها شديدة أشربت رخاوة فكان ذلك الصويت، إذ يكاد النطق بها عند الوقف من دون قلقلة يكون مستحيلاً،

والقلقلة خاصة بحال الوقف دون الساكن وصلاً عند سيبويه والمبرد، وبذلك قُرِئ، خلافاً لما ذكره ابن الجزري كما حَققناه في الشرح المفيد لمتن الطلح النضيد[24].

(رخو) الرخاوة ضد الشدة، ((ومعنى الحرف الرخو: أنه ضعف الاعتماد عليه في موضعه عند النطق به فجرى معه الصوت))[25]، والشديد بخلافه، ((اشتد لزومه لموضعه، وقوى حتى منع الصوت أن يجرى معه عند اللفظ به))[26]، والشديد عند الأوائل ثمانية مجموعة في قولك (أجدك قطبت)، وما عداها رخو، أو متوسط بين الرخاوة والشدة نحو: اللام والراء والنون والعين والميم، والضاد رخوة في وصف الأوائل، وأحسبها أقرب إلى رخاوة اللام والراء منها إلى نحو الصاد والسين.

(جهور)

الجهر ضد الهمس، والمجهور عند الأوائل ((حرف قوي يمنع النفس أن يجري معه النطق به))، والمهموس ما ((جرى مع النفس عند النطق به))[27]، أمّا عند المحدثين فمعيارهم لتحديد الصفتين: تذبذب الأوتار الصوتية، أو عدم تذبذبها، فالمتذبذبة عند نطقه مجهورة، وغيرها مهموسة واختلفوا في الهمزة لحدوثها (وحدها) بفتح الأوتار بعد إغلاق، ولذا اختلفوا مع المتقدمين في وصف بعض الأصوات[28].

(مطبق)

الإطباق صفة للطاء والظاء والصاد والضاد، ((لأن طائفة من اللسان تنطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بهذه الحروف))[29].

وقد جعلها مكى بن أبي طالب مراتب، فأقواها إطباقاً، الطاء، وأقلها الظاء، ((والصاد والضاد متوسطان في الإطباق))[30].

(عال)

أي مستعل، وصفةُ الاستعلاء –وهي ارتفاع مؤخر اللسان– وصفوا بها سبعة أصوات مجموعة في (خص ضغط قظ)، وما عداها مستفل، أي لا يرتفع عند النطق به أقصى اللسان، ويشكل عليهم ترك الكاف وهي أخت القاف، وذلك لأنهم جعلوا الاستعلاء سببًا للتفخيم، ولمّا كانت الكاف مرَققة تركوها، لكنها مستعلية مع ذلك!.

ولعلّ ما سماه المحدثون بالتحليق هو سبب التفخيم، لا مجرد ارتفاع أقصى اللسان، وهو عود أقصى اللسان إلى الخلف قبالَ جدار الحلق، ولذا تفخم الراء واللام في بعض أحوالهما وهما مستفلان[31].

(صموت)

أي مصمت، والإصمات ضد الإذلاق، وأصوات الذلاقة ستة مجموعة في (فرّ من لب) وما عداها فمصمت، إلا الألف عند مكى، قال ((والألف خارجة عن المذلقةوالمصمته، لأنها هواء لا مستقر لها في المخرج))[32]، وإنما سميت ذلقية بالتغليب، فمنها ثلاثة شفوية، وقد سماها الخليل بـ (الذلق الشفوية)، ثم قسمها على قسمين بحسب المخرج، ثم قال: ((فلما ذلقت الحروف الستة، ومذل بهن اللسان، وسهلت عليه في المنطق كثرت في أبنية الكلام))[33].

وإخراج الواو والياء والألف وهي أسهل منطقاً مع كثرة دورانها في أبنية المعتل والمزيد يدعو إلى إضافتها إليها، والواو فوق ذلك شفوبة يرتفع أقصى اللسان قليلاً عند نطقها، والياء من وسط اللسان، وإن لم تتفرج الشفتان اختل صوتها، وأمّا ما يذكرونه من بناء الرباعي والخماسي، فلا مدخل له في الأصوات من حيث مخرجها وصفتها، وإنما هو تعليل لثقل المصمتات عند التجاور[34].

(مستطيل)

الاستطالة وصف خاص بالضاد دون غيرها، ولذا لابد من تمييزها بهذه الصفة، قال مكي: ((الحرف المستطيل وهو الضاد سميت بذلك؛ لأنها استطالت على الفم عند النطق بها حتى اتصلت بمخرج اللام)) فهي على ذلك طول مخرجها من أول حافة اللسان إلى منتهى طرفه من حيث تماسه بالأضراس[35].

(ذوعنا إلا لمن ...)

أي يصعب نطقه إلا على الفصيح لساناً ممن نشأ في بيئة فصيحة، أو من رَوَّض لسانه بها محققًا مخرجها وصفتها بطول المران والتدريب.

فصل في بيان بعض مظاهر تطور صوت الضاد

18- فاحذر من الضاد الضعيف فإنه

صوت قبيح في التلاوة ليّنا

19- كالظّاء في شرح المفصل وصفه

أمّا الكتاب فلم يبنه مدوّنًا

20- وكذاك في سر الصناعة مُبْهماً

فاحتار مُحدِثُنَا ولم يجْن الجنى

الضاد الضعيفة من الأصوات المستقبحة التي لا تجوز التلاوة بها، ذكرها سيبويه من دون تفصيل في بيانها، وقال إنها ((غير مستحسنة، ولا كثيرة في لغة من ترتضى عربّيته))[36] وتابعه ابن جنى في إهمالها مخرجاً وصفةً[37]، أمّا ابن يعيش فقد وصفها اجتهاداً منه بأنها: ((من لغة قوم اعتاصت عليهم، فربما أخرجوها ظاءً، وذلك أنهم يخرجونها من طرف اللسان وأطراف الثنايا، وربّما راموا إخراجها من مخرجها فلم يتأت لهم ذلك فخرجت بين الضاد والظاء))[38]ولعلّه وصف طوراً من أطوار تطورها في زمنه، إذا الميل إلى التخلص من ثقل النطق سنة لغوية، غير أن لأحكام التلاوة حكماً لا يعدل عنه، أسهم في المحافظ على وجودها في العربية بحسب وصف الأوائل لها.

21- واحذر من الضاد الحديثة إنها

دال مفخمة لكي لا تلحنا

22- ولأنّها لثويةٌ من طرفه

طرفِ اللسان شديدةٌ في نطقنا

23- وصداه من لدن ابن سينا، عنده

تتقدم الجيمَ الفصيحةَ مَوْطِناً

24- لا تبدلن الضاد دالَ فإنه

لحنٌ جلى من جَناه فقد جنى

الضاد الحديثة لثوبة شديدة، شائعة في نطق كثير من القراء اليوم، وبعضهم ينطقونها بشدة وإطباقٍ أقل كضاد بعض حضر مصر اليوم، ولذا وجب التحذير منها في التلاوة، فهي دال مطبقة مفخمة لا استطالة فيها، وقد يصدق عليها وصف ابن سينا في زمنه، قال: ((وأمّا الضاد فإنها تحدث عن (حبسٍ تامّ) عندما تتقدم موضع الجيم، وتقع في الجزء الأملس))[39].

25- والضاد في وصف الأوائل رخوة

وعليه في التجويد مُعْتَمد البِنَا

26- لولا تعاهده لغيّر صوته

وانزاح مخرجه فغاب مؤبّنًا

27- والهمس في (المفتاح) قيل بنعته

وأظنه ما بين بين مُهجّنا

28- كاللام إفريقية حبشية

بمناطق السودان قد نقلوا لنا

ذكرنا أن الضاد رخوة في وصف الأوائل، وعليه أهل الأداء في علم التجويد، ولولا أنهم تعاهدوه بالعناية بوصفهم الذي وصفوا، ومخرجه الذي أخرجوا، لاختفى ونُعِيَ وأُبِّنَ، وأعدنا ذلك مقابلة للضاد الحديثة إذ هي شديدة.

و(الهمس في المفتاح ...)

جعل السكاكي الضاد مهموسة، وقد مَرَّ أنها مجهورة، وجعل الكاف والتاء من المجهور، وهي عند غيره مهموسة، ثم قال ((وعندي أن الحكم في أنواعها ومخارجها على ما يجده كل أحد، مستقيم الطبع سليم الذوق ....، وإن كان بخلاف الغير، لإمكان التفاوت في الآلات))[40]، ويريد من الآلات جهاز النّطق، وقد يكون من تطور نطقها في زمنه، وأحسبها متوسطة بين الجهر والهمس؛ لأنها تخرج من بين فتحات الأضراس، فيسمع مع جرسها صوت النفس.وعليه يكون الهمس مراتب هي في أدناه.

(كاللام)

ذكر ابن الجزري أن بعض الأعاجم من الزيالغ، وهم قبائل من السودان والحبشة ينطقون الضاد لاماً[41]، ولابد من أنها مفخمة يخرجونها من مخرج اللام، وليس جرس صوتها كجرس اللام، والدربة والمران داعية إلى الإتقان.

فصل في التحفظ ببيانها لمجاورتها بعض الأصوات

29- فتحفَّظُوا عند التَّجاور ربّما

جنحت لإبدالٍ وإدغامٍ هنا.

30- (عرّضتمُ) و(قبضت) منه، و(خضتمُ)

(أضطرّه) لا تدغِمَنَ وبيّنا[42].

تتأثر الأصوات عند تجاورها فيؤثر بعضها في بعض، وقد يجنح اللسان إلى الأخف نطقاً بوسائل منها الإبدال والإدغام، لذا دعا علماء التجويد إلى التحفظ ببيان الأصوات مخرجاً وصفة، ومدار التجويد على ذلك، فنبهوا فيما يتعلق بالضاد وما يجاورها إلى كلمات بعينها تكثر قلّة ضبطها، قال مكيّ: ((إذا سكنت الضاد وأتت بعدها تاء وجب التحفظ ببيان الضاد، لئلا تندغم في التاء لسكونها ورخاوتها، وشدة التاء نحو ﴿عَرَّضْتُم﴾ (البقرة: 235)، و﴿فَرَضْتُمْ﴾ (طه: 96) و﴿خُضْتُمْ﴾ (التوبة:69) وشبههفقس عليه ما شابهه))[43].

وكذلك ((إن أتى بعد الضاد حرف إطباق ...، لئلا يسبق اللسان إلى ما هو أخف عليه وهو الإدغام، نحو: ...، ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾ (البقرة: 126))[44].

31- ويُخافُ إمّا كُرّرت أو أدغمت

في مثلها الإبدال ظاءً دندنا

32- ﴿يَغْضُضْنَ﴾﴿لاَنفَضُّواْ﴾﴿يَغُضُّوا﴾ مثله

(تبيضّ) قسها فالقياس له السّنا

ويُخشى عند تكرير الضاد نحو ﴿يَغْضُضْنَ﴾ (النور: 31) و﴿اغْضُضْ﴾ (لقمان: 19) من إبدالها ظاءً لثقل التكرير في صوت ذي صفات قوية، وكذلك إن شددت نحو ﴿لاَنفَضُّواْ﴾ (آل عمران: 159) و﴿يَغُضُّوا﴾ (النور: 30) و﴿تَبْيَضُّ﴾ (آل عمران: 106) إلا أن المثقل بالتشديد أخف ثقلاً من المكرر غير المدغم، و(السنا) ممدوداً الشرف والرفعة.

33- أو قاربت ظاءً كـ (أنقض) ظهره

و(يعض) ذو ظلم يديه مونونا.

هذا أيضًا مما يُخشى فيه إبدال الأول وإدغامه في الثاني؛ لتقارب الألفاظ مخرجاً، وتجانسها وصفًا فيما يشتركان فيه؛ ولذا نبّهوا على التحفّظ من ذلك ببيان الضاد في نحو: ﴿أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ (الشرح: 3) وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾(الفرقان: 27)، وهذا الأخير يحتاج إلى تحفظ أكثر لاجتماع التشديد في الضاد والظاء معاً.

(مونونا)

الونونة: صوت الونّ، وهو ذو الأوتار من الآلات الموسيقية، قال الخليل: (الون: الصّنج الذي يضرب بالأصابع))[45]، وهو ها هنا صوت الأنين للظالم ذي الحسرة في يوم الحسرة، أبدلت همزته واواً، وهو مستعمل في لغة العراقيين اليوم لصوت البكاء والعويل، وفي لغة أهل برقة يحكون به أصوات ماله طنينٌ، كأصوات السيارات المسرعة، وتطورت له وجوه أخر في استعمالهم.

34- وكذاك (قيضنا) و(غيض) ونحوه

إن جاورت صوتاً خفيًّا ليّنًا

35- و(أفاض) منه كذا (أفوّض) مثله،

والذال (ملء الأرض) من (ذهبًا) دنا

36- لا تبدلن الضادَ ظاءَ فإنَّه

لحن جليٌّ من جناه فقد جنى

(وكذاك)

أي ما يُخشَى فيه الإبدال ظاءً، وذلك إن وليهما ياءٌ مشددة نحو: أو ياء ساكنة نحو:﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاء﴾ (فصلت: 25)، و﴿نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا﴾ (الزخرف: 36)، وشبهه، قال مكي: ((لأن الياء حرف ضعيف، والضاد ذلك، فربما ضعف لفظ الضاد لضعف الياء))[46]، وكذا: ﴿غِيضَ الْمَاء﴾ (هود: 44) مما جاءت الياءُ بعدُ.

(صوتاً خفياً)

اخترنا (صوتا) بدل (ياءً) ليشمل الألف والواو، وأحسبها كذلك في أثرها على الضاد، ولم ينص عليها مكى ولا ابن الجزري، من نحو:﴿أَفَاضَ﴾ (البقرة: 199) و﴿أُفَوِّضُ﴾(غافر: 44).

و(الذال)

أي أنه قد يجنح لإبدال الضاد ظاءً في نحو:﴿مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا﴾ (آل عمران: 91) لاتحاد مخرج الظاء والذال، واتفاقهما في سائر الصفات سوى الإطباق والاستعلاء، فوجب التحفظ ((لئلا يبدلها اللسان حرفاً من جنس ما بعدها))[47].

فصل في الخاتمة

37- كَمُلتْ بفضل الله غير ملولة
وعساىَ أتبعها بصنوٍ ذى غِنَى

38- ظائية الداني سأنظم شرحها
لممهّد التّمهيدِ فيما بَيّنا

39- لله درُّهما ودرُّ أبيها
سبقا، ودرُّك إن جلوت مُجَنَّنا

40- فالحمد لله الذي أعطى، ومَنْ
صلّى فقد زّانَ الخِتام وأحسنا

تمت بعون الله وفضله (المميّزة لصوت الضاد)، وقد حققنا فيها صوت الضاد مخرجاً وصفةً بحسب ما اعتمده علماء التجويد من وصف الأوائل، ونبّهنا على كيفيات من نطقها لا تجوز في تلاوة القرآن، لا سيما الضاد الحديثة، أو نطقها ظاءَ توسعاً.

وسلطنا الضوء على إشرابها الهمس حال الوقف عليها، وهي عندنا مهموسة قطعاً في حال الوقف، وبين الجهر والهمس في غير الوقف، على وفق معيار الأوائل في تحديد الصفتين، وأضفنا التحفظ ببيانها عند مجاورتها للألف والواو، مثلما أضفنا قسما ثالثاً من أقسام اللحن سميناه (اللحن الجلي الخفي)، واقترحنا تعديل تعريف ابن الجزري للحن الجلي بما هو أوجز وأوضح وأجمع.

ذلك، وسأتبعها –إن شاء الله– بنظم (فاروقة الظاء) أشرح فيه شرحَ نونيّة الداني في ظاءات القرآن لابن الجزري في كتابه التمهيد في علم التجويد، شرحاً يجلو خفيّه، ويبيّن وجوه معاني ما ورد بالظاء في الكتاب الكريم، فرحمهما الله، وجزاهما بما سبقا إليه، وعلى ما تركا لنا من علم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله، وعلى صحبه ومن اتبعهم بإحسان، والحمد لله رب العالمين.

هوامش البحث

(1) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (395هـ)، معجم مقاييس اللغة، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1999م: 316/1.

(2) أبو القاسم الحسين بن محمد، الراغب الأصفهاني (502هـ)، المفردات في غريب القرآن، دار ابن الجوزي، القاهرة، الطبعة الأولى، 2012م: 145.

(3) معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق: 357/2.

(4) أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: محمد إبراهيم الحفناوي، ومحمود حامد عثمان، دار الحديث القاهرة، 2002م: 4: 653.

(5) مقاتل بن سليمان البلخي (150هـ)، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2008م : 43.

(6) المفردات، مرجع سابق: 541.

(7) ابن الجزري محمد بن محمد (883هـ)، النشر في القراءات العشر، تحقيق: د. خالد حسن أبو الجود، دار المحسن، الجزائر، الطبعة الأولى، 2016م: 45/2.

(8) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، مرجع سابق: 121.

(9) المفردات، مرجع سابق: 34، 35.

(10) النشر في القراءات العشر، مرجع سابق: 141/2-143.

(11) أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (207هـ)، لغات القرآن، تحقيق: د. الموافي الرفاعي البيلي، المكتبة العصرية، المنصورة، الطبعة الأولى، 2016م: 33، 34.

(12) أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق: د. عبد السلام محمد هارون، الهيأة المصرية العامة للكتاب، 1975م: 432/4.

(13) معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق: 596/1، وينظر المفردات، مرجع سابق: 252، 253.

(14) شمس الدين محمد بن محمد الجزري (833هـ)، التمهيد في علم التجويد، تحقيق: غانم قدوري حمد، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى، 2001م: 77.
(15) التمهيد في علم التجويد، مرجع سابق: 77.
(16) النشر في القراءات العشر، مرجع سابق: 2/141-143.
(17) النشر في القراءات العشر، مرجع سابق: 4/432.
(18) الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تحقيق: د. داود سلوم وآخرون، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، 2004م: 386.
(19) المفردات، مرجع سابق: 269، السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (756هـ)، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل عواد، دار الكتب العلمية، بيرة، الطبعة الأولى، 1996م: 2/228، 229.
(20) أبو العباس محمد بن اليزيد المبرد (385هـ)، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة: 1/193.
(21) التمهيد في علم التجويد، مرجع سابق: 114.
(22) مكي بن أبي طالب القيسي (437هـ)، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق ألفاظ التلاوة، تحقيق: د. أحمد حسن فرحات، دار عمار، الأردن، الطبعة الخامسة، 2008م: 130.
(23) كتاب سيبويه، مرجع سابق: 4/174.
(24) د. محمد عبد الحميد جارالله، الطلح النضيد في أصوات العربية بين القديم والجديد، دار الصحابة للتراث، طنطا، الطبعة الأولى، 2012م: 64-67.
(25) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق ألفاظ التلاوة، مرجع سابق: 119.
(26) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق ألفاظ التلاوة، مرجع سابق: 117.
(27) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق ألفاظ التلاوة، مرجع سابق: 116، 117.
(28) الطلح النضيد في أصوات العربية بين القديم والجديد، مرجع سابق: 54-58.
(29) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق ألفاظ التلاوة، مرجع سابق: 122.
(30) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق ألفاظ التلاوة، مرجع سابق: 123.
(31) الطلح النضيد في أصوات العربية بين القديم والجديد، مرجع سابق: 62، 63.
(32) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق ألفاظ التلاوة، مرجع سابق: 136.
(33) معجم العين، مرجع سابق: أ-ج.
(34) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق ألفاظ التلاوة، مرجع سابق: 134.

(35) أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي (665هـ)، إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض، دار الكتب العلمية بيروت: 754، وينظر التمهيد في علم التجويد، مرجع سابق: 107.

(36) كتاب سيبويه، مرجع سابق: 432/4.

(37) أبو الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1954م: 57/1.

(38) موفق الدين يعيش بن يعيش (303هـ)، شرح المفصل، تحقيق: د. عبد الغفار البنداري، وسعيد كسروى حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م: 127/10، 128.

(39) أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا (428هـ)، أسباب حدوث الحروف، تحقيق: محمد حسان الطيان، ويحي مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق: 76.

(40) أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي (626هـ)، مفتاح العلوم، تحقيق: حمدي محمد قابيل، المكتبة التوفيقية، القاهرة: 14-16.

(41) التمهيد في علم التجويد، مرجع سابق: 141.

(42) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق ألفاظ التلاوة، مرجع سابق: 187.

(43) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق ألفاظ التلاوة، مرجع سابق: 185.

(44) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق ألفاظ التلاوة، مرجع سابق: 186، والتمهيد في علم التجويد، مرجع سابق: 142.

(45) معجم العين، مرجع سابق: 918.

(46) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق ألفاظ التلاوة، مرجع سابق: 186.

(47) التمهيد في علم التجويد، مرجع سابق: 142، 143.

قائمة المراجع

1- القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم، وفق العدد الكوفي.

2- ابن الجزري محمد بن محمد (833هـ)، التمهيد في علم التجويد، تحقيق: غانم قدوري حمد، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى، 2001م.

3- ابن الجزري محمد بن محمد (883هـ)، النشر في القراءات العشر، تحقيق: د. خالد حسن أبو الجود، دار المحسن، الجزائر، الطبعة الأولى، 2016م.

4- أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق: د. عبد السلام محمد هارون، الهيأة المصرية العامة للكتاب، 1975م.

5- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (395هـ)، معجم مقاييس اللغة، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1999م.

6- أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (207هـ)، لغات القرآن، تحقيق: د. الموافي الرفاعي البيلي، المكتبة العصرية، المنصورة، الطبعة الأولى، 2016م.

7- أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي (665هـ)، إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض، دار الكتب العلمية بيروت.

8- أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: محمد إبراهيم الحفناوي، ومحمود حامد عثمان، دار الحديث القاهرة، 2002م.

9- أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا (428هـ)، أسباب حدوث الحروف، تحقيق: محمد حسان الطيان، ويحي مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.

10- أبو العباس محمد بن اليزيد المبرد (385هـ)، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة.

11- أبو الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1954م.

12- أبو القاسم الحسين بن محمد، الراغب الأصفهاني (502هـ)، المفردات في غريب القرآن، دار ابن الجوزي، القاهرة، الطبعة الأولى، 2012م.

13- أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي (626هـ)، مفتاح العلوم، تحقيق: حمدي محمد قابيل، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

14- الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تحقيق: د. داود سلوم وآخرون، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، 2004م.

15- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (756هـ)، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل عواد، دار الكتب العلمية، بيرة، الطبعة الأولى، 1996م.

16- د. محمد عبد الحميد جار الله، الطلح النضيد في أصوات العربية بين القديم والجديد، دار الصحابة للتراث، طنطا، الطبعة الأولى، 2012م.

17- مقاتل بن سليمان البلخي (150هـ)، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2008م.

18- مكي بن أبي طالب القيسي (437هـ)، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق ألفاظ التلاوة، تحقيق: د. أحمد حسن فرحات، دار عمار، الأردن، الطبعة الخامسة، 2008م.

19- موفق الدين يعيش بن يعيش (303هـ)، شرح المفصل، تحقيق: د. عبدالغفار البنداري، وسعيد كسروى حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م.

ملحق رقم (1)

المُميِّزَةُ لصوت الضاد

1- بسملتَ؟ فاحِمدْ ما استطعتَ من الثَّنَا

هيهاتَ تبلغُ شُكْرَ ما قد أَحْسَنَا

2- فالحمد لله المبين بفضله

قد أنزل القرآنَ نوراً بيّناً

3- واختار أفصحَ ناطقٍ لبيانه

بلسانه مُتيسّراً ومُبيّنا

4- صلوا عليه وآله فصراطه

هو للصراط الأخروي مُعَيّنا

5- وبعد: ذي منظومة فيها هدى

لتلاوة الضاداتكى لا تلحنا

6- فبها تميّزها بما امتازت به

وبشرحها ازدانت تَلأْلأُ كالسَّنى

7- لم يحظ صوت مثلها بمباحث

تترى على مرّ العصور من الغِنَى

8- لا سيما ما بينه ونظيره

فالظاء صوت من شقائقه دنا

9- فأقول. والتوفيق منه لعله

يعطي فيجزل في الثواب على الثنا

10- لا تبدلن الضّادَ ظاءَ فإنّه

لحنٌ جليٌّ مَن جنَاه فقد جنى

11- لا سيما ما قد أحلت مُحرّفًا

غير المراد فإثمه متيقّنًا

12- فالضاد صوت قد تميّز مخرجاً

وصفًا بوصفٍ فاستطال بذي البنا

13- وسما فسمّيت العَرُوبُ بوسمه

بالضاد فخُر الناطقين على الدُّنَى

14- ينسَلُّ من جنب اللسان ومن علا

الأضراس، أيمنُه أقلُّ تمكُّنا

15- والشدق آيته بقول مبردٍ

من نفخه عند الوقوف تبينا

16- هو مُشْرَبٌ رخوٌ جهورٌ مطبقٌ

عالٍ صَمُوتٌ مستطيلٌ ذو عنا.

17- إلّا لمن شربِ الفصاحةَ أو لِمَن

دأبوا على التجويدِ فنّا مُتّقنا

18- فاحذر من الضاد الضعيف فإنه

صوت قبيح في التلاوة ليّنا

19- كالظّاء في شرح المفصل وصفه

أمّا الكتاب فلم يبنه مدوّنًا

20- وكذاك في سر الصناعة مُبْهماً

فاحتار مُحدِثُنَا ولم يجْن الجنى

21- واحذر من الضاد الحديثة إنها

دال مفخمة لكي لا تلحنا

22- ولأنّها لثويةٌ من طرفه

طرفِ اللسان شديدةٌ في نطقنا

23- وصداه من لدن ابن سينا، عنده

تتقدم الجيمَ الفصيحةَ مَوْطِناً

24- لا تبدلن الضاد دالَ فإنه

لحنٌ جلى من جَناه فقد جنى

25- والضاد في وصف الأوائل رخوة

وعليه في التجويد مُعْتَمد البِنَا

26- لولا تعاهده لغيّر صوته

وانزاح مخرجه فغاب مؤبّنًا

27- والهمس في (المفتاح) قيل بنعته

وأظنه ما بين بين مُهجّنا

28- كاللام إفريقية حبشية

بمناطق السودان قد نقلوا لنا

29- فتحفَّظُوا عند التَّجاور ربّما

جنحت لإبدالٍ وإدغامٍ هنا

30- (عرّضتمُ) و(قبضت) منه، و(خضتمُ)

(أضطرّه) لا تدغِمَنَ وبيّنا

31- ويُخافُ إمّا كُرّرت أو أدغمت

في مثلها الإبدال ظاءَ دندنا

32- ﴿يَغْضُضْنَ﴾ ﴿لاَنفَضُّواْ﴾ ﴿يَغُضُّوا﴾ مثله

(تبيضّ) قسها فالقياس له السّنا

34- وكذاك (قيضنا) و(غيض) ونحوه

إن جاورت صوتاً خفيًّا ليّنًا

35- و(أفاض) منه كذا (أفوّض) مثله،

والذال (ملء الأرض) من (ذهبًا) دنا

36- لا تبدلن الضادَ ظاءَ فإنَّه

لحن جليٌّ من جناه فقد جنى

37- كَمُلتْ بفضل الله غير ملولة

وعساىَ أتبعها بصنوٍ ذى غِنَى

38- ظائية الداني سأنظم شرحها

لممهّد التّمهيدِ فيما بَيّنا

39- لله درُّهما ودرُّ أبيها

سبقا، ودرُّك إن جلوت مُجَنَّنا

40- فالحمد لله الذي أعطى، ومَنْ

صلّى فقد زّانَ الخِتام وأحسنا

علم التخاطب الإسلامي بين التداولية والبراجماتية
قراءة في الفكر اللساني عند محمد محمد يونس علي

د. حنان أمحمد ضياء الدين أحمد فنيخرة
قسم اللغة العربية / كلية التربية/ جامعة مصراتة
h.fnaikhra@edu.misuratau.edu.ly

ملخص البحث:

يُعَدُّ العالم الليبي: محمد محمد يونس علي*من المهتمين بربط العلوم الحديثة بالتراث العربي الإسلامي؛ لإظهار الامتدادات المعرفية للمنجز العربي، واستكشاف الفضاء العربي للمفاهيم والأفكار اللسانية في الفكر العربي، ولهذا يحاول هذا البحث قراءة الفكر اللساني عنده من خلال مصطلحات: التخاطب والبراغماتية والتداولية، وبيان الخلفية المعرفية، والأصول المؤسسة لما أسماه بعلم التخاطب الإسلامي، والدواعي للتحول إليه وسط الكم الهائل من المصطلحات؛ كل هذا من أجل التعريف بالجهود المبذولة لصنع خصوصية علمية عربية تتماز عن القوالب الغربية، وتسهم في تكوين أصول نظرية متناسقة أنطولوجيا، وأبستمولوجيا كما يذكر الدكتور محمد محمد يونس علي نفسه فيما أسماه: علم التخاطب الإسلامي دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص.

Research Summary:

The Libyan scholar, Muhammad MuhammadYunus Ali, is interested in linking modern sciences with Arab-Islamic heritage, to show the knowledge extensions of the Arab achievement, and to explore the Arab space for linguistic concepts and ideas in Arab thought. And to explain the background of knowledge, and the founding assets of what he called the science of Islamic communication, and the reasons for its transformation amid the huge amount of terminology; Yeh consistent ontology and epistemology as mentioned by Dr. Mohammed Ali Muhammad Yunus himself in what he called: Islamic conversational study of linguistics curriculum asset scientists in understanding the text.

المقدمة:

تتوالى العلوم الجديدة في عالم اللسانيات لتعدد المناهج والنظريات التي تتناول المنجز اللغوي بجوانبه المختلفة؛ مما يولد مصطلحات عديدة، ومسميات متنوعة في هذا المجال، كلٌّ حسب اتجاهه الدَرْسي، وقد تتقارب هذه المصطلحات، وقد تتباعد للسبب ذاته،كما أن الترجمة تلعب دورًا كبيرًا في هذا المجال، غير أن الخصوصية اللغوية لكل بيئة، والخلفية المعرفية لكل مصطلح تُعَدَّان فيصلا يُحسب لأحدها دون الآخر، ومن هذه المصطلحات (البراغماتية _التداولية _ الذرائعية) وغيرها، ذات الخلفية الغربية ظهورًا ترجمة للمصطلح (pragmatics)، ونتيجة لخصوصية اللغة العربية، ولوجود من تداول أصول هذا الفكر من العرب ظهر مصطلح (التخاطب الإسلامي) عند محمد محمد يونس علي، تأكيدًا على التعريف بالجهود المبذولة لصنع خصوصية علمية عربية تنماز عن القوالب الغربية، وتسهم في تكوين أصول نظرية متناسقة أنطولوجيا، وأبستمولوجيًّا.

ويهدف هذا البحث إلى قراءة الفكر اللساني عند الدكتور محمد محمد يونس علي من خلال مصطلحات: التخاطب والبراغماتية والتداولية، وبيان الخلفية المعرفية، والأصول المؤسسة لما أسماه بعلم التخاطب الإسلامي، واقتضت الرؤية البحثية أن تصاغ الفكرة في ثلاثة مطالب؛ فأما المطلب الأول فهو عن البراغماتية والتداولية تأريخًا واستخدامًا، وأما المطلب الثاني فجاء عن مصطلح التخاطب ودواعي التحول، وأما المطلب الثالث فعن التخاطب رؤية وتأسيسًا، تَتَقدم البحث مُقَدِّمَةٌ، ويُخْتَتَم بخاتمة، كل هذا في منهج وصفي تحليلي.

المطلب الأول: البراغماتية والتداولية تأريخًا واستخدامًا

ظهر المصطلح (pragmatics) في الإنجليزية، والمصطلح (pragmatique) في الفرنسية، وهما مصطلحان يرجعان للأصل اليوناني القديم (pragma)، الذي يعني الفعل والعمل[1]، " ولهذا المفهوم في الثقافة الغربية عدة استعمالات قانونية، وهو الاستعمال الأصل في اللغة اللاتينية فيما يبدو، ثم فلسفية، ومنطقية، ورياضياتية" [2].

ويرجع تاريخ استخدام المصطلح في العصر الحديث إلى القرن السابع عشر في مجال الفلسفة التجريبية باستخدام الفيلسوف: (إيما نويل كانت) له، الذي اهتم بما يسمى فلسفة المتعالية، التي عمل من خلالها على رصد العناصر المكونة للمعرفة وللتمثيل الإنسانيين،

انطلاقًا من تأسيس أفلاطون وأرسطو لجانب اللغة والمنطق وآثار الخطاب على السامع؛ حيث يرى أفلاطون أن الخطيب المصقع، أو المتحدث البارع هو من يمثل الحضور النقدي للمخاطب، حتى وإن تستر ذلك الحضور خلف حوار باطني، وتبلور المصطلح في كنف هذه الفلسفة في القرن العشرين، واستقر في اللسان على لفظ (pragmatics) في المصطلح الحديث[3]، ومعنى هذا أن المصطلح ليس مصطلحًا لسانيًّا صرفًا بل انتقل إلى العلوم اللسانية مؤخرًا.

وقد ظهر الفكر البرغماتي بصورة علمية على يد: (تشارلز ساندرس بيرس1939-1914م) رائد علمي العلامات، والبراغماتية اللسانية، وهو من نقله إلى الدراسات اللسانية، أما تطوير البراغماتية واستقرارها علمًا فيرجع إلى ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي لجامعة أكسفورد وهم : (أوستن AUSTIN) ، و(سيرل SEARLE) ، و(جرايس GRICE)؛ وانصب اهتمامهم على الوصول إلى طريقة توصيل معنى اللغة الإنسانية الطبيعية من خلال إبلاغ مرسل رسالة إلى مستقبل يفسرها، وهو مجال البراغماتية أي تفسير اللغة حال استعمالها في الواقع العملي متجاوزة تفسيرها في ذاتها، متبنية فكرة الفائدة المترتبة على الآثار والنتائج لأية فكرة ما. إذ يقوم جوهرها على أن:" العقل لا يبلغ غايته إلا إذا قاد صاحبه إلى العمل الناجح؛ فالفكرة الصحيحة هي الفكرة الناجحة، أي الفكرة التي تحققها التجربة ولا يقاس صدق القضية إلا بنتائجها العملية"[4].ومن هنا يكون معيار صدق الفكرة أو الرأي هو النتيجة العملية التي ترتبت عليها من حيث كونها مفيدة أو مضرة.

وانطلاقًا من اعتناء البراغماتية بأثر التفاعل التخاطبي في موقف الخطاب؛ فإنه يستتبع هذا التفاعل دراسة كل المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة بالتلفظ، وبخاصة المضامين والمدلولات التي يولدها الاستعمال في السياق، ودراسة المنجز ذاته، وكل ما يجعل الخطاب فاعلًا "لأن الخطاب نسيج من اللغة المنجزة؛ أي الخطاب المستعمل في إطاره التواصلي ... وليس بمعزل عنه؛ لأن اللغة لا تؤدي وظائفها إلا فيه"[5]، كما يستتبع ذلك أيضًا دراسة الفاعل الذي يقدم نفسه من خلال خطابه، ويُعَدُّ مسئولا عن مجموعة من العمليات الإجرائية على مدار النص.

وبتعبير آخر فإن البراغماتية "مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي

يُنجَز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة، والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية"[6].

انبثقت البرغماتية من عدة ينابيع معرفية _ إذ لكل مفهوم من مفاهيميه الكبرى حقل معرفي انبثق منه_؛ فتعد الفلسفة التحليلية لأوستن وتلميذه سيرل التي تُعنى باللغة هي الينبوع المعرفي الأول لمفهوم تداولية الأفعال الكلامية، فقد كانت هذه الفلسفة تدعو إلى أن مهام الفلسفة هي البحث في اللغة، بل يعتبر فلاسفة التحليل هذا المبدأ المنهجي علامة قوة لمنهجهم. كما تعد فلسفة بول غرايس في مبدأ التعاون ومسلماته الحوارية مرجعية معرفية لمفهوم المحادثة في التداولية. أما نظرية الملائمة فقد ولدت من رحم علم النفس المعرفي[7].

كما أن للبراغماتية علاقة وطيدة بعدد من العلوم من أهمها:

- اللسانيات الاجتماعية؛ حيث أن اللسانيات الاجتماعية تأخذ بعين الاعتبار حالة المتكلم كمعطى اجتماعي من حيث أصله السلالي، ووضعه الاجتماعي، ومستواه المعيشي والثقافي، وربط هذه الحالة بنوع اللغة التي يستعملها، انطلاقًا من مجموع القواعد التي تضبطها، وهذا ما تشاركه فيه التداولية التي تهتم أيضًا ببيان أثر العلاقات الاجتماعية بين المشاركين في الحديث وموضوعه، وأثر السياق غير اللغوي في اختيار السمات اللغوية وتنوعاتها.
- علم اللغة النفسي؛ حيث يشاركها الاهتمام بقدرات المشاركين التي تؤثر في أدائهم مثل: الانتباه، والذاكرة، و الشخصية، وتحليل الخطاب، ويشتركان في الاهتمام أساسا بتحليل الحوار، ويقتسمان عددا من المفهومات الفلسفية و اللغوية؛ كالطريقة التي توزع بها المعلومات في جمل أو نصوص ، والعناصر الإشارية، والمبادئ الحوارية.
- علم الدلالة الذي يشاركها دراسة المعنى المرتكز على سياق الحال، وأدوات الربط في اللغة التي يستخدمها التداوليون في توضيح العلاقات بين الأحداث اللغوية، وتنتج من خلالها منطوقًا لغويًا[8]، وغيرها من العلوم كثير[9].

ولهذا السبب الانفتاحي فقد سيطرت اللسانيات (البراغماتية) التداولية على ساحة الدراسات اللسانية بعد التيار البنيوي والتوليدي، فالدراسات التداولية امتداد واستكمال لجهود المدرسة الوظيفية، وما قامت هذه الدراسات إلا نتيجة طبيعية لشعور المهتمين بها بإخفاق النموذج التقليدي للتخاطب في تقديم تفسير ناجح لعملية التخاطب؛بسبب قصر اهتمامه على العناصر

والبنى اللغوية التي ينطقها المتكلم في عزلة عن السياقات الفعلية التي تستخدم فيها اللغة؛ ولهذا فإن التداولية لا تنتمي إلى أي من مستويات الدرس اللغوي صوتيا كان أم صرفيا أم نحويا أم دلاليا لذلك، ولا علاقة للأخطاء التداولية بالخروج على القواعد الفونولوجية أو النحوية أو الدلالية ، وهي أيضًا ليست مستوى يضاف إلى هذه المستويات ؛ لأن كلا منها يختص بجانب محدد من جوانب اللغة ، وله أنماطه التجريدية ووحداته التحليلية ، أما التداولية فهي لا تقتصر على دراسة جانب محدد من جوانب اللغة ، بل من الممكن أن تستوعبها جميعا .

ويعد مصطلح التداولية هو الترجمة الأكثر انتشارًا لمصطلح (pragmatique) إذ تعددت الترجمات له، فوُجِدَت ترجمة المصطلح بالتداولية عند عدد ممن اشتغل في هذا المجال من علماء العربية منهم: سعيد علوش (1986م)[10]، عبدالقادر قنيني (2000م)[11]، سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني (2003م)[12]، منذر عياشي 2007م)[13]، صابر الحباشة (2007م)[14]، خالد سهر (2009م)[15]، قصي العتابي(2010م)[16]، في حين تُرْجمت عند محمد علي الخولي بعلم الرموز (1982م) وجعله مرادفا للسيميائيات[17]، وصنفه عبدالقادر الفاسي الفهري في معجم المصطلحات باسم الذريعيات[18]، وتُرْجم عند كل من ميجان الرويلي وسعيد البازعي (1995م) بالذرائعية الجديدة[19]، واحتفظ عند كل من: محمود فراج (1998م)[20]، وسعيد بحيري (2003م)[21] ومحمود عكاشة[22] بملفوظه الغربي البراجماتية، ومسعود صحراوي ترجمتها بعلم الاستعمال[23]، وغير ذلك كثير حتى كاد الأمر أن يوصف بالفوضى المصطلحية، فقد تجاوز أمر تعدد الترجمات عند بعض البحاث مجرد الاختلاف في ترجمة المصطلح إلى إظهار نقاط اختلاف واتفاق فيما بيها نتيجة تعدد المنطلقات واختلافها في الدراسة التداولية مما أحدث نوعًا من التداخل بين حقولها وحقول أخرى، وهذا ما أدى إلى اختلاف التسميات وتنوعها خاصة عند ترجمتها إلى اللغة العربية.

وأرجع بعض الدارسين هذا الخلط إلى عدم استقرار المصطلح في الأذهان من جهة، وتباين الفهم له من جهة أخرى نتيجة الاتجاهات العلمية المختلفة، وتعدد القراءات لنصوص بيرس عن مفهومه للتداولية؛ فمن يرى أنها نظرية في المعرفة لاهتمامها بالواقع، ومن يرجعها إلى أصل ميتافيزيقي؛ ونتيجة هذا فقد اقترح بعض البحاث أن يعتمد مصطلح التداولية لأنه الأنسب والأشهر تداولًا ويُتَخَلَّص من غيره من المصطلحات [24].

أما استقرار التداولية مصطلحًا معتمدًا فقد ظهر عند عدد من البحاث العرب منهم: طـه عبدالرحمن (1970م)؛ حيث يُعَدُّ أول المؤسسين العرب للدرس التداولي في العصر الحديث من خلال عدد من المؤلفات[25]، ود. أحمد المتوكل (1985م)[26]، ود. عبدالهادي بن ظافر الشهري (2004م)[27]، ود.مسعود صحراوي (2005م)[28]، ود. محمود أحمد نحلة (2006م)[29]، ولعل اعتماد هذا المصطلح ناتج عن العلاقة بين التداولية المفهوم وبين الجذر اللغوي في العربية (دول) الذي يتناول معاني المداولة والتحول والتناقل والتفاعل مما يستدعي وجود أكثر من حال يتم الانتقال بينها؛ وجميع هذه المعاني تسعى التداولية إلى استكشافها في نظام اللغة واستعمالها[30]، جاء في معاجم اللغة: " دال يدول دالة، ودولًا إذا صار شهرة ...، والانتقال من حال إلى حال، ودالت الأيام أي دارت، وتداولته الأيدي أخذته هذه مرة وهذه مرة، ويقال: تداولنا العمل والأمر بيننا بمعنى تعاورناه فعمل هذا مرة وهذا مرة"[31]؛ والتداولية الانتقال من حال إلى أخرى بتحول اللغة من حال إلى حال بين المتكلم والمخاطب؛ فمدارها مقاصد وغايات المتكلمين.

المطلب الثاني: التخاطب والتداولية ودواعي التحول

تعرضت ترجمة المصطلح (pragmatics)إلى التداوليةلنقدٍ شديدٍ من نواحٍ عدة، حيث شكك د. عبد المالك مرتاض في ملائمة المصدر(تداولية) مصطلح الأجنبي، ويقترح أن يكون التداول دون الياء الصناعية كي لا يتم ترجمة المصطلحين: (pragmatics) و (pragmatism) بصيغة واحدة فيكون التداول للدلالة على الأول؛ أي تداول اللغة، وتكون التداولية للدلالة على المفهوم الثاني المرتبط بالنزعة المذهبية الفلسفية القائمة على النفعية، وبذلك نضمن سلامة الاستخدام العربي في وصف المعاني المتقاربة، وتقبل المصطلحات بالدقة اللازمة[32].

ومن جهة أخرى يعترض محمد محمد يونس علي على مصطلح التداولية بأنه "لم يعرف ارتباطه تاريخيًا بالكلام أو اللغة بل ارتبط عادة بالنقد أو الغنيمة، وقد استخدم في العصر الحديث في معاني أخرها منها التداول في الحكم أي التشاور فيه"[33]، ويرى أن الترجمة المناسبة هي التخاطب[34]، مشيراًإلى أن هذا الخلط ناتج من توهم الباحثين أن مصطلحي (pragmatics) و (pragmatism) شيء واحد؛ والواقع أن المصطلح الأول يطلق على الدراسات التي تعنى بالمعنى في السياقات الفعلية للكلام، وهو ما يتفق مع معناها

الحرفي وهو علم الاستعمال،... أما (pragmatism) فهي مدرسة فلسفية ظهرت في أمريكا تذهب إلى أن الفكرة النظرية لا تجدي نفعًا مالم تكن لها تطبيقات عملية"[35].

ويؤصل محمد محمد يونس علي لهذه الترجمة تراثيًا بربط محتواه بالمكون المعرفي العربي؛ حيث يرى أنه يتفق تماما مع مباحث الاستعمال المقابلة لما يعرف بالوضع عند علماء أصول الفقه، والبلاغيين العرب القدماء. وعلى الرغم من أن الاستعمال في التراث العربي والإسلامي لم يصبح علما لغويا مستقلا كما حدث للوضع، فإن تسميةPragmatiesبعلم الاستعمال قد تكون أفضل من غيرها مما ذكر [36].

كما أنه مما يسوغ ترجمة (pragmatic) بعلم التخاطب كون معناه الحرفي كما يذكر اللسانيون دراسة الاستعمال the study of use .[37]، وأن ترجمته بالتخاطب تراعي ماصدق اللفظ لا مفهومه بالمعنى المنطقي للمصطلحين[38].

والماصدق يطلق في مبادئ التصورات على حقيقة الشيء الذي تنتزع منه الصورة الذهنية أي ما ينتزع منه مفهوم الشيء وبالتالي ما ينطبق عليه المفهوم والصورة الذهنية، أما المفهوم فهو الصورة الذهنية المأخوذة والمنتزعة من حقائق الأشياء، فكل اسم أو حد إما أن يشير إلى موضوع أو موضوعات معينة، وإما أن يشير إلى صفة أو صفات يحتويها ذلك الموضوع أو تلك الموضوعات. والأشياء أو الموضوعات التي يشير إليها الاسم أو الحد تسمى بالماصدق. أما الصفات أو الكيفيات فتسمى بالمفهوم.

وهناك علاقة عكسية بينهما فإذا ضاق المفهوم اتسع الماصدق، وكلما اتسع المفهوم ضاق الماصدق، ورغم هذا فهما مكونان أساسيان من مكونات التصور، وقد ارتبط هذا التفريق عند الغربيين باسم كارناب carnap بالفرق بين المعنى والمسمى، حيث المعنى هو الطريقة التي يعبر بها عن الشيء، والمسمى هو العَلَم الذي يعبر على ذلك الشيء، وقد تولد من هذا التفريق ما سمي بالترادف الإشاري أو الترادف في المسمى والذي يعني اتفاق المرجع الذي يشير إليه اللفظ مع اختلاف معاني الألفاظ المستخدمة في الدلالة عليه[39].

ولا يُعَدُّ محمد محمد يونس علي[40] الوحيد الذي يرى علم أصول الفقه الإسلامي خلفية واضحة لعدد من المفاهيم التداولية، بل هناك عدد كثير من العلماء غيره منهم: عبدالرحمن الحاج صالح[41]، ومنصف دقاشي[42]، و ثروت مرسي[43]، الذين يرجعون فضل السبق في إبراز المفاهيم التداولية إلى الدراسات الأصولية وذلك لاهتمامها بدراسة مقاصد

الخطاب الشرعي، بل إن دراسة المعنى عند الأصوليين تُعَدُّ إسهامًا حقيقيًّا في الدرس اللساني؛ باتخاذها منهجًا علميًّا تجريديًّا أكثر دقة وموضوعية عما كانت عليه عند غيرهم، فالأصوليون الفقهاء لهم الفضل في العناية بأطراف العملية التخاطبية أكثر من عناية اللغويين والنحاة والبلاغيين، وذلك باهتمامهم بأطراف الحكم الشرعي، وضبط مقاصد الخطاب، مع المراعاة لحال المخاطب ومراعاة سياق الموقف الذي قيل فيه والقصد منه، لكي لا يتأول تأويلا بعيدًا عن المقاصد الكبرى للشريعة. وعليه اهتم الأصوليون بالجوانب المقاصدية واللغوية والسياقية، من أجل تحديد حركة المفهوم وحمل المتلقين وعصم مجانبة المراد .فالمطلوب أن يتوارد الإفهام والفهم على نص واحد يكون مقصود الشرع، ولا يكون هذا إلا بتحديد المفاهيم التي تضبط حركة المعنى نحو المقصود المرجح، لذلك اتجهت أبحاثهم في البداية إلى المسائل اللغوية، فحددوا مساراتها وأظهروا تأثيراتها في بيان المراد وفق العربية وأفانينها، وجهودهم " جديرة بأن تصاغ صوغًا علميًّا حديثًا يجاري وربما ينافس أحدث النظريات اللسانية الغربية الحديثة. ومن يقارن بين نظريات الأصوليين الثاقبة في اللغة والتخاطب ليجد ما يبرهن على إمكان ذلك"[44].

والتخاطب مصطلح قديم وجد في التراث العربي، ولا تختلف دلالته كثيرًا عما يُرادُ به في فكر محمد محمد يونس علي؛ حيث كان لنحاة العرب مجموعة من الألفاظ الخاصة يستعملونها للدلالة على المتخاطبين وما يقومان به من أفعال في التخاطب، ثم ما يخص دلائل التخاطب وأكثر هذه الألفاظ ترددًا عندهم: الكلام، المتكلم، المخاطب، الحديث، وجعلوا علامات لأفراد عمليه التخاطب عُرِفت في العربية بالضمائر، جاء في المغني: " المخاطبة مفاعلة ولا تستعمل إلا بين متخاطبين يصح كل واحد منهما أن يخاطب ابتداءً، وأن يجيب صاحبه عن خطابه"[45].

ذكر عبدالرحمن الحاج صالح بعد حديثه عن مصطلح الوضع مستدلا بما جاء عند أبي الحسين بن الطيب (توفي في 436): وبقي هذا اللفظ في الاستعمال بمعناه العام والخاص حتى في زمان أبي الحسين إذ قال عن الحقيقة في مقابل المجاز: ما وضعت له في الاصطلاح الذي وقع التخاطب به وسارت على أقلام الأصوليين بهذا الشكل: اصطلاح التخاطب[46].

ولا تقتصر الإشارات إلى المفاهيم التداولية على علم الأصول بل هي بارزة بوفرة في عدد من كتب التراث وعند عدد من علماء العربية، من أهمهم: الجاحظ وأبو هلال العسكري وابن قتيبة وحازم القرطاجني والسكاكي والجرجاني وغيرهم؛ حيث ركزوا على المرسل والمتلقي والرسالة وعملية التأثير والتأثر والقصد ونوايا المتكلم والفائدة من الكلام والإفهام؛ وهذا جوهر النظرية التداولية؛ فتناوُلُ عملية التواصل أو الاتصال قديم؛ حتى أن بعض البحاث عدَّ التداولية الحديثة بُعْدًا جاحظيًا في أساسه؛ لاهتمام الجاحظ وتركيزه على هذا المستوى في كتابه البيان والتبيين، وعلى عملية التأثير في المتلقي والاقناع والتي سميت عنده بنظرية التأثير والمقام[47].

ولا يُعد من المبالغة إذا قيل بأن لعلماء العربية حق الريادة والسبق في مجال الدراسات التداولية؛ فجميع ما يرتبط بالتواصل اللغوي من الاهتمام بالسامع واعتبار المخاطب، وبيان دور المتكلم في صياغة الخطاب وإنتاجه، والإلمام بالعناصر الفاعلة في الإبلاغ، ومعيار الصدق والكذب في الأساليب والمطابقة مع الواقع وعدمه؛ جميع ذلك مما اهتم به علماء العربية يُعَد من مبادئ التداولية الحديثة، وإن كان تناولهم لجميع هذه المباحث ذو طابع معياري يهتم بالأثر الناتج مباشرة عن الرسالة، والشروط التي تجعل الخطاب ناجحاً[48]، وبعبارة أخرى فإن التداولية حين تعني دراسة اللغة في مجال الاستعمال هي مرادف للبلاغة العربية التي تعني فن القول؛ والقول هو الأداء الفعلي للغة وهذا الأداء مرتبط بالاستخدام الشخصي للغة، وأثر المتكلم على كلامه؛ وبالتالي علاقته بموقف المخاطب، وهو ذات المجال الذي تتناوله التداولية، وما نظرية المقام التي اكتملت أطرها في البلاغة العربية إلا مثال لأهم مبادئ التداولية، حيث لم ينصب الوصف اللغوي على الجملة المجردة من مقامات انجازها؛ بل تم الربط بين المقام والمقال، وبين خصائص الجمل الصورية وخصائصها التداولية؛ فلكل مقام مقال، والكلام يختلف من شخص لآخر، بل يختلف للشخص نفسه إذا تغير حاله وحال من يتلقى منه الكلام. ويربط صلاح فضل بين مقتضى الحال والتداولية بقوله:" ويأتي مفهوم التداولية هذا ليغطي بطريقة منهجية منظمة المساحة التي كان يشار إليها في البلاغة القديمة بعبارة مقتضى الحال، وهي التي انتجت المقولة المشهورة في البلاغة العربية لكل مقام مقال"[49]، فقد عرَف علماء البلاغة مصطلح الحال، ومقتضى الحال، وجعلوه الأس الأهم في اكتمال البلاغة التي تعني مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

وقد ظهر اعتماد السكاكي في كتاب مفتاح العلوم على الاهتمام بالخصائص التداولية تأوليًا؛ مطابقة المقال لمقتضى الحال والربط بين الصياغة اللغوية ومقاماتها الإنجازية، إذ أدرك السكاكي أن أنماط الاستخدام اللغوي وأشكاله، تختلف وتتنوّع بحسب العلاقات الاتصالية ومقتضيات هذا الاتصال، كما عني السّكاكي بتوصيف عناصر العملية التواصلية، فالتفت إلى كلّ ما يحيط بها من سياق لغوي، ومقام تخاطبي، بما يضمّه من ظروف وأحوال، وخطاب، وقد وازن أحمد المتوكل بين مفهوم الطلب عند السكاكي وقواعد الخطاب عند جرايس(50).

كما يلاحظ الدارس إشارات واضحة إلى فكرة القصد الذي هو جوهر تحقق التواصل، وجوهر فلسفة التداولية التي تقوم على التشديد على سمة القصدية والمرادية في الخطاب، وهو ما يؤول إلى القول بأن التفاهم الناجح لا يحدث إلا إذا أدرك المخاطَب مراد المخاطِب، نجد هذا عند كل من حازم القرطاجني وابن سنان الخفاجي حيث لا يعتبران الكلام الذي لا يدل على معنى كلاما، مما يكسب الكلام وظيفة نفعية، وكذلك الأمر عند ابن قتيبة بإشارات إلى أهمية تهيئة المخاطب نفسيًّا ليتقبل ما يقصده الخطاب والانفعال به انفعالًا ظاهرًا؛ ليضع أهم أُسٍّ في قضية التواصل اللغوي(51).

إن مثل هذا العرض ليس تأصيلًا للمفاهيم المعروضة في اللسانيات الحديثة بقدر ما هو عمل ضروري لبيان الامتدادات المعرفية للمنجز العربي، واستكشاف الفضاء العربي للمفاهيم والأفكار اللسانية في الفكر العربي، وهذا ما يظهر للقارئ حين يتصفح مجهودات محمد محمد يونس على في اللسانيات؛ فأولى أصوله المعرفية التي يعتمد عليها هي التراث، وتفعيل مستوى قراءة التراث وتفكيكه وإعادة بنائه وتشييد فلسفة جديدة تختلف عن القوالب الغربية من جهة وتناظرها من جهة أخرى، إذ يصرح بأنه يعمل من أجل تكوين "أصول نظرية متناسقة أنطولوجيا، وإبستمولوجيا، على الرغم من تنوع مصادرها التاريخية، والجغرافية"(52)، ويقصد بذلك وضع الأسس العربية لما أسماه بعلم التخاطب الإسلامي، ثم يُرْجِع تماسكه الفلسفي والمنطقي إلى توليد علم حديث من علم قديم أصيل، في سبيل بناء تخاطب حديث يستمد جذوره وأصوله من التراث العربي الاسلامي، وطرح آراء السلف من علماء التراث على نحو تبدو فيه منافسة حقيقية لأحدثالمدارس اللسانية وهي المدرسة البراغماتية(53).

وقد عُرف علماء العربية بدقة المصطلح، والربط الدقيق بين اللفظ والمعنى والسياق؛ حتى أن فلاسفة وكتاب الغرب أنفسهم لاحظوها وأشادوا بها، ومن ذلك اعتراف أرسطو في الفصل السابع من الكتاب الثاني لخطابة أرسطو الذي عُنْوِنَ بملائمة الأسلوب، وأضاف إليه ما يسميه علماء البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال؛ اعترف فيه أن للعرب الفضل في دقة المصطلحات التي وضعوها وكذلك اختيار الشواهد من كلامهم[54].

إن الارتباط بالتراث والعودة إليه يأتي نتيجة الوعي بالتهديد الذي تشعر به الذات العربية وسط التيارات الفكرية العارمة؛ مما يجعلها تتلمس في تراثها القوة والمناعة والملاذ الآمن. ومن يعود إلى تراثٍ غير تراثه فكأنه يحاول استبدال ثوابته بثوابت غيره، بدعوى الموضوعية والعلمية والعقلانية، فالقوة لا تكون إلا من خلال استنطاق التراث وإعادة تأسيسه، مما سيعيننا على "تقديم نهج جديد في التعامل مع التراث تصغي فيه آذان اللسانيين إلى ما قدمه علماء العرب من تبصرات وآراء ثاقبة في عصر كان يسود فيه الفكر على العاطفة وينزع فيه العالم إلى تقديم الجديد المفيد بدلا من الاكتفاء بالتغني بالقديم العتيق"[55].

المطلب الثالث: التخاطب الإسلامي رؤية وتأسيسًا

بفكرٍ نيّرٍ ناقدٍ، وعقل متفتحٍ، وقراءةٍ كاشفةٍ فاحصةٍ يعلن د. محمد محمد يونس علي عن تأسيس علم جديد أطلق عليه (علم التخاطب الإسلامي)، في كتبه المعنون بـ(علم التخاطب الإسلامي دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص)، والمكون من خمسة فصول، ويُعَدُّ الكتاب أول محاولة لصياغة نماذج الأصوليين للتخاطب، وشرح الوسائل والقوانين التي اتبعوها في العصور الوسطى في تفسيرهم كيفية حدوث التخاطب، وكيف يتوصل إلى فهم ناجح للكلام.

يسير الدكتور محمد محمد يونس علي في تأسيسه لهذا العلم على أصول عديدة من أبرزها أن هذا العلم:

- يستمد مادته من التبصرات العلمية التي خلفها الأصوليون في مجالات اللغة وتحليل الخطاب والنص والفلسفة، والمنطق.
- يربط علم التخاطب بمباحث الاستعمال من مباحث علم الأصول الإسلامي؛ حيث يقصد بها ما يدخل في إطار المباحث التخاطبية تماما، وهو علم فرعي من علم واسع يعرف عربيًّا باسم علم الأصول.

- يناقش مناهج علماء الأصول التخاطبية وفقًا للنظريات اللسانية باستثمار النظريات البراغماتية الحديثة التي تعنى بمسائل اللغة والتخاطب.
- يقرأ قراءة معمقة ودقيقة للأصول الفلسفية الوجودية منها والمعرفية التي تنبثق عنها النظريات اللغوية للأصوليين.
- يصوغ الأصول والنظريات اللغوية التي تبعثرت أجزاؤها وفروعها في كتب الأصول، وغاب عنها السياق النظري الشمولي، والإطار العام الذي يوجه ويفسر تلك الأجزاء والفروع[56].

وهو في هذا الجهد يتخطى بهذا العلم مجرد أن يكون مجرد قراءة للتراث؛ بل هو تأسيس مستقل لدرس لساني عربي، وُجِدَتْ مقدماته في التراث اللغوي العربي؛ فكان الربط بين المقدمات والنتائج مما لا يتعارض مع سمات الممارسة العلمية الأكاديمية.

ولا يفوت الدكتور محمد محمد يونس علي أن يُذَكِّر أنه لم يأتِ بجديد في نهجه هذا بتوليد علم فرعي من علم واسع كعلم الأصول، فلهذا مثال في تراث العربية هو استقلال علم الوضع عن علم الأصول[57]، ثم يذكر فيما يذكر عددًا من المعطيات والحيثيات التي تستدعي نشأة علم التخاطب الإسلامي من أهمها:

- التراكم العلمي والمعرفي لما يتعلق بالمسائل اللغوية والتخاطبية المبثوثة في كتب الأصول.
- عمومية الطرائق الموصلة إلى تخاطب ناجح وتحليل سليم للخطاب؛ مما يفتح الباب لتعميمه على نصوص أخرى النصوص الأصولية، ويوجد مساحات جديدة للبحث.
- عدم وجود مجال مستقل في العلوم العربية لهذا البحث؛ بل هناك فوضى في مجال تحليل الخطاب[58].

وهو بهذا يثير عددًا من القضايا في الفكر اللساني العربي الحديث، ويضيف لبنة لصرحه، ويحث على إعادة قراءة التراث قراءة فاحصة، مما يجعل الباحث يستشعر "حثًا ضمنيًّا على الشروع في صوغ خطاب إسلامي علمي نهضوي راقٍ يُحَسِّنُ صورة التراث الإسلامي، ويظهره على حقيقته الغراء الناصعة البياض؛ لينفض عنه غبار التشويه الذي تكاثفت جهود أعدائه وبعض أنصاره على رسمه وترسيخه في أذهان الكثيرين"[59].

وقد أظهر محمد محمد يونس علي نموذجين تخاطبيين للتخاطب النصي وضعها علماء الأصوليين المسلمين السنة هما أنموذج الجمهور، والأنموذج السلفي، اللذَين يفترضان أن التخاطب الناجح لا يمكن أن يتم بالاقتصار على تركيب الرسائل وتفكيكها، وهي بهذا تضحد الأنموذج الاستنتاجي الذي يقتضي أن التخاطب يتحقق باستخدام دليل، وحمله على محملٍ ما(60).

ويذكر مقدمات هذا العلم لتكون نافذة لكل مستكشف(61):

- مسائله كل العناصر التي تسهم في إحداث التخاطب من وضع، واستعمال، وقرائن، وأنواع الدلالة المختلفة، والنظريات الدلالية ذات الصلة بالاستعمال والسياق.
- غايته معرفة كيفية حصول التفاهم بين المتخاطبين.
- مبادؤه هي قضايا اللغة ذات الصلة به والتي تبحث في فقه اللغة، والصرف، والنحو، والبلاغة، واللسانيات، وتحليل الخطاب والنص، وعلم الأصول، وعلم التفسير، وعلم الحديث، والمنطق، والفلسفة.
- جوهر فلسفته قائمة على التشديد على سمة القصدية والمرادية في الخطاب.

فهذا العمل الجبار يعد نقلة نهضوية تنتقل بالعقل العربي من مصاف المستوردين للمعرفة من الغرب إلى مصاف المصدرين، ومن دواعي إخلاص بنائه وبيان استقلاليته تحديد علاقته بالعلوم الأخرى التي يمكن أن يتداخل معها، ويضبط ذلك بالتفريق بينه وبين علم الدلالة الذي يدرس المعنى وفقًا للوضع فقط وبمعزل عن السياق والمقامات التخاطبية التي يهتم بها علم التخاطب، " وهو تفريق شبيه بتفريق علماء أصول الفقه المسلمين بين علم الوضع والاستعمال، فكل من الوضع والدلالة يدرس المعنى بمعزل عن السياق وكل من الاستعمال والتخاطب يدرس اللغة في سياقاتها الفعلية"(62).

وهذا راجع لأن مهمة هذا العلم هو دراسة اللغة عند الاستعمال في الطبقات المقامية المختلفة، وهذه الدراسة لا تنحصر ضمن الكينونة اللغوية بمعناها البنيوي الضيق، وإنما تتجاوزها إلى أحوال الاستعمال في الطبقات المقامية المختلفة حسب أغراض المتكلمين وأحوال المخاطبين، وعلاقة كلٍ بالآخر بكل ما يعتري هذه العلاقة من ملابسات وشروط مختلفة.

ولأن هذا العلم نُعِتَ بالإسلامي؛ فإن هذا النعت يعطيه خصوصية فريدة، ويُوجِد له من لا ينسجم معه؛ ممن يختلف منهجهم في التعامل مع النص عما هو موجود في

البراغماتية، وهذا ما تفطن له محمد محمد يونس علي فذكرهم، وذكر أسباب عدم ارتياحهم لولادة علم تخاطب إسلامي، بل يوجد منفذًا عقلانيًا للتواصل معهم، وهم: البحاث الذين يفضلون المنهج الباطني في تحليل النصوص؛ وسبب عدم ارتياحهم هو تجاوزهم لعنصر القصد أو المراد، وأهل التقليد الذين يغلقون باب الاجتهاد(63).

وعليه فليس من المبالغة يعد مصطلح التخاطب ناتج من سياق ميتودلوجي وابستمولوجي واضح.وأنه مبني على أسس استدلالية منطلقة من مقدمات واضحة وصريحة.

إن الموقف الوسطي الذي يسير عليه د. محمد محمد يونس الذي يعتمد الاستفادة من حداثة اللسانيات الغربية مع استثمار ما أنتجته أعمال النحاة واللغويين من نظريات مهمة في معالجة ظواهر اللغة العربية إن هذا الموقف لهو من أهم المواقف التي تحتاجها لبناء خطاب لساني يسهم فعليًّا في معالجة اللغة العربية وخدمة قضاياها التركيبية والمعجمية والصوتية والدلالية دون الوقوع في القراءات الإسقاطية التعسفية.

انطلاقًا من أهمية السياق، وكون مقاصد المتكلمين لا يمكن التوصل إليها إلا عن طريق معرفة السياقات التي قيل فيها الكلام، ومعرفة المخاطِب والمخاطَب، وإعمال القدرات الاستنتاجية التي يمتلكها المخاطب عند التعامل مع الكلام.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بفضله تتم الأعمال، وبتوفيقه تكتمل الرغبات والآمال، ونرجو منه السداد والتوفيق وحسن المآل وبعد ...

فقد كان محتوي البحث قراءة وصفية تحليلية لفكر الدكتور محمد محمد يونس على اللساني من خلال ماقدمه للمكتبة العربية من علم تحت عنوان علم التخاطب الإسلامي، وخرجت هذه القراءة بعدد من النتائج من أهمها الآتي:

- أن التراث زاخر بعديد من الإشارات لأهم مباديء التداولية، ولا يُعَدُّ من المبالغة إذا قيل بأن لعلماء العربية حق الريادة والسبق في مجال الدراسات التداولية.
- يُعَدُّ علم أصول الفقه الإسلامي مرجعًا مهمًا لأبرز المفاهيم التداولية، نظرًا لاهتمام علمائه بدراسة مقاصد الخطاب الشرعي.
- للدكتور محمد محمد يونس علي سبق الريادة في ربط المباحث التداولية بالفكر الأصولي العربي من خلال كتابه علم التخاطب الإسلامي.

ويقتضي الدرس البحثي أن تكون من أهم توصياته:

- تسليط المزيد من الأضواء على التراث العربي بجميع جوانبه، وإعادة قراءته قراءة تحليلية فاحصة، وربطه بالعلوم الحديثة في مجال اللسانيات.
- قراءة الفكر اللغوي عند علماء العربية الليبيين، وكتابة بحوث عن انتاجهم، وعقد ندوات ومؤتمرات للإنتاج الفكري اللغوي الليبي.

الهوامش :

---

*محمد محمد يونس علي دكتور في اللسانيات من جامعة إدنبرا ببريطانيا، رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الشارقة، أستاذ اللسانيات المشارك في جامعة الشارقة، درَّسَ في جامعة الفاتح طرابلس، وجامعة ادنبره في بريطانيا، وجامعة زايد وجامعة الشارقة في دولة الإمارات العربية المتحدة، نقلا عن مدونة المؤلف.

[1] – يُنْظَر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 204/1.

[2] – عبدالملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2007م، ص390.

[3] – يُنْظَر: المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، المنظمة العربية للتربية والتعليم، تونس، 1989م، ص111، آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس _ محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2003م، ص27_28، فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار، سوريا،ط2007،1م، ص20_22.

[4] – جميل صليبا، المعجم الفلسفي، 203/1.

[5] – عبدالهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، 2004م، ص24.

[6] – يُنْظَر: مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، دار الطليعة، ط1، بيروت 2005م، مقدمة الكتاب، ص5.

[7] – يُنْظَر: المرجع السابق، ص17.

[8] – ينظر: حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، 2002م، ص162،

نعمان أبوقرة، المدارس اللسانية، مكتبة الآداب، القاهرة،2004م، ص59،182.

[9] – ينظر: محمد محمود السيد أبو حسين، الدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة دار الفكر العربي، القاهرة، 2010م، ص12 ومابعدها.

[10] – يُنْظَر: فرانسواز أرمينكو ، المقاربة التداولية، مركز الإنماء القومي، الرباط، 1986م، ص4.

[11] – يُنْظَر: فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، أفريقيا الشرق، المغرب، 2000م، ص225 ومابعدها.

[12]– يُنْظَر: آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص27 ومابعدها.

[13] – يُنْظَر: أوزوالد ديكرو وجان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء المغرب، 2007م، ص233.

[14] – يُنْظَر: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ص17.

[15] – يُنْظَر: جون. ك آدمز، التداولية والسرد، دار الشئون الثقافية العامة، ط1، بغداد،2009م،ص7.

[16] – يُنْظَر: جورج يول، التداولية، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت، 2010م، ص20.

[17] – يُنْظَر: محمد علي الخولي، معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، بيروت، 2009م، ص222.

[18] – يُنْظَر: عبدالقادر الفاسي الفهري، المصطلح اللساني، الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، تونس،1986م، ص552.

[19] – يُنْظَر: ميجان الرويلي وسعيد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ط1، السعودية، 1995م، ص89.

[20] – يُنْظَر: يول، معرفة اللغة، دار الوفاء، ط1، الأسكندرية،2000م، ص125.

[21]– يُنْظَر: زتسيسلاف واورزنياك،مدخل إلى علم النص، تر: سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة،2010م، ص422.

[22] – يُنْظَر: النظرية البرجماتية اللسانية(التداولية)دراسة المفاهيم والنشأة والمباديء، مكتبة الآداب، القاهرة،دط،2013م، ص3 ومابعدها.

[23] – مسعود صحراوي، التداولية عند العرب، ص16.

[24] – يُنْظَر: التداولية من أوستن إلى غوفمان، ص17، محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر، جولدمان، القاهرة، 1996م، ص76.

[25] – يُنْظَر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2007م، ص148.

[26] –يُنْظَر: الوظائف التداولية في اللغة العربية، الدار البيضاء، 1985م، ص5.

[27] – يُنْظَر: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص21.

[28] – يُنْظَر: التداولية عند العلماء العرب، ص15 وما بعدها.

[29] – يُنْظَر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2006م، ص9.

[30] – نعمان أبو قرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2009م ص161.

[31] – يُنْظَر: ابن منظور، لسان العرب، مادة دول.

[32] – يُنْظَر: عبدالملك مرتاض، تداولية اللغة بين الدلالية والسياق، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، الجزائر، 2005م، ص66-67.

[33]– محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتب الجديدة المتحدة، ط1، بيروت لبنان، 2004م.هامش ص103.

[34]المرجع السابق نفسه.

[35] – المرجع السابق نفسه.

[36] – يُنْظَر: محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص6.

[37] – يُنْظَر: المرجع السابق، ص5، علم التخاطب الإسلامي، ص8.

[38] – يُنْظَر: المرجع السابق، ص6.

[39]– يُنْظَر مثلًا:علي عبد المعطي محمد،مقدمات في الفلسفة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1، 1985م، ص 65.

[40]– يُنْظَر: محمد محمد يونس علي، علم التخاطب الإسلامي، دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص، دار المدار الإسلامي، ط1، 2006م.

[41] – يُنْظَر: عبدالرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال في العربية، سلسلة علوم اللسان عند العرب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 2012م.

[42] – يُنْظَر: منصف دقاشي، علم التخاطب في مناظرات ابن تيمية، مذكرة لنيل درجة الماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2014م.

[43] – يُنْظَر: ثروت مرسي، في التداوليات الاستدلالية: قراءة تأصيلية في المفاهيم والسيرورات التأويلية، دار كنوز المعرفة العلمية، الأردن، 2018م.

[44] – محمد محمد يونس علي، علم التخاطب الإسلامي، ص13-14.

[45] – 29/7.

[46] – يُنْظَر: عبدالرحمن الحاج صالح،الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، ص31.

[47] – يُنْظَر: محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، المغرب،1999م، ص293.

[48] – يُنْظَر: محمد سويرتي، اللغة دلالاتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي، مقال، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج28، ع3، يناير- مارس،2000م، ص30.

[49] – يُنْظَر: محمود مكي علي، بلاغة وعلم النص، أدبيات، الشركة المصرية العالمية، لونجمان، ط1، 1996م، ص26.

[50] – يُنْظَر: اقتراحات من الفكر اللغوي العربي القديم لوصف ظاهرة الاستلزام التخاطبي، البحث اللساني والسيميائي، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 6، جامعة محمد الخامس، المغرب ، ماي 1981م.

[51] – يُنْظَر: محمد أديوان، نظرية المقاصد بين حازم ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة، مجلة الوصل، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة تلمسان، ع1، جانفي1994م، ص25-26.

[52] – محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط1، 2004م، ص6.

[53] – المرجع السابق، ص7.

[54] – يُنْظَر: البدراوي زهران، عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني، دار المعارف، القاهرة، 1987م، هامش ص238.

[55] – محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص6.

[56] – يُنْظَر: محمد محمد يونس علي، علم التخاطب الإسلامي، ص7، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص15.

[57] – يُنْظَر: محمد محمد يونس علي، علم التخاطب الإسلامي، ص8.

[58] – يُنْظَر: المرجع السابق، ص9.

[59] – يُنْظَر: المرجع السابق، ص13.

[60] – يُنْظَر: المرجع السابق، ص293-294.

[61] – يُنْظَر: المرجع السابق، ص8-9.

[62] – مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص14.

[63] – يُنْظَر: محمد محمد يونس علي، علم التخاطب الإسلامي، ص10–11.

قائمة المراجع :أولا: الكتب العربية:

1. أحمد المتوكل:_الوظائف التداولية في اللغة العربية، الدار البيضاء، 1985م. _اقتراحات من الفكر اللغوي العربي القديم لوصف ظاهرة الاستلزام التخاطبي، البحث اللساني والسيميائي، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 6، جامعة محمد الخامس، المغرب ، ماي 1981م.
2. البدراوي زهران، عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني، دار المعارف، القاهرة، 1987م.
3. ثروت مرسي، في التداوليات الاستدلالية: قراءة تأصيلية في المفاهيم والسيرورات التأويلية، دار كنوز المعرفة العلمية، الأردن، 2018م.
4. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
5. حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، 2002م.
6. طه عبدالرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2007م.
7. عبدالرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 2012م.
8. عبدالقادر الفاسي الفهري، المصطلح اللساني، الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، تونس،1986م.
9. عبدالملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2007م.
10. عبدالهادي ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، 2004م.
11. علي عبد المعطي محمد، مقدمات في الفلسفة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1، 1985م.
12. محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، المغرب،1999م.

13.محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر، جولدمان، القاهرة، 1996م.
14.محمد محمد يونس علي: علم التخاطب الإسلامي، دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص، دار المدار الإسلامي، ط1، 2006م. مدخل إلى اللسانيات، دار الكتب الجديدة المتحدة، ط1، بيروت لبنان، 2004م. مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط1، 2004م.
15.محمد محمود السيد أبو حسين، الدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة دار الفكر العربي، القاهرة، 2010م .
16.محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2006م.
17.محمود عكاشة، النظرية البرجماتية اللسانية(التداولية)دراسة المفاهيم والنشأة والمباديء، مكتبة الآداب، القاهرة،دط،2013م.
18.محمود مكي علي، بلاغة وعلم النص، أدبيات، الشركة المصرية العالمية، لونجمان، ط1، 1996م.
19.مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، دار الطليعة، ط1، بيروت 2005م.
20.ميجان الرويلي وسعيد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ط1، السعودية، 1995م.
21.نعمان أبو قرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2009م

المدارس اللسانية، نعمان أبوقرة، مكتبة الآداب، القاهرة،2004م.

ثانيًا: الكتب المترجمة:

1. آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس _ محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2003م،
2. أوزوالد ديكرو وجان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء المغرب، 2007م
3. جورج يول، التداولية، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت، 2010م.

4. جون. ك آدمز، التداولية والسرد، دار الشئون الثقافية العامة، ط1، بغداد،2009م.
5. زتسيسلاف واورزنياك، مدخل إلى علم النص، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة،2010م
6. فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، أفريقيا الشرق، المغرب، 2000م
7. فرانسواز أرمينكو ، المقاربة التداولية، مركز الإنماء القومي، الرباط، 1986م
8. فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار، سوريا،ط1،2007م.
9. يول، معرفة اللغة، دار الوفاء، ط1، الأسكندرية،2000م.

ثالثًا: المعاجم:

1. لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، مصر.
2. المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، المنظمة العربية للتربية والتعليم، تونس، 1989م.
3. معجم علم اللغة النظري، محمد علي الخولي، مكتبة لبنان، بيروت، 2009م.

رابعا: المجلات: 1-عبدالملك مرتاض، تداولية اللغة بين الدلالية والسياق، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، الجزائر، 2005م،

2- محمد سويرتي، اللغة دلالاتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي، مقال، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج28، ع3،يناير- مارس،2000م.

3-محمد أديوان، نظرية المقاصد بين حازم ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة، مجلة الوصل، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة تلمسان، ع1، جانفي1994م.

خامسًا: رسائل أكاديمية: 1.منصف دقاشي، علم التخاطب في مناظرات ابن تيمية، مذكرة لنيل درجة الماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2014م.

مظاهر التطوُّر الدلاليِّ للألفاظ في اللهجة الليبيَّة
(لهجة الجبل الأخضر أنموذجًا)

أ . خديجة عبد القادر عمر
محاضر بقسم اللغة العربيَّة، كليَّة الآداب،
جامعة عمر المختار

Abstract

This studyaims to investigate the semantic developments in the vernacular words (colloquial Arabic) and structures of the Libyan dialect descended from the Modern StandardArabic (MSA).The approach the researcher used was tocompare the emerging Libyan vernacular words with the MSA analyzing its semantic factors.The studyconsists ofthree parts: introduction, two issues, and a conclusion. The introduction tackled the problematic area of the study, the methodology followed, and the layout of the research.The first issued discussed was about the meaning of semantic change, its causes, types and consequences, while the second was devoted to the definition of the vernacular dialect, and the application of those changes to the Libyan dialect.The conclusion resulted in that these vernacular words fall under theMSA. In conclusion, the researcher recommended studying the phonological aspects in the Libyan dialect and the loss of some eloquent voices. It also recommended that Libyan linguistics prepare a special dictionary of Libyan words that are rarely used – to dominate the effects of modernity, explaining their meanings and following it with poetry and proverbs; so that no day comes when we are a people without memory!

Keywords:language development, connotation, dialect, slang, fluent.

ملخص البحث

هذا البحث مخصَّصٌ لدراسة التطوُّرات الدلاليَّة التي طرأت على الألفاظ والتراكيب العاميَّة الليبية المنحدرة من اللغة الفصحى، اعتمدت الباحثة فيه على المنهج الوصفي، ثمَّ المقارن، في استقراء مظاهر التطوُّر الدلالي ووصفها وتحليلها ومقارنتها بالألفاظ العاميَّة. وقد جاء هذا البحث في مقدِّمة ومطلبين وخاتمة، أمَّا المقدمة فاحتوت على إشكاليَّة الدراسة، والمنهج المتَّبع، وهيكليَّة البحث، وتحدَّث المطلب الأوَّل عن معنى التغيُّر الدلالي، وأسبابه، وأنواعه والنتائج المترتبة عنه.

والمطلب الثاني خُصِّص للتعريف باللهجة العاميَّة، وتطبيق تلك التغيُّرات عليها، وحوت الخاتمة أهمَّ النتائج أنَّ العاميَّة بنت الفصحى.

وأوصت الباحثة في الختام **بدراسة الظواهر الصوتيَّة** في اللهجة العاميَّة الليبيَّة، وما وقع فيها من ضياع بعض الأصوات الفصيحة، والإبدال الجائز والممتنع في ضوء قانوني المماثلة والمخالفة الصوتيَّة، وأوصت كذلك **بتضافر جهود المختصِّين** لإعداد معجم خاصٍ بالألفاظ الليبيَّة التي ندر استعمالها – لطغيان آثار الحداثة – وبيان معانيها وإتباعها بالشواهد النثريَّة والأمثال؛ حتَّى لا يأتي يوم نكون فيه شعبًا بلا ذاكرة!

الكلمات المفتاحيَّة: تطوُّر، دلالة، لهجة، عاميَّة، فصيحة.

مقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيِّدنا محمَّد أفصح الناطقين، وأبلغ المتكلِّمين، وعلى آله الطيِّبين الطاهرين، وأصحابه الغرِّ الميامين.

أمَّا بعد:

فاللغة كائن حيٌّ يعيش على ألسنة المتكلِّمين، تزيد وتنقص؛ فقد تفقد أصواتًا وكلمات، وقد تستحدثها أو تغيِّرها؛ لأنَّ الألفاظ لم تُخلق لتدوم على معنىً واحد غير قابل للتطوُّر؛ وإلَّا لبقيت على حالها جيلًا بعد جيل دون تغيُّرٍ أو تحوُّلٍ؛ وهذا التحوُّل لا يقع تبعًا للمصادفات والأهواء، بل يخضع في سيره لقوانين جبريَّة ثابتة مطَّردة النتائج، فليس في يد الأفراد أن يوقفوا تطوَّر لغة ما، أو يجعلوها تجمد على وضع محدَّد، أو يسيروا بها في سبيل غير السبيل الذي رسمتها لها سنن التطوُّر الطبيعيّ[1].

ويعدُّ علم الدلالة من أهمِّ مستويات اللغة[2]، فإذا كان المستوى الصوتيُّ يهتمُّ بدراسة الأصوات اللغويَّة حال إفرادها وتركيبها مع غيرها، والمستوى الصرفيُّ يتولَّى دراسة بنية الكلمة، والمستوى النحويُّ يدرس تراكيب الجمل في سياقات مختلفة؛ فإنَّ المستوى الدلاليَّ يدرس معاني المفردات والجمل وما يُحيل هذه المعاني عن دلالاتها، وما يُحدثه تغيير حرف بحرف أشدَّ منه صفة ومخرجًا على دلالة الكلمة، فلغة من دون معنى تُعدُّ لغوًا لا قيمة لها؛ لذلك لم تقتصر دراسة المعنى على اللغويّين فقط، بل امتدَّت لتشمل الفلاسفة وعلماء النفس وواضعي القوانين.

وتعدُّ اللهجة العاميَّة إحدى مستويات اللغة، وعلى اللغويّين إصلاح الفاسد والمنحرف منها، وتهذيبها، وإعادتها إلى الفصحى قدر الإمكان، أمَّا الهروب من هذه الانحرافات وتجاهلها فلا يصلح ما فسد من اللغة، هل لك أن تتخيَّل هروب الطبيب من التعامل مع المرضى واكتفاءه بالأصحَّاء؟!

من أجل ذلك خُصِّص هذا البحث لدراسة التغيُّرات الدلاليَّة التي طرأت على الألفاظ والتراكيب العامِّيَّة المنحدرة من اللغة الفصحى، وقد اتَّخذت من لهجة أهل الجبل الأخضر حقلًا للدراسة، معتمدة على المنهج المقارن التحليليّ[3]، وقد جاء في مقدِّمة ومطلبين وخاتمة:

أمَّا المقدِّمة فاحتوت على إشكاليَّة الدراسة، والمنهج المتَّبع، وهيكليَّة البحث.

وتحدَّث المطلب الأوَّل عن معنى التغيُّر الدلاليِّ، وأسبابه، وأنواعه، والعوامل المؤثِّرة فيه، والنتائج المترتِّبة عليه.

والمطلب الثاني خُصِّص للتعريف باللهجة العاميَّة، وتطبيق تلك التغيُّرات عليها.

واحتوت الخاتمة على النتائج التوصيات.

المطلب الأوَّل:
التغيُّر الدلاليُّ، أسبابه، وأنواعه، والنتائج المترتِّبة عليه

يمكن أن نعرِّف التغيُّر الدلاليَّ بأنَّه التغيُّر الذي يطرأ على اللغة في معنى الكلمات والتراكيب ودلالاتها وأصواتها مع تطوُّر الزمن، تبعًا للتغيُّرات التي تطرأ على الحياة الإنسانيَّة، سلبًا أو إيجابًا، في كافَّة نواحيها، فهذا التطوُّر في اللغة مستمرٌّ باستمرار الحياة وتفاعلها الحضاريِّ[4]، وسمَّاه المحْدَثون (علم الدلالة التاريخيَّ)، ويظهر هذا المعنى في تعريف **(بالمر)** بأنَّه: علم يُعنى بدراسة تغيُّر المعنى عبر الزمن[5].

لكنَّ معاجمنا اللغويَّة أغفلت هذا التطوُّر الدلاليَّ للكلمات؛ إذ وقفت بالألفاظ عند معانيها الأصليَّة في آخر القرن الثاني الهجريِّ في المدن، والرابع في البوادي، لذلك جاء اللاحق منها مكرِّرًا أو مفصِّلًا للسابق، ولم يُنظر إلى التغيُّر الذي حصل في دلالات بعض الكلمات.

أوَّلًا– أسباب التطوُّر الدلاليّ

إنَّ تطور الأمم في حياتها سياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا يحتِّم عليها استعمال ألفاظ جديدة، أو إضافة دلالات جديدة لبعض الكلمات والتراكيب، ولهذا التطوُّر أو التغيُّر أسباب ذكرها د. عارف حجازي في كتابه (التغيُّر الدلاليّ)[6] يمكن أن نلخِّصها في الآتي:

1- **الاستعمال:** تؤثِّر طريقة الاستعمال على تغيُّر الدلالات:

أ- فكثرة استعمال الكلمة يجعلها عرضة لتغيُّر دلالتها؛ حيث تحمل معنىً مختلفًا ودلالة جديدة في كلِّ جملة.

ب- وكذلك شأن ابتذال الكلمة، ونعني به كثرة استعمال الكلمة على ألسنة العوامِّ، وهو ما يؤدِّي إلى انحطاطها وانحدارها إلى دلالة ذات قيمة أقلَّ ممَّا كانت عليه سابقًا.

ت- وتغيير أصوات الكلمة من شأنه تغيير دلالتها أيضًا، فكلمة (كماش) الفارسيَّة تعني القطن الخشن، تغيَّر صوت الكاف إلى القاف لتصبح (قماش) التي تدلُّ على أراذل الناس ومتاع البيت، ثم تغيَّرت دلالتها لتكون القماش من الحرير وغيره.[7]

2- **الحاجة:** تعدُّ الحاجة سببًا رئيسًا من أسباب التغيُّر الدلاليِّ، ومن ذلك ما يقوم به المتحدِّثون من إضفاء دلالات جديدة على بعض الألفاظ التي تطلبها الحضارات

الجديدة، حيث تنشأ كلمات جديدة، أو تتغيَّر دلالة بعض الكلمات اتِّساعًا، أو ضيقًا، أو انتقالا، حسب مقتضى الحاجة، وهو ما عبَّر عنه ابن جنِّي بقوله: "اختراع الصنَّاع لآلات صنائعهم"[8].

3- **الدين:** أدَّى مجيء الإسلام إلى ظهور دلالات جديدة في كلمات اللغة وترك دلالات أخرى، كالتغيُّر الحاصل في ألفاظ الصلاة والزكاة والصوم والحجِّ وغيرها.

4- **تعدُّد اللهجات العربيَّة:** من المعلوم أنَّ العرب قبائل تعيش متفرِّقة، وبسبب هذا البعد اختلفت بعض المفاهيم والألفاظ، فاللفظ الواحد يختلف مدلوله بين القبيلتين.

5- **اختلاف الفهم:** الفهم الخاطئ للكلمة يتسبَّب في تغيُّر دلالتها الأصليَّة، فاللفظ الغريب على السمع يوحي إلى الذهن دلالة أخرى لا تمتُّ إلى المعنى الذي في ذهن المتكلِّم، وقد لا تصحَّح هذه الدلالة عند السامع فتبقى مرتبطة في ذهنه بالدلالة الجديدة التي ابتدعها حسب مفرداته وقاموسه اللغويِّ، من ذلك كلمة (عتيد) نجدها مرتبطة في أذهان الكثيرين بمعنى عتيق وعنيد؛ بسبب القياس الخاطئ على هاتين الكلمتين[9].

6- **السياق:** هناك دلالات جديدة لبعض الكلمات لا تظهر إلَّا في سياق الجملة، فتكون فرصة تغيُّرها أوسع، فتبتعد الكلمة عن دلالتها الأصليَّة بسبب المعنى الزائف الذي يضاف إليها[10].

7- **الابتداع:** نجد هذا المسبِّب عند الشعراء والكتَّاب والمؤلِّفين لتوضيح معنىً غامض أو تقوية معنىً ضعيف، ويكون هذا الابتداع في التراكيب؛ من ذلك قولهم: (عصيُّ الدمع) للدلالة على القسوة، و(كثير الرماد) للدلالة على الكرم، و(طويل اليد) للدلالة على الفضل.

8- **العوامل النفسيَّة والعاطفيَّة:** ومنها التشاؤم والتفاؤل،وهما غريزتان إنسانيَّتان ترتبطان بمشاعر الخوف والهلع والكراهية، والأمل والرجاء والتمنِّي، فنجد المتكلِّم يتهرَّب من لفظ كلمة ما تشاؤمًا، ويختار كلمة أخرى لها الدلالة ذاتها، ونجد المتفائل يستبدل كلمة بأخرى تفاؤلًا، فيقول: (البصير) للأعمى، و(السليم) للملدوغ، وغير ذلك[11].

ثانيًا – أنواع التغيُّر الدلالي

هو تغيُّر أو تطوُّر في معنى الكلمة، ينحصر في اتِّساعها، وضيقها، ورقيِّها، وانتقالها، وانحطاطها، وتتداخل هذه المظاهر فيما بينها تداخلًا كبيرًا:

1- **اتِّساع الدلالة** (تعميم الدلالة): وهو أن تتغيَّر دلالة الكلمة التي كانت تطلق على معنى، أو نوع، أو فرد، أو جنس معيَّن، لتطلق على المعنى أو النوع أو الجنس كلِّه، من ذلك اتِّساع الدلالة في كلمة (البأس) التي تعني الشدَّة في الحرب، لتدلَّ على كلِّ شدَّة، وكلمة (الغاب) التي تعني القصب، اتَّسعت لتدلَّ على كلِّ شجر ملتفٍّ، وكلمة (وَرْد) التي تعني نوعًا محدَّدًا من الأزهار، أصبحت تطلق على جميع الأزهار.

2- **تضييق الدلالة** (تخصيص الدلالة): هو تحويل الدلالة من المعنى الكلِّيِّ إلى المعنى الجزئيِّ وتضييق مجالها، فكلمة (السبت) التي كانت تعني الدهر، خُصِّصت لتدلَّ على يوم واحد من أيَّام الأسبوع، وكلمة (الحجِّ) التي كانت تطلق على السفر إلى أيِّ مكان، خُصِّصت بالسفر إلى البيت الحرام.

3- **انتقال الدلالة**(نقل المعنى): هو انتقال معنى الكلمة من معناها الأصليِّ إلى معنى آخر بينه وبين المعنى الأصليِّ علاقة[12]، ويعتمد هذا الانتقال على وجود علاقة مجازيَّة مشابهة أو غير مشابهة، فمن أمثلة انتقال الدلالة للتشابه كلمة (البيت) الدالَّة على المسكن، انتقلت لتدلَّ على بيت الشِّعر، ومن أمثلة انتقال المعنى لعدم وجود المشابهة كلمة (المكتب) الدالة على المكان الخاصِّ بالكتابة، انتقلت لتدلَّ على بعض المصالح الحكوميَّة.

4- **ارتقاء الدلالة:** هو التغيُّر المتسامي بتغيير معانٍ كانت عاديَّة أو ضعيفة إلى معانٍ قويَّة أو شريفة، ومن ذلك كلمة (الشاطر) تدلُّ على من أعيا مؤدِّبه وأهله خبثًا، تطوَّرت لتدلَّ على المثابر الذكِّيِّ، وكلمة (الرسول) تطلق على كلِّ من يحمل الرسالة من شخص إلى آخر، ارتقت لتدلَّ على صاحب الرسالة السماويَّة.

5- **انحطاط الدلالة**(انحدار الدلالة): هو ضعف يصيب الألفاظ فتفقد شيئًا من رونقها وهيبتها؛ لكثرة استعمالها ودورانها على الألسنة، وهو تغيُّر دلاليٌّ معاكس لرقيِّ الدلالة؛ حيث يتغيَّر معنى اللفظ من قوَّة وسموٍّ وتأثير في الأسماع إلى معنىً ضعيف ومبتذل، مثل كلمة (الأستاذ) التي تعني معلِّم الصناعة ورئيسها،

انحدرت لتطلق على كلِّ رجل، وكلمة (الحاجب) التي كانت تطلق على رئيس الوزراء في الدولة الأندلسيَّة، تطوَّرت دلالتها لتطلق على الخادم[13].

ثالثًا: النتائج المترتِّبة على التغيُّر الدلاليِّ

أدَّى هذا التطوُّر في دلالات الألفاظ والتراكيب إلى ظهور ألفاظ جديدة، واندثار أخرى كانت دارجة على ألسنة الناطقين والمستعملين للغة.

1- **نشأة ألفاظ جديدة:** كان التطوُّر العلميُّ سببًا في ظهور مخترعات كثيرة في مجالات علميَّة مختلفة أدَّى إلى ضرورة اقتراض ألفاظ تلك المخترعات من اللغات الأخرى؛ وكان هذا سببًا رئيسًا في إحياء ألفاظ تناسى المتكلِّمون استعمالها، وألزمهم هذا التطوُّر بالرجوع إليها بعد أن كانت مهجورة، فكلمة (الراديو) التي اقترضها المتحدِّثون من اللغة الانجليزيَّة ساهمت في إحياء مقابلها العربيِّ (المذياع)، وكلمة (موبايل) ساهمت في نشأة كلمة (الهاتف) بدلالتها الجديدة، وهكذا[14]...

2- **موت كلمات كانت موجودة في اللغة:** أدَّى التطوُّر الزمنيُّ واستحداث كلمات ودلالات جديدة إلى موت دلالات وكلمات أخرى، فبعد تطوُّر أسماء الشهور وأيَّام الأسبوع بظهور الإسلام ماتت أسماؤها التي كانت مستعملة في الجاهليَّة؛ فعدم استخدام الكلمة أدَّى إلى انقراض مدلولها.

وتموت الألفاظ لأسباب عديدة من أبرزها: العامل الصوتيُّ، والعامل الدلاليُّ، والاستغناء، والعامل الدينيُّ، والعامل الاجتماعيُّ، ويعدُّ العامل الدلاليُّ هو العامل الفعَّال فيما يتَّصل بإماتة الألفاظ، وإليه يعود موت كثير من الألفاظ المشهورة في العربيَّة بسبب زوال المعنى، وقد أشار إلى هذا الخطر الدكتور عبد الرازق الصاعدي في كتابه (موت الألفاظ) منشورات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وضَّح مؤلفه الممات من الأسماء والأفعال، وبيَّن سبب موت هذه الألفاظ فقال: "العنصر الصوتيُّ والقيمة الدلالية هما ما يعطيان الحياة للكلمة أو يسلبانها إيَّاها فتترك ويُستغنى عنها ثمَّ تموت"[15] ، ومن قبله البروفيسور ديفيد كريستال في كتابه (موت اللغة) تناول فيه ظاهرة موت اللغات، وأسبابها، وطرق انتشال اللغات التي توشك على الموت والانقراض[16].

المطلب الثاني:

مظاهر التغيُّر (التطوُّر) الدلاليّ في اللهجة العامِّيَّة.

أوَّلًا – معنى اللهجة العامِّيَّة

اللهجة العامِّيَّة هي الطريقة التي يستخدمها السواد الأعظم من الناس، وتجري بها كافَّة تعاملاتهم الكلاميَّة، وهي عادة لغويَّة في بيئة خاصَّة، تكون هذه العادة صوتيَّة في غالب الأحيان[17]، وتختلف من منطقة إلى أخرى، وتتميز بأنَّها شفويَّة غير مكتوبة، لجأ العامَّة إليها واعتبروها لغة التخاطب اليوميّ، فاللهجة مستويات محلِّيَّة للكلام تبعد إلى درجة كبيرة أو صغيرة عن المستوى المعياريّ[18]، والفرق بينها وبين اللغة أنَّها لا تخضع للقواعد الصرفيَّة والنحويَّة التي تخضع لها اللغة الفصيحة.

لكنَّ بعض اللغويّين يتعامل مع العامّيَّة باستخفاف متناسيًا أنَّها إحدى مستويات اللغة، وأنَّ من واجبه الخوض في ميدانها، وإصلاح سقيمها، فاللغة التي يحارب أبناؤها التوليد اللفظيَّ والدلاليَّ فيها تموت وتندثر تدريجيًّا؛ لأنَّ التوليد هو المظهر الحيُّ في اللغة، والدليل على مرونتها وقدرتها على إنتاج الألفاظ والدلالة والمصطلحات واستيعاب كلِّ جديد، فهي رافد مهمٌّ من روافد الأدب والثقافة وصناعة الأمثال.

ومن أهمِّ الأسباب التي أدَّت إلى ظهورها ما يأتي:

1- اتِّساع الرقعة الجغرافيَّة للمتكلِّمين بلغة ما يقلِّل التواصل بينهم، فتبدأ اللغة بالتغيُّر تدريجيًّا ممَّا يؤدِّي إلى ظهور لهجة جديدة.

2- انقسام أفراد المجتمع إلى طبقات جعل أفراد كلِّ طبقة يتحاورون بلغة وكلمات خاصَّة.

3- الصراع اللغويُّ الناجم عن الغزو أو الهجرة؛ الذي يعد سببًا رئيسًا من أسباب تعدُّد اللهجات وانتصار واحدة على أخرى طبقًا لقوانين اللغة.

ثانيًا- التطبيق على أنواع التغيُّر الدلاليّ

يتَّصل المستوى الدلاليُّ بالألفاظ، ودلالاتها، وتنوُّع معانيها من منطقة إلى أخرى، فالألفاظ ليست على درجة واحدة من القوَّة والصلابة؛ فمنها ما تثبت دلالاتها فلا تتغير؛ لما فيها من ضروب المناعة الداخليَّة كقوَّة المعنى ودوامه، ورشاقة اللفظ وعذوبة جرسه

وكثرة استعماله، أو المناعة الخارجية المتمثِّلة في الاستعمال القرآنيّ، ومنها ما تتغيَّر دلالتها ارتقاء أو انحدارًا، اتِّساعا أو تضييقًا.

والتطوُّر الدلاليُّ لا يوصف بالعامِّيَّة؛ لأنَّه يوضِّح المسار التاريخيَّ للكلمة الفصيحة، والتغيير الحاصل في معناها على ألسنة المستخدمين لها؛ فاللغة حيَّة بحياة ناطقيها، طيِّعة لألسنتهم، قابلة للتغيُّر لتتماشى مع تطوُّرات العصر ومتطلَّبات الحياة، فالعامِّيَّة وسيلة السواد الأعظم من الناس للتخاطب والاتِّصال، لذلك نجد أنَّ التغيير الدلاليَّ يكون صوتيًّا في بعض الأحيان يظهر من خلال التنغيم والارتكاز والتسهيل، وصرفيًّا في أحيان أخرى من خلال القلب والإعلال والإبدال.

وأنوِّه هنا بأنَّ ما سأورده من مظاهر التغيُّر الدلاليّ ليس إلَّا نماذج وعيِّنات ممَّا تزخر به عامِّيَّتنا من أسماء وأفعال تطوَّرت دلالاتها من عصر إلى آخر، ومن جيل إلى جيل.

1- **اتِّساع الدلالة:** هو نقل الكلمة من معنى خاصٍّ ضيِّق إلى معنى أوسع، ومن الكلمات التي توسَّعت دلالاتها:

أ- **مكلوب**، جاء في المخصَّص[19]: " كُلِب الرجل كَلَابًا إذا ذهب عقله" فهو مكلوب[20]، واتَّسعت دلالتها اليوم لتطلق على كلِّ من خرج عن الرأي السديد، وعلى الطفل كثير الحركة والنشاط، وعلى كلِّ من يقوم بفعل لا يقوم به الناس عادة، من ذلك قولهم: (تتكلب المكلوبة وما تاكل ثديانها)، وقولهم: (كنك منكلب يا ولد؟)، وقولهم: (ما يطلع في هالصقع غير المكلوب).

ب- **سامر**، "السمر: المسامرة، وهو الحديث بالليل، وقد سمر، يسمر، فهو سامر"[21]، وتوسَّع العامَّة في استخدامها لتطلق على كلِّ من سهر ليلته حتَّى بدون جليس، لمرض أو كدر، يقولون: (اللي ضنا ما تهنَّى، واللي ما ضنا بات سامر).

ت- **تخزَّر**، يقول الزبيديُّ: " الخزر: النظر بلحظ العين... يفعله الرجل كبرًا واستخفافًا للمنظور إليه"[22]، اتَّسعت دلالتها في العاميَّة لتعني اتِّساع العينين عند النظر بغية الاعتراض أو التهديد، يقولون: (خزر فيه بوه سكت).

ث- **ممتلص**،"الملص... الزلق، وقد ملِص الشيء من يدي يملص... إذا كانت الكفُّ تزلق عنه ولا تستمكن من القبض عليه"[23]، وتوسَّع العامَّة اليوم في استخدامها فأصبحت تطلق على من بدأ بعمل ما وتجاوز الحدَّ المسموح به

كأنَّه قد زلق عن الحدِّ، يقولون: (قتله نظف الجنان امتلص في الشجر تقطيع).

ج- **كرب**، جاء في تاج العروس: 'كربت القيد: ضيَّقته على المقيَّد"[24]، ونجدهم اليوم يطلقونها على كلِّ حبل يُراد تضييقه بدون قيد، وعلى كلِّ شخص يتغلَّى على الناس، فمثال المعنى الأول قولهم: (يتكربن الحبال)، ومثال الثاني: (يتكرب اتكرب العجوز ع الفاتحة).

2- **ضيق الدلالة:** وهو جعل الكلمة في معنى أخصَّ ممَّا كانت عليه، ومن أمثلة ذلك:

أ- **طرب**، " خفة تصيب الإنسان لشدة حزن أو سرور"[25]، وعند تتبُّع معناها على ألسنة العامَّة نجدهم اقتصروا على معنى الاستجابة للشيء عند الفرح، يقولون: (فلان طارب)، إذا كان موافقًا على شيء مفرح.

ب- **بائر**، رجل بور وامرأة بور، الفاسدان اللذان لا خير فيهما، وقوم بور: هلكى، يقال: رجل حائر بائر: لا خير فيه[26]، ضُيِّق معنى الكلمة اليوم لتطلق على المرأة التي لا فائدة منها، يقولون: (الباير تنده جارته)،(الباير لبيت بوها ترجع)؛ بسبب قلَّة خبرتها ومعرفتها بأمور البيت.

ت- **الروم**، " طلب الشيء... رام يروم رومًا ومرامًا: طلب"[27]، خُصِّص معناها اليوم لطلب الانصياع والامتثال للأوامر، يقال: (رومي والَّا نكسر قرنك).

ث- **الرهدنة**، الإبطاء والاستدارة في المشي[28]، وضُيِّقت دلالتها عند العامَّة فأصبحت تطلق على الإبطاء في المشي والحركة والعمل بسبب تعلُّق الطفل بالشخص، يقال: (رهدنتني يا ولد).

ج- **الوشوشة**، رجل وشواش: خفيف، والوشوشة: كلام في اختلاط[29]، ضيِّق معناها ليختصَّ بالكلام الخفيِّ، يقولون: (وشوشه في وذنه).

3- **انتقال الدلالة:** هو نقل الكلمة من معناها الأصليِّ إلى معنى جديد إمَّا بوجود علاقة مشابهة، وإمَّا بعدم وجود هذه العلاقة، **فمن أمثلة وجود علاقة المشابهة:**

أ- **قحز**، القحز: الوثبان والقلق[30]، انتقلت من معناها السابق إلى معنى الاقتراب والدنوِّ، يقولون: (اقحز جاي).

ب- **الكدى**، قال الخليل: "أصابتهم كدية وكادية، الشديدة من شدائد الدهر"[31]، ونعني بها اليوم الهمَّ والغمَّ من أمور الدنيا، يقولون: (كدى صاحبك من كداك).

ت- **زرف**، يقول ابن فارس: "الزاء والراء وَالْفَاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى سَعْيٍ وَحَرَكَةٍ...وَيُقَالُ: زَرَفَ،إِذَا قَفَزَ. وَيُقَالُ زَرَفْتُ الرَّجُلَ عَنْ نَفْسِي إِذَا نَحَّيْتَهُ "[32]، فانتقلت دلالتها لمعنى آخر يدلُّ على الحركة والسعي أيضًا، فأصبحنا نطلقها اليوم عند نهر وطرد المتحدِّث، نقول: (ازرف قليل الحيا)، أي: اطرده.

ومن أمثلة عدم وجود علاقة المشابهة:

أ- **زمق**، يقال زمق لحيته: نتفها،وزمق اللص القفل: فتحه[33]، وتعني اليوم رفض الشخص أخذ شيء ما بسبب الحزن، فكأنَّه نتف الرغبة فيه، يقولون: (زامق وايده في القصعة).

ب- **جضَّ**، نقل الزبيديُّ عن ابن الأعرابيّ: جضَّ الرجل: مشى، وعن ابن عباد: التجضيض: العدو الشديد[34]، وانتقل معناها اليوم لتطلق على صوت أنين المتألم، يقال: (الجضيض واجد والجبانة خالية).

ت- **ملهود**، جاء في العين: "لهدت الرجل ألهده لهدًا إذا دفعته فهو ملهود"[35]، والمتتبع لمعناها اليوم لا يجد علاقة تربطه بالمعني الأصلي للكلمة، فالملهود هو الذي يتسرَّع في تصرفاته وأحكامه وأفعاله، يقال: (يلهد لهدة حصان)، أي: يستعجل.

4- **ارتقاء الدلالة:** وهو انتقال دلالة الكلمة من معنى قبيح إلى معنى شريف يتناسب مع الحياة الاجتماعية، ومن أمثلة هذا الارتقاء:

أ- **مستوه**، قال ابن دريد: "ستهت الرجل أستهه ستها إذا ضربت استه، وَرجل مستوه: كِنَايَة عَن الْفَاحِشَة"[36]، ونستخدمها اليوم لدلالة أفضل وأقلَّ خدشًا للحياء، لتدلَّ على من شرد ذهنه وظهر هذا الشرود على وجهه، نقول: (كنك مستوه)، أي: ما بالك شارد الذهن؟

ب- **هقَّ**: جاء في لسان العرب: "هَكَّ جَارِيَتَهُ وهَقَّها إِذَا جهدها بكثرة الجماع"[37]، ارتقت دلالتها من هذا المعنى لتدلَّ على المتصابي من كبار السن، يقال: (هقة الأربعين).

ت- **هجالـة**، روى الشيبانيُّ عن الكلبيّ: "الهجول من النساء، الزانية"[38]، ارتقت دلالتها لتعني من طُلقت من زوجها، نقول: (فلانة هجَّالة)، أي: مطلَّقة.

ث- **كوش**: "كاش جاريته أو المرأة يكوشها كوشا: نكحها"[39]، ارتقت دلالتها لتدلَّ على الشخص الذي يترفع عن الناس كبرا وغرورا، يقول المثل: (يكوش تكويش الديك اللي قاتل بو عقربانين).

5- **انحطاط الدلالـة**: هو تغيُّر اللفظ من قوَّة وسموٍّ وتأثير في الأسماع إلى معنى ضعيف ومبتذل، ومن أمثلة هذا الانحطاط:

أ- **شكلة**، "يقال: امرأة شكلة مشكلة حسنة الشكل"[40]، انحطت دلالة هذه الكلمة لتعني من يجلب النحس، يقال: (ولية شكلة، ورجل أشكل).

ب- **بهلـول**، رجل بهلول: حيي كريم، انحطت دلالتها اليوم لتكون صفة لمن ذهب عقله، يقال: (فلان بهلول)، أي مجنون.

ت- **قوَّاد**، جاء في التاج: "ورجل قائد من قود، وقوَّاد...جمع قائد الخيل"[41].

ث- **تينة**، قال الخليل: "واحِدُ التِّينُ تينةٌ"[42].

ج- **زمـل**، ورد في العين: "الدّابّة تَزْمُل في عَدْوها ومشيها زَمالاً، إذ ارأيتها تَتَحامَلُ على يَدَيْها بَغْي أَو نشاطا... والزاملة: البعير يُحْمَل عليه الطّعامُ والمتاعُ... والتزمل: التّلفّف بالثّياب"[43].

انحطت دلالاتها اليوم لتشير إلى تلك المعاني الممجوجة المعروفة.

وأخيرًا فإنَّ التطوُّر الدلاليَّ سمة من سمات اللغات الحيَّة؛ فلو اتَّصفت لغتنا بالجمود لشاخت وماتت ألفاظها ومعانيها منذ زمن ومات معها جزء من تراث الأمَّة، وقد ينشئ هذا التطوُّر ألفاظًا جديدة عن طريق الاستحداث أو التوليد، وقد يعمل على إحياء كلمات حُكم عليها بالموت، من هذا ما ذكره ابن دريد في لفظ (هندب) حين قال: "فهي ممَّا قد أُمِيت؛لأنَّه ليس من كلامهم هَنْدب"[44] لكنَّنا اليوم نستعملها في عاميَّتنا بمعنى طلب المساعدة من الآخرين، وما دامت اللغة قابلة للتطوُّر والاشتقاق فهي لغة حيَّة، يجب علينا الحفاظ على حيويَّتها والاهتمام بالتوليد اللفظيّ عند العامَّة.

يقول الدكتور الجبوري: "إنَّ كثيرًا من المواد اللغويَّة الفصيحة صيغًا ومفردات هجرت أو ضاع شيء من أصولها فحفظتها العامِّيَّة البغداديَّة"[45] أقول: كذلك الحال في العاميَّة الليبيَّة، فقد حفظت اللهجة استعمال تراكيب كثيرة منها:

1- استعمال (القول) للدلالة على قيام الإنسان بحركة معيَّنة، وذلك مثل: (قال بيده وقال بكراعه)؛ أي: قام بحركة بهما، قال ابن الأثير: "الْعَرَبُ تَجْعل القَول عِبارة عَن جميع الأَفعال، وتطلقه على غير الكلام واللسان، فتقول: قال بيده: أَي أخذ، وقال برجله: أَي مشى...وقال بثوبه: أَي رفعه،وكلُّ ذلك على المجاز والاتِّساع "[46].

2- يقول العامَّة: (فلانة جابت ثلاث أولاد على ساق) إذا لم تكن بينهم بنت، ونجد هذا التركيب لذات المعنى في اللغة الفصحى، جاء في الصحاح: "يقال: ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحد،أي بعضُهم على إثر بعض، ليست بينهم جارية"[47].

الخاتمة

هذه جملة من النتائج التي توصَّلت لها الباحثة:

1. إنَّ اللهجة العاميَّة بنت الفصحى، لها المعاني الدلاليَّة والظواهر الصوتيَّة ذاتها مع بعض الاختلافات؛نتيجة للتطوُّر الحضاريِّ ومستلزماته و"متى انتشرت اللغة في مناطق واسعة من الأرض تحت تأثير عامل أو أكثر من العوامل السابق ذكرها، وتكلم بها جماعات كثيرة العدد، وطوائف مختلفة من الناس، استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمدًا طويلًا، فلا تلبث أن تتشعب إلى لهجات، وتسلك كل لهجة من هذه اللهجات في سبيل تطورها منهجًا يختلف عن منهج غيرها، ولا تنفك مسافة الخلف تتسع بينها وبين أخواتها حتى تصبح لغة متميزة مستقلة"[48]. ويقول الدكتور شوقي ضيف: الفارق الواضح الذي يميز الفصحى عن العامية هو الإعراب، فبينما تتسم الفصحى بالإعراب تفتقد العامية هذه السمة[49]، و الدكتور إبراهيم أنيس يقول : "اللهجات العربية الحديثة انحدرت في أكثر ظواهرها من لهجات أجدادنا وورثنا عنهم ما نسميه بالحس اللغوي العربي الذي مكننا في العصر الحديث من قياس كثير من المسائل التي لم تسمع من العرب ولم تُروَ عنهم"[50] ويقول أحد الباحثين: إن الكثير مما يشيع في لغاتنا العامية خرج من رحم لغتنا الفصحى، ولكن القليل منه بقي على انتمائه وولائه للغته الأم. أما ما عداه فقد اعتراه تصحيف أو تحريف أو حذف أو إضافة؛ تسهيلا لنطق المتخاطبين وخضوعا لظواهر صوتية يعالجها علم الأصوات بأساليبه ووسائله الحديثة، كما أن منه ما اعترته هُجنة أو عُجمة حين اختلطت لغة الخطاب العربية بلغات أهل البلدان التي امتدت إليها الفتوحات الإسلامية.. وقد أدى ذلك إلى تلاقح ولّد الكثير من كلمات وتعبيرات حفلت بها عامياتنا العربية"[51]
2. إنَّ التطوُّر الدلاليَّ حدث في العديد من الألفاظ، توسُّعًا وتضييقًا، ارتقاءً وانحطاطًا، في حين حافظت كثير من الألفاظ على معناها الأصليّ الذي وضعت له.

3. عند البحث عن أصول الألفاظ العامِّيَّة في المعاجم اللغويَّة أحصت الباحثة ما يربو عن ثلاثين لفظًا لم ترد جذورها في المعاجم،وهذا دليل على ثراء اللهجة وزيادة معانيها ودلالاتها.

وهذه بعض التوصيات:

1- توجيه الباحثين إلى دراسة الظواهر الصوتيَّة في اللهجة العاميَّة، وما وقع فيها من: ضياع بعض الأصوات الفصيحة، والإبدال الجائز، والإبدال الممتنع، في ضوء قانوني المماثلة والمخالفة الصوتيَّة.
2- دراسة التراكيب اللغويَّة في اللهجة الليبيَّة، وبيان الفصيح منها.
3- تضافر جهود المختصِّين لإعداد معجم خاصٍ بالألفاظ العامَّيَّة القديمة التي ندر استعمالها – لطغيان آثار الحداثة – وبيان معانيها،وإتباعها بالشواهد النثريَّة والأمثال؛ حتَّى لا يأتي يوم نكون فيه شعبًا بلا ذاكرة!

الحواشي

[1] ينظر: اللغة والمجتمع، ص: 78.

[2] اللغة ثابتة في نظامها النحوي والصرفي والصوتي؛ بفضل القرآن الكريم، لكنها على المستوى الدلالي تتسم بالنمو والتحول، فمعجم العربية نام حي لم يتوقف عن استيعاب معان جديدة واستحداثات وفقا لاحتياجات الأفراد والمجتمعات.

[3] طُبِّق هذا البحث على كلٍّ من اللهجتين الجزائرية، والسودانية؛ واختلفت المعايير، وطرق الدراسة في هذا البحث عن البحثين المذكورين.

[4] يُنظر: اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، ، ص: 212

[5] مصطلحات الدلالة العربيَّة دراسة في ضوء علم اللغة، ص: 17.

[6] ينظر: التغير الدلالي، ص: 70 - 77

[7] ينظر: فقه اللغة العربية وخصائصها، ص: 143

[8] الخصائص، 46/1

[9] التطوُّر الدلاليُّ بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم، ص: 11.

[10] التغيُّر الدلالي، ص: 23

[11] ينظر: أثر العامل النفسي في تغيُّر دلالات الألفاظ، ص: 14.

[12] ينظر: بحوث ودراسات في علم اللغة، ص: 220.

[13] ينظر: التطور اللغوي، علله وقوانينه، ص: 114

[14] ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية، ص: 216

[15] موت الألفاظ في العربية، ص: 437

[16] الكتاب من ترجمة الدكتور فهد بن مسعد اللهيبي، منشورات جامعة تبوك 2006م

[17] ينظر: فقه اللغة، ص: 153.

[18] العربيَّة الفصحى ولهجاتها، ص: 7.

[19] المخصص، 273/1.

[20] المعجم الوسيط ،كلب

[21] الصحاح، سمر.

[22] تاج العروس ، خزر.

[23] الصحاح: ملص

[24] تاج العروس: سمر

[25] الصحاح: طرب
[26] ينظر: الصحاح، بور

[27] العين ، روم

[28] ينظر: تاج العروس: رهدن

[29] ينظر: الصحاح: وشوش

[30] العين: قحز

[31] العين: كدي
[32] مقاييس اللغة: زرف

[33] ينظر: تاج العروس: زمق.

[34] ينظر: تاج العروس: جضض
[35] العين: لهد
[36] جمهرة اللغة، تسه

[37] لسان العرب، هقق

[38] كتاب الجيم، 3/ 318 باب الهاء.

[39] لسان العرب: كوش.

[40] تاج العروس: شكل
[41] تاج العروس: قود.

[42] العين: تين.

[43] العين: زمل

[44] الاشتقاق، 369/1.

[45] تطور الدلالة المعجمية بين العامي والفصيح، 24/1.
[46] النهاية في غريب الحديث والأثر، 124/4.

47 الصحاح: سوق.

48 ينظر: فقه اللغة، ص: 172

49 ينظر: بين الفصحى والعاميَّة المصريَّة، ص: 134

50 " ينظر: لهجة البدو في إقليم ساحل مريوط.

51 ينظر: مجلة مجمع اللغة العربية ص7

مصادر البحث

1. أثر العامل النفسي في تغيُّر دلالات الألفاظ، أ د. فرهاد عزيز محيي الدين، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، المجلد الثامن، العدد 1، 2013م
2. الاشتقاق، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، ت321هـ، تحق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1411هـ، 1991م، لا ط
3. بحوث ودراسات في علم اللغة، د. مجدي إبراهيم محمد، دار النهضة، ط 2، 1985 م
4. بين الفصحى والعاميَّة المصريَّة، د شوقي ضيف، مجلة مجمع اللغة العربية، ج 66، 1990م
5. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن عبد الرازق أبو الفيض مرتضى الزبيديّ ت205هـ، تحق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، لا ط، لا ت
6. التطوُّر الدلاليُّ بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم، عودة خليل أبو عودة ، مكتبة المنار، ط 1، 1405هـ ، 1985م
7. التطور اللغوي، علله وقوانينه د. رمضان عبد التواب، القاهرة، 1983م
8. تطور الدلالة المعجمية بين العامي والفصيح، عبد الله الجبوري، المجمع العلمي العراقي، ط 1، 2002 م، 24/1.
9. التغير الدلالي، د. عارف حجازي، منشورات شبكة الألوكة
10. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن دريد الأزدي، ت321هـ، تحق: رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1، 1987م
11. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جنّي، ت392هـ، تحقيق: محمد علي النجار، الهيأة المصريَّة العامَّة للكتاب، ط 4
12. الدلالة المعجمية بين العامي والفصيح، عبد الله الجبوري، المجمع العلمي العراقي، ط 1، 2002 م
13. الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل الجوهري الفارابي، ت393هـ، تحق: أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1407هـ، 1987م، ط 4
14. العربيَّة الفصحى ولهجاتها، حسام البهنساوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط 1، 1424هـ، 2004م
15. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت170هـ، تحق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، لا ط، لا ت
16. فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر، ط 3، 2004 م
17. فقه اللغة العربية وخصائصها، نادية رمضان النجار، دار الكتب العلمية، بيروت، لا ط، لا ت
18. فقه اللغة وخصائص العربية، د محمد المبارك، دار الفكر، بيروت، 1972م
19. كتاب الجيم، أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني، ت206هـ، تحق: إبراهيم الأبياري، الهيأة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1394هـ، 1974م، لا ط
20. لسان العرب، لابن منظور المصري، ت711هـ، دار صادر، بيروت، ط 3، 1414هـ
21. اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، ، د. عبد الكريم خليفة، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ط 1، 1407 هـ ، 1987 م

22. اللغة والمجتمع، د علي عبد الواحد وافي، مكتبة عكاظ، ط 4، 1403هـ ، 1983 م
23. لهجة البدو في إقليم ساحل مريوط، د.عبد العزيز مطر. ط دار الكاتب العربي القاهرة 1967
24. مجلة مجمع اللغة العربية جزء 66 مايو 1990
25. المخصص، ابن سيدة الأندلسي، ت458هـ ، تحق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1417هـ، 1996م، ط 1
26. مصطلحات الدلالة العربيَّة دراسة في ضوء علم اللغة، جاسم محمَّد العبود، دار الكتب العلميَّة، ط 1، 2007 م
27. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحق: مجمع اللغة العربية
28. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس القزويني، ت395هـ، تحق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ، 1979م
29. موت الألفاظ في العربية، عبد الرازق الصاعدي، منشورات الجامعة الإسلامية بالرياض، السنة التاسعة والعشرون، العدد السابع بعد المائة، 1418- 1419هـ
30. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات الجزري ابن الأثير، ت606هـ، تحق: محمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ، 1979م

دور الإيجاز في تشكيل الصورة

د/ خالد إبراهيم أحمد أبوالنجا

الجنسية: مصري

بلد الإقامة: طبرق

الدرجة العلمية محاضر– كلية التربية – جامعة طبرق

تخصص: لغة العربية – بلاغة والنقد

هاتف: 0924391277

Abouelnaga6677@gmail.com

ملخص الدراسة

يُعد الحذف من الآثار البارزة في العمل الأدبي، إذ بواسطته يستطيع الأديب أن ينقل إلى الآخرين معاني كثيرة في صورة فنية مختصرة لا تتجاوز بضع كلمات، وهو لون من ألوان تصفية العبارة وتنقيتها، يشتد به أسرها، ويقوى حبكها، ويتكاثر إيحاؤها حين يلائم موضعه من الجملة، فلا يحسن منه إلا ما يرشد إليه سياق الكلام، أو دلالة الحال اعتماداً على فطنة القارئ والسامع.

وقد كان للحذف – بضروبه المختلفة – دورٌ رائدٌ في تشكيل الصورة، وله تأثيره القوي في حسن المعنى وبهائه وجمال الصورة وشدة تصويرها للمعاني التي أرادها الشعراء فجاءت قصائدهم لوحات فنية تعلن للمتلقي أن الصورة تزداد جمالا فوق جمال وقوة فوق قوة إذا ما صيغت في نسق بلاغي آخر، وقد صيغت ببراعة تبهر المتأمل، فيراها وقد حملت معانٍ خاصة وكشفت عن حقائق عامة من حقائق النفس، الأمر الذي يحقق التكامل بين عناصر الصورة والمعنى، ويكشف عن براعة الشعراء في تحقيق رنين موسيقى خاص، تستشعره ويؤثر فيك وأنت تتلو صورهم.

Abstract

The omission is one of the salient marks in literary works , the writer can transmit several meanings through omission in a briefed artistic way using few number of words, it's a type of filtering and refining of a statement which hardens it and increases its inspiration when its position fits the sentence, omission cannot be nice except with guiding of a context or the denotation of a situation depending on the cleverness of both the reader and hearer.

By its different types the omission played an important role in forming rhetorical appearance , it had a strong effect in goodness of meaning and the beauty of appearance and its accurate description of the meaning that the poets wanted, so their poems become as good drawing that inform the receiver that the poem will be beautiful and strong if it written in a different rhetorical type. It's written skillfully which pleases the thinker who sees it carrying special meaning and discover common facts the soul, and this can carry out the completion between the elements of the rhetorical expression and its meaning, it also reveals the poets' skill to carry out a special musical ring you can realize it with strong effect while reciting their rhetorical texts.

مقدمة

إنه لمن مظاهر التشكيل الفني للصورة امتزاجها بكثير من الأساليب البلاغية الأخرى التي تكسب الكلام روعة، وتزيده حسناً وبهاءً وانسجاماً، فتجعله أمكن في النفس، وأعلق بالفؤاد، مما يعود على الصورة بالقوة والتمكين، ويجعلها أكثر جمالاً واستحساناً.

وانطلاقاً من هذه الحقيقة جاءت هذه الدراسة؛ لبيان مدى هذا التأثير في النفوس، وكان ميدانها الصورة التي تتخذ من التشبيه والاستعارة والكناية ميداناً لها، فهي أدوات تصويرية تسهم في عرض الفكرة وإعانة المتلقي علي تخيلها، وبالتالي تحقق الفائدة المرجوة منها في التأثير.

وقد رأينا أن الإيجاز – بضروبه المختلفة – كان أحد الأساليب البلاغية التي تقف جانب الصورة صفاً واحداً في عرض تجارب الشعراء والتي أدت دوراً رائداً في ترشيح الصورة وتقويتها، وإنها لتكاد تكون واضحة وضوحاً بيناً؛ إلا أنها قد صيغت ببراعة تبهر المتأمل فيراها وقد حملت معاني خاصة وكشفت عن حقائق عامة من حقائق النفس، الأمر الذي يحقق التكامل بين عناصر الصورة والمعنى، بل ويؤكد أن الأساليب البلاغية بمختلف أنواعها لتتآزر في عرض التجربة.

فلست هنا بصدد دراسة الصورة مفردة فقد أشبعها الباحثون دراسةً قديماً وحديثاً، وما نحن بصدده الآن هو بيان أثر الإيجاز في نسيج الصورة في عرض التجربة الشعرية وأنها أداة لا تقل عن غيرها في عرض الصورة في أسلوب بديع خلاب.

مدخل الدراسة

للإيجاز قيمة فنية لا تنكر في اختصار الكلام وتأكيد المعاني، وهو أحد أدلة توقد الذكاء، وشاهد على الاتساع في اللغة، ومع ذلك فهو يؤدي دوره، ويحدث أثره في جمال الصورة عندما يكون عنصراً في تشكيلها ورسمها، وتكمن مهمته في مساعدته على إيضاح المعنى وبيانه، وكشف جوانبه، والأخذ بيد المتلقي إلى حيث يريد الشاعر.

ولا شك أن دراسة الصورة بمعزل عن الفنون البلاغية الأخرى لا يخلو من صعوبة إذ أن اجتزاء الصور يخل بالمعنى العام ويؤثر علي استظهار هذه الصور ووضوحها، ومن هنا حاولنا أن نربطها بغيرها من الأساليب البلاغية الأخرى؛ بُغية

المحافظة علي وحدة المضمون ما استطعنا إليه سبيلا؛ لإعطاء الصورة الكلية أبعادها الحقيقية فكانت الدراسة تنوه بين الحين والآخر إلي هذا المعنى من خلال الإشارة إلي مختلف ضروب الإيجاز التي جاءت في سياق الصورة حيث كان لها علاقة بالمعنى المراد إظهارِهِ وإبراز أثرها في النفس، فقد أتت التشكيلات التصويرية وغيرها من الفنون البلاغية الأخرى متشابكة يشد بعضها بعضاً في لوحات شعرية متكاملة خيوطها، متناسقة ألوانها.

أسباب اختيار الدراسة

لاحظ الباحثُ من خلال معظم دراسات السابقين من الدارسين وغيرهم من الباحثين التي تناولت الصورة، أنها جاءت – إلا ما ندر– قاصرةً على إبراز دورِها في عرض المعاني دون التعرض لغيرها من الأساليب البلاغية الأخرى التي لابد لها من دور وثيق الصلة بالصورة وكانت بمثابة التقوية والترشيح لها؛ لذا أردت إلقاء الضوء على تلك الجزئية مبرزاً دور الفنون البلاغية المختلفة – لاسيما الإيجاز– في تشكيل الصورة، وأثر ذلك على التجربة التي أراد الشعراء عرضها.

أهداف الدراسة: تسعى الدراسة لتحقيق أهداف عدة من أهمها:

1- إبرازُ ما تتميز به الصورة من روعة في التعبير، وخصوبة في التصوير، وقدرة فائقة على نقل الأفكار.
2- إبرازُ دور الإيجاز - بمختلف ضروبه - في بنية الصورة، وبيان ما له من أثر فعال في عرضها عرضاً جيداً.
3- محاولة ربط الصورة بغيرها من الأساليب البلاغية الأخرى؛ بُغية المحافظة علي وحدة المضمون ما استطعنا إليه سبيلا؛ لإعطاء الصورة الكلية أبعادها الحقيقية.
4- إبرازُ الآثار السلبية على الصورة إذا انفصلت عن غيرها من الأساليب الأخرى.
5- إبرازُ دور التشكيلات التصويرية وغيرها من الفنون البلاغية الأخرى وتشابكها، في عرض الصورة.

المنهج العلمي المتبع في الدراسة

أما عن منهج الدراسة فهو المنهج الوصفي التحليلي الذي يتناول النص من جميع جوانبه مبرزاً دور الإيجاز وأثره الفعال في تشكيل الصورة، مع عدم إهمال دور الأساليب البلاغية الأخرى في مؤازرة الصورة للقيام بعرض التجربة الشعرية عرضاً واضحاً..

تقسيمات الدراسة

أولاً: دور حذف المسند إليه في تشكيل الصورة

ثانياً: دور حذف المسند في تشكيل الصورة

ثالثاً: دور حذف الموصوف في تشكيل الصورة

رابعاً: دور حذف الصفة في تشكيل الصورة

خامساً: دور حذف المتعلق في تشكيل الصورة

سادساً: دور حذف المعمول في تشكيل الصورة

سابعاً: دور حذف الحرف في تشكيل الصورة

الدراسة التطبيقية

إن "المتذوق للأدب لا يجد متعة نفسه في السياق الواضح جداً والمكشوف إلى حد التعرية، وإنما يجدها حين يتحرك حسه، وينشط خياله؛ ليستوضح ويتبين ويكشف الأسرار والمعاني وراء الإيحاءات والرموز، وحين يدرك مراده، ويقع على طِلبته من المعاني، يكون ذلك أمكن في نفسه وأملك لها من المعاني التي يجدها مبذولة في حاق اللفظ"1 لذا ترى الإمام عبد القاهر يتحدث عن الإيجاز مشيداً فيقول: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأسر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفضل من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون إذا لم تبن". 2

وقد كان للحذف دور فعال في عرض الصورة البيانية والنهوض بها إلى قمة تتناهي عندها بلاغة الأساليب.

أولاً: دور حذف المسند إليه في تشكيل الصورة

انظر إلى ما قاله عبد الرحمن صدقي واصفاً حاله بعد رحيل زوجه: 3

أُحَدِّثُ نَفْسِي إِنْ خَلَوْتُ مُسَائِلاً   وَقَدْ خَابَ مَنْ كَانَ السُّؤَالُ قُصَارَاهُ

أَحَيٌّ ؟ فَمَا لِي لَا أُحَرِّكُ سَاكِنَاً   إِلَى مَطْلَبٍ لَا حَيَّ إِلَّا تَمَنَّاهُ

أَمَيْتٌ ؟ فَمَا لِلْحُزْنِ مِلْءُ جَوَانِحِي   لِيَ الوَيْلُ مِنْ مَوْتٍ خَلَا مِنْ مَزَايَاهُ

فالشاعر أذهله المصاب، وأذهب رشده وصوابه، لذا يتساءل: (أحي؟ أميت؟)، وفي الوقت نفسه يلقي اللوم علي نفسه، ويصفها بالخيبة والعجز؛ لأنها رضيت بهذا الواقع واستسلمت له، اقرأ معي الأبيات ثانية لتجد سيلاً من التساؤلات التي لا زالت تتردد علي شفتيه (أحي؟ فما لي لا أحرك ساكنا؟ أميت؟ فما للحزن ملء جوانحي؟)، واقرأ مرة أخرى: أحي؟ لتجد الجواب: نعم، ولكن لم هذا الانكسار وذاك الاستسلام؟ وكأنه يومئ إلي أنه في حالته تلك ليس كالأحياء؛ فالحي من يشعر ويتحرك، ويخدم نفسه وغيره، ويصنع تاريخه، إذاً أنا غيرُ حيّ، ثم يتساءل ثانية، أميت أنا؟ فلم أحس بما يحسه الأحياء من حزن وألم تمتلئ بهما نفسي؟

فالأبيات صورة كنائية مركبة تعاون في رسمها كثير من أدوات الرسم والتصوير ترمي إلى ما يعتصره من حيرة ولوعة وأسى جراء فراق زوجته، وهي تفسير للحديث النفسي الذي بدأ به، والاضطراب الوجداني الذي يعانيه.

لقد فقد هذا الزوج كل شيء، وظل هكذا يتقلب في فراش اللوعة، تفترسه الأوهام، وتسحقه الأوجاع والآلام، لذا تراه قد حذف المسند إليه في قوله: (أحي؟ أميت؟)، أي: أحي أنا، أميت أنا؟ ووراء هذا الحذف، هذا الضيق، وهذا العجز الذي يعتمل بهما صدره بسبب الحزن الشديد الذي يزلزل كيانه، ويعصف بوجوده، فالحزين الموجوع "تراه ضائق الصدر بنفسه، ضائق الصدر بمن حوله، وضائق الصدر بالناس جميعاً، فإذا أمسك عن الكلام أو إذا تكلم فاختصر كلماته، وأوجز عباراته، فما خالف دواعي النفس وهواتفها، وما يتردد بداخلها، وإنما جاء علي مقتضى ما تتطلبه حالته غير مغالٍ، ولا متجاوزٍ، مجسداً

آلامه النفسية والجسدية التي تعتصره اعتصاراً، وتسحقه سحقاً".4 وذلك أدعى إلي "بعث الفكر، وتنشيط الخيال، وإثارة الانتباه؛ ليقع السامع علي مراد الشاعر في رثائه بهذه الصنعة، وتستنبط معناه من القرائن والأحوال، وخيرُ الكلام ما يدفعك إلي التفكير، ويستفز حسك وملكاتِك، وكلما كان أقدر علي تنشيط هذه القدرات، كان أدخل في القلب، وأمس بسرائر النفس المشغوفة دائماً بالأشياء التي تومض ولا تنجلي، وتتقنع ولا تتبذل". 5 فقد أوحى هذا الحذف في سياق تلك الصورة بما يعيش فيه الشاعر من لوعة قلب، وضيق صدر، واضطراب نفس، وهذا "يؤكد أن للإيحاء صلة قوية بالإيجاز؛ لما للإيجاز من قدرة علي التخييل والاتساع في الدلالة ".6 فقد أراد أن يصف إحساسه بالغربة، وشعوره بالوحشة بعد رحيل زوجه فحذف المسند إليه؛ لأن نفسه الضائقة بهذه الغربة النفسية تنزع إلي اللمح والإيجاز فالإنسان في مثل هذه الأحوال يهمس بالحديث همساً، ويخطفه خطفاً، فيذكر منه ما يمكن ذكره، ويحذف منه ما يمكن حذفه. ومن بديع ما جاء في الذم قول زهير: 7

وَمَا أَدْرِي وَسَـوْفَ إِخَـالُ أَدْرِي ... أَقَــوْمٌ آلُ حِصْــنٍ أَمْ نِسَـــــاءُ

البيت مبني على التشبيه، فهم رجال لا محالة، ولكنه تجاهل بهذا التخليط فكان أوقع في الذم والسخرية بهم، حيث ادعى أنهم لشدة شبههم بالنساء في الأوصاف الرزيلة يشك الناظر فيهم أهم رجال أم نساء، ومما أكد تلك الصورة الساخرة ما بها من إيجاز تمثل في حذف المسند إليه في قوله: أم نساء، أي: أم هم نساء " وهذا أبلغ وأقرب إلى التصديق من أن يقول: هم نساء" 8

ومنه قول أبي الأسود الدؤلي: 9

سَـأَشْـكُـرُ عَمْـراً مَـا تَـرَاخَتْ مَنِيَّتِـي ... أَيَـادِيَّ لَـمْ تَمْنُــنْ وَإِنْ هِـــيَ جَلَـتِ

فَتَـىً غَيْـرُ مَحْجُوبِ الغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ ... وَلَا مُظْهِـرَ الشَّـكْوَى إِذَا النَّعْـلُ زَلَّتِ

فالشاعر في مقام المدح استخدم الصورة في عرض تجربته الشعرية، وقد كان المجاز المرسل والكناية هما أداتا تصويره، حيث عبر عن نِعم الممدوح عليه وعطاياه بالأيادي مجازاً مرسلاً بعلاقته السببية؛ إذ أن الأيادي الحقيقية هي التي تمنح النعم؛ لذا فهي سبب فيها، وقد كنّى عن كثرة كرمه وفيض سخائه بقوله: (فتىً غيرُ محجوب الغنى عن صديقه)، فأمواله ليست محجوبة عن الجميع، فضلاً عما امتازت به الصورة من

إيجاز تمثل في حذف المسند إليه إذ أن تقدير العبارة: هو فتىً، ولكنه حذف المسند إليه العائد إلى الممدوح؛ مسارعة إلى مدحه والثناء عليه، ولا يخفى ما في التعبير بالمضارع في قوله: (سأشكر – تمنن)، من الإيحاء بالدوام والاستمرار، فلا يفتأ هو عن مدحه، وكذلك الممدوح لا يُظهِر المن ولا يُشعِرُ أحداً بنعمه أياً كانت الأحوال، كما كنّى عن تجلده وتماسكه وقت الشدائد والزلات بقوله: (ولا مُظهِر الشكوى إذا النّعلُ زلّتِ)، فهي كناية عن قوته وصلابته في مواجهة المحن والشدائد. أرأيت كيف أجادت الصورة الكنائية في التفنن والدقة في أداء المعنى؟ وقد اتخذت لذلك واسطة أو رمزاً ودليلاً هو قوله: (فتىً غيرُ محجوبِ الغنى عن صديقِه)، وقوله: (ولا مظهر الشكوى)، "فالكناية أبلغ من التصريح؛ لأنها ذكر الشيء بواسطة لازمه، ووجود اللازم يدل على وجود الملزوم، وذكر الشيء مع دليله أوقع في النفس وأقوى؛ لأنها دعوى يؤيدها الدليل، أما إذا لم تؤيد فإنها تضعف" 10

كما استخدم المجاز المرسل ثانية ولكن بعلاقة أخرى غير التي تسبقها وهي علاقة المحلية، وذلك في قوله: (إذا النّعل زلّتِ)، حيث أطلق المحل وهي: النّعل، وأراد الحال فيه وهو القدم، ولا يخفى ما يتسم به المجاز من إيجاز حيث أدى المعنى بألفاظ أقل مما تؤديه الحقيقة، كما عمل على تأكيد المعنى المجازي وتقريره في النفوس؛ لما فيه من دعوى الشيء بالبينة والبرهان، فضلاً عن المبالغة التي يتضمنها المجاز إذ ليست النعل وحدها التي تزِلّ بل بما تحويه من قدم الممدوح، وفيه تصوير لما فيه الممدوح من قوة وصلابة أمام المحن والأزمات.

يقول الأقيشر في ذم ابن عم له موسر سأله فمنعه، فشكاه إلى القوم وذمه، فوثب إليه ابن عمه ولطمه: 11

سَرِيعٌ إِلَى ابْنِ العَمِّ يَلْطِمُ وَجْهَهُ   وَلَيْسَ إِلَى دَاعِي النَّدَى بِسَرِيعِ

حَرِيصٌ عَلى الدُّنْيَا مُضَيّعٌ لِدِينِهِ   وَلَيْسَ لِمَا فِي بَيْتِهِ بِمُضَيِّعِ

فكانت الكناية هي فارس الصورة البيانية هنا أيضاً وقد تمثلت في قوله: (سريع إلى ابن العم يلطم وجهه)، فهي كناية عن حمقه ودناءته، كما تمثلت في قوله: (وليس إلى داعي الندى بسريع)، وقوله أيضاً: (وليس لما في بيته بمضيع)، وهني كنايات عن بخله وشحه وزيادة حرصه على المال، ومما أكد تلك الصور كونها صيغت في سياق

الإيجاز حيث حذف المسند إليه في العبارات الثلاث إذ المقصود: هو سريع إلى ابن العم، وهو حريص على الدنيا، وهو مضيع لدينه.

واقرأ قول حافظ في رثاء مصطفى كامل: 12

مَدَحْتُكَ لَمَّا كُنْتَ حَيَّاً فَلَمْ أُجِدْ — وإِنِّي أُجِيدُ فِيكَ اليَوْمَ المَرَاثِيَا

عَلَيْكَ وَإِلَّا مَا لذَا الحُزْنِ شَامِلاً — وَفِيكَ وَإِلَّا مَا لِذَا الشَّعْبُ بَاكِيَا

فالشاعر يعلن بكل عفوية وصراحة عن وفائه، وصدق عاطفته تجاه المرثي، (وإني أجيد فيك اليوم المراثيا)، وهذه آية العاطفة الصادقة، والوفاء الخالص، والرثاء الحزين، وانظر إليه كيف طوى المسند إليه في قوله: (عليك)، أي: عليك الحزن، وقوله: وفيك، أي: وفيك البكاء، وما ذاك إلا أنه يتناسى موته، ويتحاشى النطق به، ويتأبى علي الفجيعة، فيخاطبه كما لو كان ماثلاً أمامه، يستجيد شعره ويستعيده، لذا كان حذف المسند إليه هنا تناسياً لموته، وتأبياً للفجيعة، مما يصور شدة الحزن تصويراً حياً مؤثراً، وقوى من شدة التأثير هذا التقسيم الماثل في البيت الثاني بما أفرزه من مقاطع تستدعى وقفة خفيفة عند كل مقطع منها بجرسه ونغمته مما أشاع جواً من الموسيقى الداخلية الحزينة ترددت فيه فأكسبته جمالاً فوق جمال.

ومن ذلك ما قاله هاشم الرفاعي في رثاء الشيخ محمد طاحون: 13

أَلَا رَحِمَ الرَّحْمَنُ طَاحُونَ إِنَّهُ — كَثِيرُ الأَيَادِي عَاشَ لِلْخَيْرِ هَادِيَا

هُمَامٌ بَنى لِلدِّينِ مَجْدَاً مُدْعَمَاً — وَشَيَّدَ صَرْحَاً لِلْحَنِيفَيَّةِ عَالِيَا

وَكَانَ إِذَا المُزْنُ ضَنَّتْ بِمَائِهَا — هُوَ القَطْرُ كَلَّا بَلْ هُوَ الغَيْثُ هَامِيَا

فالمرثي كثيرُ الأيادي، مشهودٌ له بالفضل والمنة، تقيّ أقام الدين، حريصٌ علي أداء مناسكه، فكان إذا المزن ضنت بمائها قطراً، وليس ذا فحسب بل كان غيثاً هامياً بما تحمل تلك الصورة من الغزارة والكثرة والخير والسخاء، وقد آثر كلمة (الغيث)، علي غيرها من الماء والمطر والوابل؛ لأن الغيث يوحي بما يرجى منه، ويعود به من الخير الوفير على من يصيبه، فالغيث مطر يغيث؛ لأنه ينزل بقدر بحيث يصيب من هم في حاجة إليه، وهذه الصورة ترسم لنا المرثي في سخائه ووفرة عطائه، وقد وصف الغيث بالكثرة

بقوله: (هامياً)؛ ليوحي بالأمان مع تلك الكثرة، كما عرف الغيث باللام؛ إمعاناً في إحضار الصورة وتجسيمها، وحتى تكتمل ويتم الترابط.

ثم انظر إلي هذا التسلسل والتدرج في الصورة لتجد مزناً ثم قطراً ثم غيثاً هامياً وكل هذا يعكس هيئة الفقيد، فقد كان معطاءً في الوقت الذي يضن فيه الكثيرون بمالهم ويبخلون بعطاياهم.

وموضع الشاهد في قوله: (همام)، حيث أخبر به عن ضمير الغائب (هو)، الذي حذفه؛ لأنه يريد أن يسرع إلي المطلوب من الإشادة بالمرثي وتأبينه، فقوله: همام، وراءه ما وراءه من اعتداد واعتزاز وقوة لا تكون بهذه الدرجة لو قال: هو همام؛ "لأن استرخاء العبارة حينئذٍ يوحي بفتور الشعور بالمعنى" 14 وإنه لدليل علي قوة نفس منشئها وامتلاء حسه.

ثانياً: دور حذف المسند في تشكيل الصورة

ومنه قول خليل مطران في وصف الحرب مستخدماً التشبيه المجمل المحذوف الوجه؛ للتعبير عن قوة المشابهة بين الطرفين؛ لغرض الإيحاء لدى المتلقي وغزارة معاني وجه الشبه: 15

وَكَنَّ نَـابِلْيُـونَ فِـي إِشْرَافِــهِ عَـلَمٌ عَلَــى عَــــلَمِ الزَّعَامَـــةِ بَـــــادِ

المَجْدُ رَهْنُ إِشَـــارَةٍ بِيَمِينِـــهِ وَالنَّصْـــــرُ بَيْــــنَ يَدَيْـــــهِ كَالمُنْقَـادِ

نلاحظ في ذكر الأداة "كأن" هنا المبالغة في وصف المشبه "نابليون" في إشرافه على المعركة، والمشبه به (علم) وهو الجبل المرتفع، وذلك على سبيل التفصيل، ونجد النصر بين يدي نابليون كالمنقاد، وهو كناية بنيت على تشبيه؛ إشارة إلى خضوعه وسهولة تحقيقه، وقد سُبقت هذه الصورة بصورة أخرى مجازية حيث شخص المجد وبث فيه الحياة بعد أن حذف المشبه به ونشر عليه من صفات الأحياء وهو الطواعية وسرعة الامتثال المفهومة من قوله: (رهن يمينه)، ومما ضاعف من جمالها الإيجاز بالحذف الواضح في قوله: (المجد رهن)، حيث حذف المسند، أي: ماثلٌ رهن إشارته، وكذلك قوله: (والنصر بين يديه كالمنقاد)، أي: والنصر ماثلٌ بين يديه، وهذا الحذف أكد الصورة البلاغية ووضح قوة المشبه وكأن كل شيء طوع يمناه ليست الأجسام التي تمتثل أوامره

فحسب بل والمعاني أيضاً، وهذا دليل على طلائع النصر وقربها من الجيش . فانظر كيف كان الحذف من مقتضيات الأحوال ومستلزمات السياق، حيث تفاعل مع غيره فلا يمكن إغفال قيمته إغفالاً تاماً، والنظر إليه بوصفه ضرورة، أو مصادفة سيق إليها الشاعر.

ومن ذلك ما قاله امرؤ القيس واصفاً صاحبته: 16

وَتُضْحِي فَتِيتُ المِسْكِ فَــوْقَ فِرَاشِهَـا　　　نَئُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَـنْ تَفَضُّـلِ

فالبيت كناية عن الترف والنعيم الذي يغمرها وتعيش فيه، فهي لم تنتطق عن تفضل؛ فتلك عادتها؛ لأنها مخدومة مترفة. فالكناية كغيرها من الصورة تبرز المعقول في صورة المحسوس، وتؤديه بلفظ يجمع بين الدعوى والدليل فيتمكن في نفس السامع، ويزداد إيضاحاً وبياناً. "فالكناية أبلغ من التصريح؛ لأنها ذكر الشيء بواسطة لازمه، ووجود اللازم يدل على وجود الملزوم، وذكر الشيء مع دليله أوقع في النفس وأقوى؛ لأنها دعوى يؤيدها الدليل، أما إذا لم تؤيد فإنها تضعف" 17

وقد كان للحذف دور بارز في براعة تلك الصورة حيث حذف المسند وهو قوله: (تترك فتيت)؛ ليؤكد تحقق طيب رائحتها ونفاذ شذاها، كما يؤكد الرفاهية والنعيم التي تعيشه وكأنه حقيقة ملموسة، وألفاظ الشطر الأول كلها من الفرائد، حيث الإيحاء وبراعة التصوير، وتجسيد مظاهر الجمال والترف والنعيم .

ومنه قول ذي الرمة: 18

أَيَا ظِبْيَــةَ الوَعْسَاءَ بَيْنَ جُـلَاجِلَ　　　وَبَيْـنَ النَّقَــــا أَأَنْتِ أَمْ أُمُّ سَلْمَى!

فالشاعر أدهشه الحب فخاطب ما لا يخاطب، وسأل ما لا يُساءل حتى كأنه لا يدري أمحبوبته من جنس الظباء الوحشية، أم من جنس البشر، والتردد في كون المحبوبة منهن أم من البشر، إما في حسن سواد عينيها وبياضهما، وإما في التنفر والوحشية. تأمل معي كيف بالغ الشاعر فجعل المشبه في موطن المشبه به، زيادة في التخييل والإيهام والتجهيل.

وقد جاءت الصورة التشبيهية هنا في سياق أسلوب الإيجاز وذلك بحذف المسند وهو ما أكد تلقائيتها وزادها قوة فوق قوة، في قوله: (أأنت محبوبتي أم أم سلمى)، زيادة في

التجاهل وقوة في التشابه بين الطرفين، مما يقع في النفس موقعاً عظيماً من الحسن وبديع المحاسن حتى يشكل حالها كمثل محاسنها فيبقى عند ناظرها من ذلك تخييل لا يفرق بينه وبين الظبية. 19

ثالثاً: دور حذف الموصوف في تشكيل الصورة

ومنه قول البحتري من أبيات يصف فيها الصور التي في إيوان كسرى، وذلك أن الفرس كانت تحارب الروم فصوروا مدينة أنطاكية في الإيوان عندما كانت حرب الروم والفرس عليها: 20

وَإِذَا مَـا رَأَيْتَ صُـورَةَ أَنْطَـا كِيَّـةَ ارْتَعَتْ بَيْـنَ رُومٍ وَفُـرْسِ

وَالمَنَـايَـا مَوَاثِـلُ وَأَنُـوشِـرْ وَانَ يُـزجِـي الصُّفُـوفَ تَحْتَ الدِّرَفْـسِ

فِـي اخْضِـرَارٍ مِـنْ اللِّبَـاسِ عَلَـى أَصْ فَرَ يَخْتَالُ فِـي صَبِيغَـةَ وَرْسِ

وَعِـرَاكُ الرِّجَـالِ بَيْـنَ يَـدَيْـهِ فِـي خُفُـوتٍ مِنْـهُمْ وَإِغْمَـاضِ جَـرْسِ

فالبحتري يشخص مدينة أنطاكية، ويخلع عليها من صفات الأحياء، ويجعلها تحس وتشعر وتتحرك وتفزع، وكذلك المنايا يعرضها في صورة حيوان يكشر عن أنيابه وسط المعركة ليختطف أنفس الشجعان، وما كانت تلك اللمسة التصويرية إلا لأجل ما فعلته الاستعارة المكنية التخييلية من حركة وحياة، وليس ذا فحسب بل تلك الحركة التي يصنعها ملك الفرس أنوشروان فهو يدير المعركة بنفسه ويدفع جنوده للقتال تحت العلم الفارسي الكبير، وقد لبس حلة القائد التي اتخذ شعارها من ألوان: الأخضر والأصفر والأحمر، وإنك لتجده مختالاً بنفسه لا يفزع ولا يضطرب لهول تلك المعركة، وجنوده البواسل يخوضونها في صمت وخفوت؛ لأنه وسطهم فلا يستطيعوا المجاهرة بالقول أمامه، وهذا كناية ترمي إلى مهابته حتى في أشد وأحلك الأوقات. وإنك لتجد الكناية في قمة توهجها وذلك في قوله: (يختال على أصفر)، فهي كناية عن فرس أصفر يمتاز بالخفة والنشاط والذكاء، فقد حذف الموصوف (الفرس)، واكتفى بصفته (أصفر)؛ لتدل عليه، وهذا مفهوم من قرينة الحال؛ لأنه لما قال: (على أصفر)، عُلم بذلك أنه أراد فرساً أصفر، كما أن (يختالُ)، قرينة لفظية؛ لأن الاختيال من صفات الخيل الحسنة، فحذْف الصفة هنا أضفى على الموصوف (المحذوف)، ما لا تضفيه كما لو ذكرت؛ فقد أضفت على الفرس

من صفات الخفة والقوة والذكاء، وهذا ما تعارف عليه العرب. "ومثل هذا الحذف يحصل في الكلام ويلطف لأن الجمل التي لا يحتاج إليها الكلام لظهورها ظهوراً بيناً وسهولة إدراكها منه يحسن طيه حتى لا يترهل بها الكلام". 21

رابعاً: دور حذف الصفة في تشكيل الصورة

من ذلك قول خليل مطران: 22

وَخِيَـامُــهُ فِــي الأُفُقِ مَاثِلَــةٌ عَلَــى تَـرْتِيبِ سِلْسِلَـةٍ مِـــنْ الأَطْـوَادِ

فنجده يشبه صفوف الجيش الفرنسي في تساويها وانتظامها وتواليها بسلسلة من الأطواد، ونلاحظ دقة الشاعر في تخير ألفاظه، فلفظة سلسلة وهي المشبه به في تخيرها دون غيرها ما يوحي بتعدد صفوف الجيش وتواليه وانتظامه وتماثله في الشكل والقوة، كما أن تقييد المشبه به بـ(سلسلة من الأطواد)، يعكس ثبات الجيش وضخامة قوته، وقد كان للإيجاز بالحذف هنا قيمة فنية وبلاغية أيضاً حيث حذف صفة الجيش (عظيمة)، وهي صفة المشبه به؛ لتتيح للمتلقي أن يتخيل تلك الصفوف العسكرية والتي انتظمت كسلسلة طويلة ضخمة حلقاتها متساوية في شكلها ومقدارها؛ لتعطي معنى الجسارة والثبات والقوة والضخامة فلا يختلف أحد أفراد الجيش عن الآخرين في شيء بل هم قوة واحدة متماسكة كسلسلة من الأطواد الشم العالية، وهذا مما لا شك فيه يعود على الصورة التشبيهية بالقوة والتمكين .

خامساً: دور حذف المتعلق في تشكيل الصورة

ومنه ما قالت الشاعرة منيرة توفيق وقد شاهدت زوجها وقد قتل أمام عينيها في ليلة عيد الأضحى ولم يكن قد مر علي زواجهما سوى أربع سنوات: 23

جَنُـوا عَلَيْـهِ وَجُنـحُ اللَّيـلِ مُعْتَـكِرٌ وَشِـــدَّةُ الحِـرْصِ لَا تُنْجِـي مِـنَ القَـــدَرِ

رَأَتْـــهُ زَوْجَتُـــهُ لِـــلأَرْضِ مُنْكَفِئَـــاً جَـرَتْ وَلَـمْ تَكْتَـرِثْ بِالــرَّوْعِ وَالخَطَـــرِ

فهذه صورة بديعة في عالم الجمال البياني، والمعاني الرقراقة المتآلفة، والغرض الذي قيلت فيه، فما أبدع تلك الحكمة التي زيلت بها بيتها الأول والتي زادت المعنى جمالاً وجلالاً وقوة وخلوداً، وما أدق قولها: (للأرض منكفئاً)، فهو يعبر عما آل إليه حالهُ

من الضياع والإهمال، فقد زهقت رُوحه، ولم يبق سوى جثة هي والأرض سواء، فما كان منها إلا أن أسرعت إليه ولم تكترث بما يمكن أن ينزل بها من الترويع والأخطار.

ومما ضاعف من جمال هذه الصورة وواقعيتها ما اتسمت به من إيجاز تمثل في حذف متعلق الفعل (جرت)، وهو الظرف (نحوه)، وذلك للاحتراز والتنزه عن العبث بناءً علي ظاهر الأسلوب؛ لأن في الكلام قرينة واضحة تدل عليه وتشير إليه، وهو أنه لابد وأن لا يتجه الجري إلا نحوه لذا فحذفه أولي من ذكره؛ لأن الذكر حينئذ يعتبر نوعاً من الزيادة من غير داع، ووجود الزيادة علي هذا النحو يعتبر فضولاً من القول، وثقل وترهل في الأسلوب مما يجدر بالبليغ أن يتحاشاه في حديثه.

وليس ذا فحسب فالشاعرة تصف السرعة الخاطفة التي انطلقت من خلالها لترتمي بين أحضان زوجها المفارق، وكأن هذه السرعة التي تحسها بزوال زوجها انعكست علي عبارتها فطوت فيها تلك اللفظة؛ لأن سياق المعنى في البيت طيّ وإضمار وابتلاع وارتحال دائم إلي بطن الغيب، وسفر لا أوبة له، ولو قالت: (جرت نحوه ولم تكترث)، لذهب بكل ما يدل عليه الحذف هنا من لهفة نفسها، وشدة حرصها علي نجاة زوجها، واندفاعها السريع نحو دفع الخطر عنه "فكلما كانت الصورة التي رسمها الأديب موجزة" "واضحة" كان التأثير أسرع في نفس المتلقي". 24

واقرأ ما قاله خليل مطران في وصف المعركة التي دارت بين فرنسا وألمانيا في قصيدة بعنوان: 1806-1870، وهذان الرقمان هما إشارتان إلى العام الذي انتصر فيه نابليون الأول على الألمان في معركة يانا ودخل برلين، وإلى السنة التي انتصر فيها الألمان على نابليون الثالث ولجوا فيها باريس مستخدماً التشبيه في بيان ما يكون في ذكر ذلك اليوم الدموي: 25

يَـــــوْمٌ تَجِــفُ لِــذِكْــرَاهُ أَنْهَــارُهَــا خَـوْفَـاً وَيَجْــرِي قَلْبُ كُـلِ جَمَــادِ

وَإِذَا قَـرَأْنَـــا وَصْفَــهُ فَكَــأَنَّــهُ بِــدَمٍ زَكِــيٍّ خُــطَّ لَا بِمِــدَادِ

برع الشاعر في وصف تلك المعركة وتقريبها لدى المتلقي من خلال تصويرها تصويراً يقرب الساحة الحربية من مشاعرهم ليشعروا بمثل ما يشعر به هو؛ لذا استخدم هذا اللون من التصوير وهو الاستعارة المكنية حيث صور ذلك اليوم الدموي وما يسوده

من أهوال وأن ما حدث فيه يفوق كل وصف، والذي جاء في وصفه أن لو صارت الأنهار مداداً يسطر بها ما حدث لجفت تلك الأنهار؛ خوفاً من هول ذلك اليوم، وليس ذا فحسب بل وجرى ماءً في قلب كل جماد اضطراباً وهلعاً لشدة مأساة هذا اليوم الرهيب، فهي صورة خفية تحتاج للتأمل وإعمال الفكر وما ذاك إلا أن التشبيه في المكنية أعمق وأخفي فهو كما يقول عبد القاهر: "إنما يتراءى لك بعد أن تخرق إليه سِتراً، وُتعمل تأملاً وفكراً". 26

ولعلك تنظر معي ما قام به حذف المتعلق (منه)، حيث صور القلوب وهي تجري خوفاً وهلعاً فليست الأنهار وحدها التي جفت ونضبت لهول هذا اليوم بل جرت قلوب الناس وتشتت في كل مكان، لاشك أن الحذف هنا كان إحدى أدوات الشاعر التصويرية القوية والتي أضفت على الصورة الكنائية مصداقية ارتقت بها عما عداها من الأساليب البلاغية الأخرى. وانظر لتلك الصورة التشبيهية التي يصور بها ما حدث في تلك المعركة وقد دونت بدمٍ زكي طاهر إنه دماء الشهداء التي سالت بها أرض تلك المعركة، وذلك في قوله: (فكأنه بدم زكي خُط لا بمداد)، حيث شبه الضمير الذي يعود إلى يوم الحرب وما حدث فيه، بـ (الدم)، فضلا عن تقييده بالوصف (زكي)؛ ليدل على أنهم قد ضحوا بدمائهم الطاهرة الزكية وأرواحهم البريئة النقية لأجل رفع رايتهم واستقلال بلادهم، ولا يخفى ما قام به تقديم الجار والمجرور (بدم زكي)، على عامله (خُط)، والذي بني لما لم يسم فاعله، فهو ذو قيمة فنية تمثلت في مشروعية تلك المعركة وقدسيتها والتي قدم فيها الكثيرون أنفس ما يملكون حيث قدموا أرواحهم ودماءهم فداءً لوطنهم، والتقديم هنا يكون من أجل التقوية والتأكيد والتقرير، ومثل هذا "لا يفيد إلا تقوية الحكم وتقريره في ذهن السامع وتمكنه". 27

وها هو الحطيئة يستعطف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – بعد أن حبسه للذع هجائه بقصيدة يقول فيها: 28

مَــــاذَا تَقُـولُ لِأَفْـرَاخٍ بِـذِي مَـرَخٍ   زُغْـبُ الحَـوَاصِلِ لَا مَـــاءَ وَلَا شَجَـــرُ

أَلْقَيْتَ كَـــاسِبَهُـــمْ فِـي قَعْرِ مُظْلِمَـــةٍ   فَاغْفِـرْ سَـلَامُ اللهِ عَلَيْـكَ يَـا عَمَرُ

فالبيت الأول صورة كنائية نسجت في طيات ثوب استعاري، حيث عبر عن صغاره بالفراخ استعارة تصريحية أصلية وقد رشح لها بقوله: (زغب الحواصل)، فجاءت

معبرة عن شدة الجوع والعطش وفراغ حواصلهم مما ترتب عليه من ضعف وهزال، وما كانت الصورة هنا تظهر بهذا المظهر البديع في التصوير إلا ومعها الإيجاز بحذف المتعلق في قوله: (لا ماء ولا شجر)، أي: لا ماء فيها ولا شجر، فالحذف أضفى على الصورة قوة ما بعدها قوة، فحواصل الأطفال تخلوا من كل أسباب الحياة، وقد ترك كاسبهم يقصد نفسه – على طريقة التجريد – في قعر مظلمة مقفرة تخلو من أحد مظاهر الحياة، والغرض من ذلك كله استجداء أمير المؤمنين؛ لذا ما إن سمع هذا البيان – رضي الله عنه – حتى عفا عنه وأطلق سراحه، ولا شك أن الشاعر كان بارعاً في تخير ألفاظه، فما أرى التأثير النفسي هنا إلا من حسن اختياره للكلمات الفرائد التي تلامس الحس وتناغي الشعور .

وهكذا يمضى الشاعر في تصوير أطفاله بهذه الصورة، ويمدها وينميها ويخلق منها بهذه الإضافات ذلك الشيء الحسي الغريب (بذي مرخ – زغب الحواصل)، وهذا ما يسميه البلاغيون ترشيحاً، وفي هذه التسمية دقة في فهم طبيعة هذه الطريقة، فقد ذكروا أن المراد بالترشيح تربية المجاز وتنميته وإشاعته حتى يوهم أنه حقيقة، من قولهم: رشح الصبي إذا ربَّاه وغزَّاه باللبن حتى يقوى، وكأن هذه التفريعات تمد المجاز وتربيه وتنميه، كأنها تغذي الصورة الخيالية، وتوسع إمكان الإقناع بأنها حقيقة". 29

يقول خليل مطران متغزلاً حينما شح الذهب في مصر حتى خشي أن يحدث أزمة مالية كبيرة، ورأى الشاعر في تلك الأيام عذراء حسناء ذهبية الشعر تتدلى من رأسها إلى عطفها ضفائر براقة، يقول مستخدماً أسلوب الإيجاز جانب الصورة التشبيهية في تصوير تلك الأزمة المالية: 30

حُـــورِيَّةٌ لَاحَتْ لَنَـا تَنْثَنِـي	**كَـــالغُصْـــنِ حَيَّــــاهُ الصِّبَـــا حِيــــنَ هَبّْ**
مَــرَّتْ فَمَـا فِـي الحَيِّ إِلَّا فَتَـىً	**فُـؤَادُهُ فِـــــي إِثْـــــرِهَـــــا قَـــدْ ذَهَـبْ**
والشَّعْرُ مَنْضُودٌ عَلَـى رَأْسِهَـا	**كَـالعَسْجَـــدِ الحُـــــرِّ زَهَـــا وَالتَـــهَبْ**
وَصَاحَ مَـذْهُـولًا: أَلَا فَــانْـظُـرُوا	**فِـي هَـذِهِ الأَزْمَـــــةِ هَـــذَا الـــذَّهَبْ!**

الشاعر في هذه الأبيات وفي وصفه تلك المرأة واختيالها وتحركاتها وبهاء طلعتها شبهها بالغصن حين تحركه رياح الصبا، وأنه لم يبق أحد وقت مرورها إلا وقد ذهب فؤادُه

وراءها كل مذهب، وقد استخدم التشبيه الحسيّ هنا ليؤكد المعنى في نفس المتلقي؛ وذلك لأن المشاهدة لها أثر في النفس لا ينكر، فالحسية في التشبيه "لها تأثيرها من خلال المعاناة التصويرية، بحيث تضفي إيحاءات أو معاني متعددة ذات صلة بالوجدان، كما أن الدلالة الحسية في التشبيه ليست عملية إرشادية أو تعبيرية فحسب، وإنما هي عملية إبداعية، وعنصر مكين في تكوين المعنى، فينتقل المتلقي من الإدراك الجاف إلى المعاناة الوجدانية للمعنى بفضل التشبيه فقرنه بمعانٍ نفسية لا تتوافر في حال التعبير المجرد". 31

وهذا كناية بنيت على استعارة، حيث شخص القلب وبث فيه الحركة ومنحه الحياة وجعله يروح ويغدو، وقد حذف المتعلق في قوله: (في الحي إلا فتى)، إذ أن أصله: (فما في الحي من فتية إلا فتى)، ليفيد العموم والشمول، وكأن ما من أحد في الحي إلا وذهب لبه خلفها افتتاناً بها، فترى كيف وقف الحذف جانب الصورة فرشح لها وأضفى عليها من الصنعة والحبكة ما وسمها بالواقعية.

أرأيت ما فعله الإيجاز بالصورة؟ لقد ضاعفت من جمالها وأضفى عليها رونقاً وطرافة، ونقلها من معرض الابتذال والعموم، إلى مجال الندرة والخصوص، كما يؤدي إلى تحريك الشعور، وجذب الانتباه، وإثارة المتلقي، وتحريك نشاطه، والتأثير فيه.

وفي قوله: (ألا فانظروا في هذه الأزمة هذا الذهب)، شبه شعرها في زهوته واصفراره بالذهب الخالص، وهو تصوير رائع تمثل في التعبير عن الشعر بالذهب بجامع الصفرة والزهوة والبريق واللمعان، وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية.

سادساً: دور حذف المعمول في تشكيل الصورة

انظر لعمرو بن كلثوم وهو يتوعد عمرو بن المنذر: 32

أَبَا هِنْدَ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا وَأَنْظِرْنَا نُخَبِّرْكَ اليَقِينَا

بِأَنَّا نُورِدُ الرَّايَاتِ بِيضَاً وَنُصْدِرُهُنَّ حُمْرَاً قَدْ رَوِينَا

فواضح من البيتين أن الشاعر يتوعد عمرو بن المنذر ويتهدده في إيقاع حماسي نادر، وقد اتخذ من الكناية سبيلاً للبيان والوضوح لما قصد إليه قومه وعزموا عليه بقوله: (نورد الراياتِ بيضاً ونصدرهن حمراً قد روينا)، وقد طابق بين: الأحمر والأبيض، وأراد

الكناية عن كثرة القتل وشدة الفتك والبطش، ومما زاد الصورة روعة وقوة ما بها من إيجاز تمثل في حذف المعمول (دما)، وهو أبلغ في الدلالة على كثرة الدماء وأنكى في التهديد مما لو ذُكر، والبيت صورة كنائية معبرة عن تمام العزة والقوة وتحقيق النصر بشتى صوره، وقد جعل "أنظِرْنا" في مقابلة "تعجلْ" وكأنه يومئ من طرف خفي بأن الحال سيتبدل، وأننا سنخوض معركةً قتالية لا هوادة فيها، وسنُعمل فيكم القتل والسلب، وانظر إلى جمال التعبير بالإيغال الذي يضفي على المعنى الظلال والإيحاء، فكان يكفي أن يقول: ونصدرهُنّ حمراً، ولكنه لما احتاج إلى القافية قال: (قد رُوينا)، إمعاناً في التصوير، وإغراباً، في البيان وتكاملاً في التشخيص، والكلام على التمثيل، حيث "مثّل الرايات بالإبل، والدم بالماء، فكأن الرايات ترجع وقد رُويت من الدم كما ترجع الإبل وقد رُويت من الماء".33

واقرأ قول هاشم الرفاعي مصوراً حال أحد منكوبي مدينة "ميت غمر" بعدما حل بها من دمار وخراب عندما شبت بها النيران: 34

فَمِـنْ مُرْسِلٍ عَيْنَيْـهِ يَبْكِي وَلَـوْ جَـرَتْ مَـدَامِعُـهُ بَيْـنَ الغَضَـا لَتَضَرَّمَــا

فهذا البيت يعرض صورة لأحد منكوبي تلك الكارثة وقد ظل يرسل عينيه حزناً وأسى، وقد عبر عن عصر العينين بالدموع عند البكاء بالإرسال استعارة تصريحية تبعية، ولا شك في أبلغية الاستعارة؛ لما في الإرسال من الكثرة والإفراط ما لا يتوافر في غيره، وهذا ما يتناسب وحالته المنكوبة، كما عبر عن سيلان الدمع بالجريان في قوله: (لو جرت مدامعه)، علي سبيل الاستعارة التبعية أيضاً فلو قال: ولو نزلت مدامعه، مثلاً لما دل علي غزارة الدموع وكثرتها، ولم لا وهو يبكي ملكاً مضاعاً، وشعباً منكوباً، وأهلاً وولداً مفقوداً، لذا كان حذف معمول (يبكي)، من ملائمات الصورة وذلك قصداً للعموم والشمول وإشارة إلي كثرة ما انطوى تحت أنقاض تلك النيران، فهو يبكي بحرقة ومرارة؛ وما ذاك إلا لأن الديار والمنازل من المثيرات التي تهز النفس وتتزاحم فيها الخواطر والأطياف والأحلام التي بددتها الأيام في طغيانٍ قاسٍ عنيف، والشاعر في هذا الموقف يكون ممتلِئ النفس أعظم الامتلاء، متوتر الحس أشد التوتر، وهذه حال تدعو إلي أن تكون الصياغة مركزة أشد التركيز ليكون الأسلوب أشبه بالنفس؛ لذا كان الحذف من مثيرات النفس الشاعرة. ولقد استطاع الشاعر أن يختصر هذا الكلام الطويل في صورة فنية لا تتجاوز بضع كلمات دون أن يخل بمعناه، وأن ينقص من جمال تصويره وقيمته.

واقرأ قول علي محمود طه مثنياً على شعر محمد عبد المعطى الهمشري: 35

مَشَـتِ الطَّبِيعَـةُ فِيـهِ بَيْـنَ جَـدَاوِلَ   خُـرْسٍ وَأَدْوَاحَ هُنَـــاكَ حَـــوَاسِـــرُ

وَلَـــوْ اسْتَطَـاعَتْ نَضَّتْ أَوْرَاقَهَـا   كَفَنَـاً لَـهُ وَالنَّـعْشُ غَـضٌّ أَزَاهِـرُ

فانظر إلي الطبيعة وقد تشخصت في خيال الشاعر؛ لتجد الجداول خرس، والأداوح حواسر، يلفها الحزن، ويغمرها الأسى، ولو استطاعت لنضت من أوراقها له كفناً، ومن الأزاهر له نعشاً، وليس ذا فحسب، بل ودعت سواجع الطير تشاطرها أحزانها، وتشهد هذا الموقف الحزين.

إن هذه الصورة لزاخرة بالحركة والحياة، وقد تعاونت مشاهد الطبيعة المختلفة في عرضها، وإن هذا ليرمي إلى إكثار الفقيد من وصفها والافتنان بها، والانخراط فيها، فإن أصدق وصف يمكن أن يطلق عليه "أنه شاعر الحب والطبيعة، فشعره لم يتجاوز هذين الاتجاهين إلي غيرهما من الأغراض الشعرية".36 وقد تميزت تلك الصورة بالإيجاز في قوله: (لو استطاعت نضت أوراقها)، حيث حذف معمول الفعل (استطاعت)؛ وذلك للبيان بعد الإبهام، فمثل هذا الفعل (استطاع)، وغيره من أفعال المشيئة والإرادة إذا وقع في خبر الشرط وكان تعلقه بمحذوف معتاداً غير غريب، وصح أن يكون الجزاء دليلاً عليه حينئذٍ يقدر المفعول مصدراً لفعل الجزاء، وأنت ترى أن فعل الاستطاعة في البيت الثاني لم يصحب مفعولاً، ولكنه ناظر إليه من غير إهمال أو تناسي وتعلقه به غير غريب، وفي حذف هذا المفعول إيهام يجعل النفس تذهب في تقديره كل مذهب، وتتشوق إليه وإلي إيضاحه وتفسيره، وفي ذكر الجواب – جواب أداة الشرط الذي يشير إلي المحذوف – بيان وتفسير، ولا شك أن البيان إذا جاء بعد الإبهام كان أوقع في النفس وأبعد أثراً.

يقول الدكتور/ محمد رجب البيومي في رثاء زوجته متحدثاً عما كانت تكنه لأبنائها من عطف وحنو: 37

تَتَعَهَّـدُ الأَفْلاذَ فِـي أَحْضَـانِهَـا   بِهَـوَىً لَـهُ بَيْـنَ الضُّلُـوعِ أُوَارُ

لَـوْ تَسْتَطِيـعُ تَرُدُّهُـمْ لِضُلُوعِهَـا   صَـوْنَـاً لَهُـمْ مِـنْ أَنْ يَهُبَّ غُبَـارُ

أراد لو استطاعت ردهم لضلوعها تردهم، ولكنه حذف معمول الفعل (استطاع)، وأغمضه بهذا الحذف؛ فتحركت النفس لتعرف مدى استطاعة تلك الأم وإرادتها، فأعجلنا ببيان تلك الاستطاعة وهو رد فلذاتها لضلوعها صوناً لهم وخوفاً عليهم، فأصاب من النفس موقعاً حسناً، لذا وضحت صورته، وحسنت عبارته، وجاء كلامه صافياً بريئاً من الفضول.

وفي مبايعة شوقي في المهرجان الكبير الذي أقيم؛ تكريماً له في دار الأوبرا الملكية في عام 1927م، يقول خليل مطران: 38

أَلَمَمْتُ مِـــنْ شَـــوقِـــي بِنَحـــوٍ وَاجِـــدٍ وَجَـلَالــهُ مُتَعَــدِّدُ الأَنْحَـاءِ

مَـــــلَأَتْ مَحَاسِنُهَـــا قُلُـــوبَ وُلَاتِــــــهِ وَتَثَبَّتَتْ فِـي أَنْفُسِ الأَعْـدَاءِ

للهِ شَـوقِـــي سَــاجِيَــاً أَوْ ثَــائِـرَاً كَالَّلَيْثِ وَالبُـــرْكَـــــانِ وَالدَّأْمَـــــــاءِ

فقد شبه شوقي بالليث في القوة مرة، والبركان في السعة والحركة والإثارة مرة، والدأماء وهو البحر في كثرة المنافع مرة أخرى، وقد عدد الشاعر من الصور التشبيهية هنا؛ للوصول إلى أوجه شبه كثيرة للممدوح يرجع غرضها إلى بيان ما له من خصال يجب معرفتها بطرق مختلفة، وفي قوله: (ملأت محاسنُها قلوب ولاته)، كناية عن سمو مكانته وعلو منزلته لدى محبيه ومريديه وجميع قاصديه، ومما زاد من جمالها وقوتها ما بها من إيجاز تمثل في حذف المفعول به؛ ليفيد العموم والشمول؛ لتسرح النفس كل مسرح فيما امتلأت به قلوب ولاته من حب وود ووفاء وإجلال وإخاء ... وقد بلور الشاعر هذه الصورة بطريقة فنية محكمة، نسق فيها بين اللفظ والمعنى فصاغها في ثوب بديعي هو الطباق بين ""ولاته والأعداء" حيث مازج فيها بين الشكل والمضمون حتى تمكن من توفير الانسجام التام بين اللفظ والمعنى فكان له أبلغ الأثر على "التيار العاطفي الروحي الدافق خلف المعنى والكلمات". 39

فهي صورة بديعة ترقد تحتها صورة كنائية ساحرة، وتشكيل الشاعر صورته على هذا النحو "أمر مقصود له هدفه، وله دلالته، فهو يوظف اللغة توظيفاً خاصاً، لتحقيق قيمة صوتية وإيقاعية هي في حد ذاتها قيمة جمالية تكشف عن مزايا أسلوبية خاصة

داخل بنية الصورة الكنائية"40 كما يحدث نوعاً من الموسيقى الداخلية ترتاح له الآذان، وتسر به الأنفس، فيقع منه موقع الرضا والاستحسان.

سابعاً: دور الإيجاز بحذف الحرف في تشكيل الصورة

وإذا كان البلاغيون قد اهتموا بحذف جزء الجملة في باب المسند إليه والمسند ومتعلقات الفعل، وحذف الجملة، وأكثروا منها في باب الإيجاز بالحذف، إلا أنهم لم يلتفتوا إلي حذف جزء الكلمة، وإن كان فيه من الإشارات والتنبيهات اللطيفة ما يوجب التنبيه إليها.

ومنه ما قاله مطران خليل في قصيدته "الأسد الباكي" والتي كان يبث فيها أحزانه بعد فشله في التجارة يقول خليل مطران: 41

فَإِنْ تَــرَنِ وَالحُــزْنُ مِــلْءُ جَــوَانِحِــي   أُدَارِيــهِ فَلْيَغْـرُرْكَ بِشْـرِي وَإِينَــاسِ

وَكَــمْ فِــي فَــؤَادِي مِـنْ جِـرَاحٍ ثَخِينَـــةٍ   يَحْجُبُهَـا بُــرْدَايَ عَنْ أَعْيُـنِ النَّـاسِ

يقول: إن ترنِ والحزن ملء جوانحي أداريهِ فلا يغررك بِشري وإيناسي، وإنك لتكاد ترى كناية تلوح خلف ستار شفاف بينها وبين ألفاظ هذين البيتين لتوحي أن ظاهره يخالف ما بداخله، وقد لجأ إلى التصوير الاستعاري المكني حيث جسد الحزن وقد امتلأ به فؤاده وفاضت به جوانحه والذي يحاول جاهداً مداراته، لكن هيهات! فإن ما يرتسم على وجهه من بِشر وإيناس ليوحيان أنه يحيا حياة سعيدة، فواقعه يشهد خلاف ذلك، والصورة قد ازدانت وحسنت بما تضمنته من إيجاز تمثل في حذف الياء في قوله: (فإن ترنِ)، وهي وإن كانت تخضع لقاعدة نحوية حيث وقعت فعلاً للشرط قبلها إلا أنه يحمل بين طياته كناية عما امتلأت به نفسه من الحزن والأسى وقد فرغ تماماً من كل ما يشبه السعادة والطمأنينة والأمل والراحة النفسية حتى أنه ليحاول جاهدا إخفاءه بِبشره وابتساماته. وقد لجأ إلى التصوير البياني مرة أخرى وذلك بطريق المجاز الاستعاري المكني أيضاً في قوله:

وَكَـمْ فِــي فـؤَادِي مِـنْ جِـرَاحٍ ثَخِينَـــةٍ   يَحْجُبُهَـا بُـرْدَايَ عَـنْ أَعْيُنِ النّاسِ

حيث ذكر المشبه وهو ما في نفسه، وحذف المشبه به وهو جسمه، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو التحجب بالبردة، استعارة مكنية تخييلية، والقيمة الفنية لتلك الصورة هو التدقيق في وصف أحواله النفسية مستعيناً بما نراه على ظاهره من الثياب. فميزة هذه الصورة أنها "تحتاج إلى إعمال الفكر، وتحريك الخاطر". 42 أو أنها "تحتاج إلى الفكر والروية". 43 فهي صورة شاخصة فيها الحركة الدائبة، وهي في تثبيت المعنى المراد بها أشد وأقوى، ولها وقع في النفس ألطف؛ لأن الشيء "إذا نيل بعد الطلب له والاشتياق إليه كان نيله أحلى، وبالميزة أولى، فكان موقعه من النفس أجل وألطف، وكانت به أضن وأشغف" 44 وانظر إلي قول عزيز أباظة مصوراً حاله بعد رحيل زوجه مصوراً إخفاقه في القيام علي أمر أبنائه، وتصوير الفراغ الذي أوجده رحيلها: 45

وَلَوْ أَسْكَنْتُهُمْ حَبَّاتِ قَلْبِي ... لَمَا هَدَؤُوا وَلَا طَعِمُوا قَرَارَا

فَلَنْ يُغْنِيهُمُو يَا "زَيْنُ" عَطْفِي ... وَلَوْ قَدْ سَالَ مِنْ كَبِدِي وَمَارَا

فالبيتان كناية عن شدة حزنه، وتبدل أحواله وما يعشيه من فراغ، وإخفاقه في القيام على أمر أبنائه رغم محاولاته الدؤوبة في إرضائهم ...

فلشدة ما فيه من حزن وأسى وعجْز عن هدهدة أولاده، والقيام علي أمرهم؛ عجز عن إتمام الكلام، فرخم (زينب)، وهذا وراءه ما وراءه من ضيق الصدر، وغلبة اليأس، ومعاناة الهول معاناة شغلته عن إتمام الكلمة، وكأن لسانه قد تعثر وأصيب باليبس والجمود، فخطف الكلمة وأسقط منها ما أسقط وكأنه يهمس في أذنها بأوجاعه الحزينة، ويُسر لها بآلامه الكظيمة. فالحذف في اللفظ وثيق الصلة بالمعنى، ومع ذلك أكسب الكلمة خفة، ولم يلبس معناها.

وانظر إلي الرافعي مصوراً حاله بعدما شبت النيران في مدينة "ميت غمر". 46

أَلَا لَا تَلُمْهُ اليَوْمَ أَنْ يَتَأَلَّمَا ... فَإِنَّ عُيُونَ الحَيِّ قَدْ زَرَفَتْ دَمَا

رَأَي مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ مَا رَأَى! ... وَعَلَّمَهُ الدَّهْرُ الأَسَى فَتَعَلَّمَا

وَلَمْ يَكُ مِمَّنْ يَمْلِكُ الهَمُّ قَلْبُهُ ... وَلَكِنْ أَتَاهُ الهَمُّ مِنْ جَانِبِ الحِمَى

فالشاعر لم يحذف النون من مضارع (كان)؛ لأن شروط الحذف التي ذكرها النحاة قد استوفت، فحسب ولكن ليكنِّي به عن قوة صبره، وشدة تجلده، وجسارة قلبه، فلم يك ممن

يملك الهم قلوبهم، أو تستهويهم الأحزان، فالكناية هنا ترمي إلي صلابة نفسه، وقوة عزمه، وعدم انقيادها وخضوعها للحاجة؛ لذا فالحذف في هذه الصورة يرجع حسنه إلي امتلاء العبارة وقوة دلالاتها.

الخاتمة

بعد هذه الوقفة السريعة مع أسلوب الإيجاز وأثره في نسيج الصورة وما كان له من أثر فعال في تقويتها وعرضها بمعرض بديع خلاب؛ لابد لنا أن نجمل أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة ...

نتائج الدراسة

1- كان من أهم نتائج الدراسة بيان ما للإيجاز من دور فعّال في نسيج الصورة وأنه لا يقل عن غيره من أدوات التصوير الأخرى في عرض التجربة الشعرية.

2- تعاون الفنون البلاغية وفي مقدمتها الإيجاز بضروبه المختلفة والصورة في عرض التجربة الشعرية.

3- اجتزاء الصورة عن غيرها من الفنون البلاغية الأخرى يخل بالمعنى العام، ويؤثر علي استظهار هذه الصور ووضوحها، كما يشوه الصورة ويعرضها بمعرض غير فعال.

4- الصورة بمختلف وسائل بنائها وما ينطوي تحتها من تشبيه واستعارة وكناية كانت تمثل أعلي مستويات التأثير في المتلقي.

5- قوة التصوير ودقته وذلك بمعاونة أسلوب الحذف حتى أصبحت واضحة أخاذة، عدا المقدرة الفائقة في اختيار الألفاظ الدقيقة المصورة والموحية.

6- كشفت الدراسة عن قيمة الصورة بمعاونة غيرها من الفنون البلاغية الأخرى فكانت خير أداة لفرسان الكلمة العربية حيث صوروا من خلالها أفراحهم وأتراحهم آمالهم وآلامهم، وكشفوا عن تجاربهم وأفكارهم مما يجعل المتلقي يعيش تجربتهم كما عاشوها هم.

توصيات الدراسة

توصي الدراسة الباحثين وغيرهم من الدارسين أن يولوا تشابك الأساليب البلاغية المختلفة وتداخلها اهتماماً بالغاً؛ لأن الصورة وغيرها من الأساليب الأخرى لا يمكن أن تؤدي دورها أداءً جيداً منفردة أو مجزأة بعيدةً عن غيرها؛ بل لابد من مراعاة السابق واللاحق واختيار الصور والأدوات الموحية، وكذلك المفردات ذات الجرس المؤثر وارتباط ذلك كله بغيره من الأساليب الأخرى.

هامش الدراسة:

1- خصائص التراكيب دراسة تحليلية د/ محمد أبو موسى. مكتبة وهبه، ط3، 1980م، ص153.
2- دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجاني. شرح/ محمود محمد شاكر، مطبعة المتنبي القاهرة، ط3، 1413-1992م، ص 96:95.
3- ديوان من وحى المرأة، عبد الرحمن صدقي، ط1ص 117.
4- التصوير في شعر المتنبي، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، جـ1، سنة 2003م، ص 48.
5- المصدر السابق، جـ1، ص 48.
6- الأسرار البلاغية في تخير الكلمة من خلال الصيغ القرآنية للباحث / عزمي فرحات عبد البديع، كلية اللغة العربية بالمنصورة تحت رقم: 176، ص 249.
7- ديوان زهير ابن أبي سلمى، شرحه الأستاذ/ علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1408هـ - 1988م، ص9.
8- العمدة لابن رشيق تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، جـ 2، دار الجيل، ص 66.

9- ديوان أبوالأسود الدؤلي، تحقيق محمد حسن آل ياسين، دار ومكتبة الهلال، ط2، 1418ه-1998م، ص388.

10-نظرات في البيان د. محمد عبد الرحمن الكردي، مطبعة السعادة، 1976، صـ261.

11 -المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. ضياء الدين بن الأثير. تحقيق د. أحمد الحوفي، بدوى طبانة، دار النهضة بمصر، بدون. ص 158.
12 ديوان حافظ إبراهيم، دار العودة للصحافة والطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص150.
13 ديوان هاشم الرفاعي، تحقيق ودراسة/ عبد الرحمن جامع الرفاعي، مكتبة الإيمان، ط1، ص400.
14 خصائص التراكيب ص281.
15 دي ديوان امرؤ القيس، ضبطه وصححه الأستاذ مصطفى عبدالشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط5، 1425ه-2004، ص116.
16 ديوان خليل مطران جـ 1 صـ 15.
17 نظرات في البيان د/محمد عبد الرحمن الكردي ص261.

18 ديوان ذي الرمة، قدم له وشرحه أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ-195.95م، ص
19 الفوائد المشوق. منسوب لابن القيم الجوزية، مكتبة المتنبي، ص180.
20 ديوان البحتري، ط 3، دار الكتاب العربي، بيروت، ص 167.
21 بلاغة تطبيقية دراسة لمسائل البلاغة من خلال النصوص، د. بسيوني فيود، ط1، 1412، ص153.
22 ديوان خليل مطران جـ 1- ص15.
23 ديوان منيرة توفيق، دار المعارف، ط2، سنة 1883م، ص 113.
24 في البلاغة العربية، علم البيان د. حسن البنداري، مكتبة الأنجلو المصرية 1409هـ، ص93.
25 ديوان خليل مطران، جـ 2 ط3، 1973م، دار الكتاب العربي، بيروت، ص 15.
26 أسرار البلاغة. للإمام/ عبد القاهر الجرجاني، تحقيق ريتر، ط3، 1983، ص44.
27 بغية الإيضاح ، للشيخ/ عبد المتعال الصعيدي، جـ1 مكتبة الآداب، ص124.
28 ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، ص260.

29 التصوير البياني د. محمد أبو موسى مكتبة وهبة القاهرة، ط3، سنة 1413هـ _ سنة 1993م، ص304.
30 ديوان خليل مطران، جـ 2 ص 205.
31 التصوير البياني في شعر المتنبي، مقال بمجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، سنة 2004م، ص 408.
32 ديوان عمرو بن كلثوم، جمعه وحققه وشرحه الدكتور اميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1411هـ1991م، ص71.
33 شرح القصائد العشر للتبريزي، مكتبة محمد علي صبح، د- ت، ص 226.
34 ديوان هاشم الرفاعي، ص64.
35 ديوان علي محمود طه، دار العودة، بيروت، ص340.
36 مع الشعراء المعاصرين د. محمد متولي البساطي ط ا، 1411-1991م، ص214.
37 ديوان حصاد الدمع، د. محمد رجب البيومي، د-ت، ص -18.
38 ديوان خليل مطران، جـ 3 ص236.
39 البحتري بين نقاد عصره د. صالح حسن اليظي دار الأندلس بيروت، ص233.
40 موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي ص252.
41 ديوان خليل مطران، جـ 2 ـص17.
42 دراسات تفصيلية في البلاغة د. أحمد حفني، طبعة دار المعارف، سنة 1968م، ص 117.
43 البلاغة التطبيقية د. أحمد موسى مطبعة المعرفة، ط1، سنة1963م، ص104.
44 أسرار البلاغة ص 158.
45 ديوان عزيز أباظة دار العودة، بيروت، ص87.
46 ديوان الرافعي شرحه/ محمد كامل الرافعي. جـ 1، مكتبة الإيمان بالمنصورة، بدون، ص64.

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

1- ابن الأثير، ضياء الدين. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق د/ أحمد الحوفي، بدوى طبانة. دار النهضة بمصر. بدون.
2- التبريزي، شرح القصائد العشر 226 مكتبة محمد علي صبح، د- ت.القيرواني، ابن رشيق.(1981م)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط5.
3- الجرجاني، عبد القاهر.(1983)، أسرار البلاغة، تحقيق ريتر. ط3.
4- الجرجاني، عبد القاهر.(1413-1992م)، دلائل الإعجاز شرح/ محمود محمد شاكر، مطبعة المتنبي القاهرة، ط3.
5- الجوزية، ابن القيم. الفوائد المشوق، مكتبة المتنبي.
6- بغية الإيضاح للشيخ / عبد المتعال الصعيدي. مكتبة الآداب.

ثانياً: المراجع:

7- البساطي، محمد متولي.(1411هـ - 1991م)، مع الشعراء المعاصرين، محمد، ط1

8- الكردي، محمد عبد الرحمن. (1976م)، نظرات في البيان، مطبعة السعادة.

9-اليظي، صالح حسن. البحتري بين نقاد عصره، دار الأندلس، بيروت.

10- أبو موسى، محمد. (1413هـ 1993م)، التصوير البياني، مكتبة وهبة القاهرة ط3.

11- أبو موسى، محمد (1980م)، خصائص التراكيب دراسة تحليلية،مكتبة وهبه، ط3.

12- حفني، أحمد. (1968م)، دراسات تفصيلية في البلاغة، دار المعارف سنة.

13-ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت، د/ محمد قميحة دار الكتب العلمية.

14-ديوان الرافعي شرحه محمد كامل الرافعي. مكتبة الإيمان بالمنصورة. بدون.

15- ديوان امرؤ القيس، ص116، ضبطه وصححه الأستاذ مصطفى عبدالشافي، دار

الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط5، 1425ه-2004.

16- ديوان أبوالأسود الدؤلي، تحقيق محمد حسن آل ياسين، ص388، دار ومكتبة

الهلال، ط2، 1418ه-1998م.

17- ديوان حافظ إبراهيم، دار العودة للصحافة والطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

18-ديوان حصاد الدمع، د/ محمد رجب البيومي، د- ت.

19-ديوان خليل مطران الأجزاء الأربعة ط 3، 1967م، دار الكتاب العربي، بيروت.

20- ديوان ذي الرمة، قدم له وشرحه أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت،

لبنان، ط1، 1415ه-1995م.

21- ديوان عمرو بن كلثوم، جمع وتحقيق وشرح د. إيميل بديع يعقوب، دار الكتاب

العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ- 1991م.

22-ديوان من وحى المرأة، عبد الرحمن صدقي، ط1.

23-ديوان هاشم الرفاعي، تحقيق ودراسة/ عبد الرحمن جامع الرفاعي، مكتبة الإيمان، ط1.

24-فيود، بسيوني. (1412)، بلاغة تطبيقية دراسة لمسائل البلاغة من خلال النصوص، ط1.

25-موسى، أحمد. البلاغة التطبيقية (1963م)، مطبعة المعرفة، ط1 سنة.

ثالثاً: الرسائل العلمية:

26- عزمي فرحات عبد البديع. الأسرار البلاغية في تخير الكلمة من خلال الصيغ القرآنية (رسالة ماجستير)، كلية اللغة العربية، المنصورة، مصر، قسم اللغة العربية، جامعة الأزهر، 1997م، تحت رقم: 176.

رابعاً: المجلات:

27-التصوير البياني في شعر المتنبي، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، د. الوصيف هلال الوصيف، 1988 ، 2001 ، 2003م.2004م.

تجليات الزمن في رواية السهل لأحمد بن نصر

أ.محمد الناجي

عضو هيأة تدريس بجامعة السيد محمد بن علي

السنوسي الإسلامية

كلية اللغة العربية

قسم الادبيات

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

يتناول البحث تجلي التقنيات الزمنية في بناء رواية السهل، بالاعتماد على تقسيم جيرار جنيت لهذه التقنيات وهي:

أولا : المفارقات الزمنية وتشمل على تقنيتي (الاسترجاع والاستباق).

ثانيا : الإيقاع الزمني الذي يسير عليه السرد ويشمل تقنيتي (المشهد والوقفات الوصفية التي تعطل سير السرد) وتقنيتي (الخلاصة والحذف التي تسرع السرد)

وبتتبع تجلي هذه التقنيات في الرواية سنصل إلى:

1. النظام الزمني الذي سار عليه السرد من خلال رصد تقنيتي الاسترجاع والاستباق.

2.الرتم الذي سار عليه السرد من حيث السرعة والبطء من خلال تقنيتي بطء السرد(المشهد والوقفات الوصفية) ، وتقنيتي تسريع السرد (الخلاصة والحذف).

The research obviously presents the time techniques in the alsahel

novel, That relays on Gerar genet division of these techniques:

First: of all the gap of time differences which includes the(analeptics and proletarian).

Secondly: the time rhymes which the narrative story includes such as (descriptive pause and scene) techniques that interrupt the story flow as well as(paralipsis and sommaire) which speeds up the story flow. Pursuit of these techniques we will find out the following:

1.The L'ordere temporal that contains narrative through the technical of (analeptics and proletarian).

2.Telling in which narration during speed and slow , we will know slow in technical narration during (scene and descriptive pause) ,in addition, The technical of speed narration (sommaire and paralipsis).

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين ،والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد النبيء الأمي وعلى آله وصحبه وسلم وبعد:

نال الزمن الروائي النصيب الأوفر من الدراسة والتنظير مقارنة بعناصر السرد الأخرى ؛لأهميته الكبرى في تشكيل الخطاب الروائي، إضافة لكونه قاعدة تستند عليها العناصر السردية الأخرى، وللأهمية التي حظي بها الزمن في الدراسات النقدية جعلتني أخوض غمار بحثي هذا بدراسة تجليات الزمن في إحدى الروايات الليبية وهي (رواية السهل) لكاتبها أحمد بن نصر، ساعية للكشف عن أشكال التقنيات الزمنية فيها، فأحمد بن نصر من الروائيين الذين لهم تنوع سردي في كتابته التي تكن وقفا على الرواية فقط، ولعل من أهم أعمال الكاتب السردية ما يلي:

1 – وتبعثرت النجوم (مجموعة قصصية).

2 – شبح النهاية (مجموعة قصصية).

3 –وميض في جدار الليل (رواية).

4 – القرية التي كانت (رواية).

5 – الحساب والجفاف (مجموعة قصصية).

6 – المراحل حياتي أرويها الجزء (1، 2) ، (سيرة ذاتية).

ويسعى الباحث للإجابة على التساؤلات التي عادة ما تكون إشكالية البحث في (حقل الزمن) وهي:

1.النظام الزمني في ترتيب الأحداث برصد المفارقات الزمنية داخل النص من خلال تقنيتي الاستباق والاسترجاع.

2.الإيقاع الذي يسير عليه السرد من حيث السرعة والبطء.

وتكمن أهمية البحث بكونه أول دراسة –حسب ما أعلم– تتناول الزمن في

الرواية محل الدراسة، إضافة إلى أن المنهج المتبع في التحليل لن يتوقف عند حدود الجانب النظري للزمن، بل تتجاوزه إلى التطبيق الفني والإجرائي

وسيسلك الباحث المنهج البينيوي وفقا لآليات الناقد الفرنسي (جيرار جنيت) ، مستعينا بالمنهج الإحصائي عند الحاجة

والدراسات التي حظي بها الزمن في الحقل النقدي كانت متعددة ،منها ما تناوله نقاد أجانب، ومنها نقاد عرب، وسنذكر بعضا منها

1.أشكال الزمن والمكان في الرواية، مخائيل باختين ، تر يوسف حلاق

2.جدلية الزمن غاستون باشلار ، تر خليل أحمد خليل

3.الزمن والرواية، أ.أ مندولا ، تر بكر عباس

4.الزمن في الرواية العربية، مها القصراوي

5.بناء الزمن في الرواية المعاصرة، مراد عبد الحميد المبروك

ناهيك عن بعض الكتب النقدية المهمة التي كان للزمن حيز كبير فيها من أهمها (خطاب الحكاية لجيرار جنيت– بناء الرواية، سيزا قاسم –بنية الشكل الروائي ،حسن بحراوي – تحليل الخطاب الروائي ، سعيد يقطين

و قد تم تقسيم البحث إلى عدة محاور وهي:

1.تقديم نظري حول الزمن.

2.المفارقات الزمنية في رواية السهل

3.الإيقاع الزمني في رواية السهل.

تقديم نظري حول الزمن:

حظي مفهوم الزمن باهتمام الدارسين ،وكان تحديده يكتنفه الكثير من الغموض ،ولعل مقولة القديس أوغسطين عن الزمن حين قال "ما هو الزمن؟ عندما لا يطرح علي أحد هذا السؤال، فإني أعرف. وعندما يُطرح فإني آنذاك لا أعرف ذلك"[1] دليلا يستشهد به الدارسون – غالبا – في دراستهم للزمن على عدم وضوح ماهيته ،وصعوبة تحديده ،ولم يكن هذا الغموض عند علماء الأدب فقط ،بل شغلت قضية الزمن العديد من الفلاسفة والمفكرين[2] ،وبتتبع بدايات دخول الزمن في حقل الدراسات الأدبية يتضح أنه "يُؤثر عن الشكلانيين الروس أنهم كانوا من الأوائل الذين أدرجوا مبحث الزمن في نظرية الأدب ومارسوا بعضا من تحديداته على الأعمال السردية المختلفة"[3] ،وكان ذلك في بدايات العشرينات من القرن الماضي عندما وضعوا أسس دراسة الزمن وطرق تحليله؛ وكان تطور دراسة الزمن يسير ببطء ؛بسبب عدم ترجمة أعمال الشكلانيين الروس إلى الإنجليزية والفرنسية حتى بداية الستينات ، فزاد اهتمام النقاد بعنصر الزمن بعد ترجمة تلك الأعمال ،فأصبح مثار اهتمامهم ومجالا خصبا لدراساتهم، فساهم ذلك في تطور الزمن في الدراسات الأدبية[4] ،وأصبحت الدراسات تتداول وتتطور و"ظهرت محاولات جديدة لتحليل الزمن في الرواية من حيث الشكل ومن أهمها دراسة جيرار جنيت حول الزمن في (البحث عن الزمن الضائع)"[5].

والزمن من أهم المظاهر الجمالية المكونة للخطاب الروائي ؛لأنه لا يمكننا تصور أي نص سردي خالي من هذا المكون الأساس في العملية السردية ،فـ"الزمن أكثر الأنواع الأدبية التي يقوم عليها فن القص"[6] ؛لذلك تُعد دراسة الزمن السردي ضرورة ؛ليس بوصفه من المكونات الأساسية للنص فقط ،بل لكونه عنصرا مؤثرا على العناصر الأخرى المكونة للنص السردي ،فهو "الإيقاع النابض للرواية .فالسرد زمن ،والوصف في بعض حالته زمن ،والحوار زمن ،وتشكل الشخصية يتم عبر الزمن"[7] إضافة إلى أن "الزمن يُحدد إلى حد بعيد طبيعة الرواية وبشكلها، بل إن شكل الرواية يرتبط ارتباطا

وثيقا بمعالجة عنصر الزمن"[8]. فلا يمكن تصور أي نص سردي بدون زمن "فمن المتعذر أن نعثر على سرد خالي من الزمن ،وإذا جاز لنا افتراضا في زمن خال من السرد فلا يمكن أن نلغي الزمن من السرد ، فالزمن هو الذي يوجد في السرد وليس السرد الذي يوجد في الزمن"[9].

والسرد الروائي –عموما– نجد في بنائه الزمني العديد من الحركات الزمنية ،التي تكون لها مساهمة فعالة في البناء الزمني للنص، وبحسب رأي (حسن بحراوي) في كتابه بنية الشكل الروائي فإنها تتمثل في حركتين أساسيتين هما:

الحركة الأولى تتعلق في صيرورة السرد، وترتيب الأحداث من الناحية الزمنية، فالأصل أن تسير الأحداث بتسلسل زمني تصاعدي من بداية القصة إلى نهايتها؛ إلا أن هذا التتابع الزمني حالة افتراضية أكثر من أنها واقعية؛ لأن السارد قد يترك النقطة التي في حاضر السرد ويذهب بنا إلى استرجاع أحداث كانت في الماضي ،أو ينقلنا إلى أحداث متوقعة أن تحدث في مستقبل السرد؛ أي أن يقوم باستباق الأحداث قبل حدوثها، وفي كلا الحالتين نكون إزاء مفارقة توقف تنامي الأحداث بشكل تصاعدي[10].

الحركة الثانية فإنها ترتبط بصيرورة الأحداث من حيث السرعة والبطء، ونكون خلالها أمام تقنيتين لتسريع السرد، وتقنيتين لبطء السرد ،أما تقنيتي تسريع السرد أحدها تختزل زمن القصة ،وتقلصه إلى الحد الأدنى بسرد أحداث حدثت في مدة زمنية طويلة خلال أسطر محدودة ،وتسمى هذه التقنية (الخلاصة)، أو إسقاط مرحلة زمنية في الرواية وعدم التطرق للأحداث في هذه الفترة ، وتسمى هذه التقنية بـ(الحذف). وأما تقنيتي بطء السرد تعمل على تعطيل الزمن وسيره بوتيرة بطيئة، فالتقنية الأولى تكون الشخصيات تتحاور مع بعضها البعض ، وتعلق الأحداث لفترة محدودة وتسمى هذه التقنية بـ(المشهد) ،وأما التقنية الثانية فهي الوصف بتوقف تطور الزمن وتأمل السارد لشيء ما فيشرع في وصف إطار مكاني أو شخصية أو الطبيعة معلقاً لفترة زمنية معينة تسلسل الأحداث، وتسمى

هـــــــــــــذه التقنيـــــــــــة بــــــــــــــ(الوقفة الوصـــــــــــــــفية)[11].

التقنيات الزمنية في الخطاب الروائي:

أولا: المفارقات الزمنية:

لا يخضع السرد للتتابع المنطقي للأحداث، فلو افترضنا أن رواية ما تحتوي على مراحل حديثة متتابعة منطقيا على الشكل التالي:

أــــ بـــــ جـــــ د

فـإن سـرد هـذه الأحـداث فـي روايـة مـا يمكـن أن يتخـذ مـثلاً الشـكل التـالي:

جـــ د ـــــ أ ـــــ ب

فالأحداث لم تكن مرتبة ترتيبا تصاعديا، فكما لاحظنا في الرسم أعلاه أن الأحداث قد تبدأ من النقطة (ج) ثم تعود إلى النقطة (أ) ، وهذا ما نسميه بالمفارقة الزمنية[12] ، ويمكن تعريفها بأنها "مقارنة نظام ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردي بنظام تتابع هذه الأحداث أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة "[13]، ولدراسة المفارقة الزمنية نحتاج إلى معرفة بعض الأمور، وهي ترتيب زمن القصة، أي معرفة نقطة البداية والنهاية، لأنه "يمكن للمفارقة الزمنية أن تذهب في الماضي، أو المستقبل، بعيداً كثيراً أو قليلاً عن اللحظة الحاضرة"[14] فمعرفة اتجاه المفارقة يكون المتلقي بين تقنيتي الاسترجاع أو الاستباق، فهو من خلال الاسترجاع يستحضر أحداثا ماضية بعيدة أو قريبة عن حاضر السرد، ومن خلال الاستباق يقوم السارد بعرض أحداث في المستقبل لم يصل إليها السرد بعد.

تقنيتا المفارقة الزمنية:

1. الاسترجاع:

يُعد الاسترجاع أحد تقنيات المفارقات الزمنية ،فهو مكون جمالي لعالم الرواية الخيالي ،وأداة يستخدمها السارد حين يترك حاضر السرد ،ويعود إلى أحداث جرت في الماضي؛ أي أن السارد يترك "مستوى القص الأول ليعود إلى بعض الأحداث الماضية ، ويرويها في لحظة لاحقة لحدوثها"[15] ويُعرف جيرار جنيت الاسترجاع بأنه "كل ذكر لاحق لحدث سابق للنقطة التي نحن فيها من القصة"[16]، وتكمن أهمية الاسترجاع كما يرى حسن بحراوي بأنه يوظف بنائيا لتلبية بواعث فنية وجمالية في النص الروائي ،وملء الفجوات التي يُخلفها السرد وراءه وذلك بإعطائنا معلومات سابقة عند تقديم السارد لشخصية جديدة ، أو اطلاعنا على حاضر شخصية ظهرت في مسرح الأحداث بعد اختفائها لفترة[17].

أنواع الاسترجاع

أ.الاسترجاعات الخارجية:

هو الخروج عن خط زمن القصة، لتسير وفق خط زمني خاص بها لا علاقة له بسير الأحداث، أي استرجاع "الوقائع الماضية التي حدثت قبل بدء الحاضر السردي حيث يستدعيها الراوي أثناء السرد ،وتعد زمنيا خارج الحقل الزمني للأحداث السردية الحاضرة في الرواية"[18].والاسترجاع الخارجي يشغل مساحات شاسعة في النص السردي إذا ضاقت السعة الزمنية لزمن القصة فـ" كلما ضاق الزمن الروائي شغل الاسترجاع الخارجي حيزا أكبر "[19].

ب.الاسترجاعات الداخلية:

يختص هذا النوع من الاسترجاع برواية أحداث لاحقة لزمن بدء الرواية "وبه يعالج الكاتب الأحداث المتزامنة، حيث يستلزم تتابع النص أن يترك الشخصية

الأولى ويعود إلى الوراء ليصاحب الشخصية الثانية"[20] ويكون "حقلها الزمني متضمن للحقل الزمني للحكاية الأولى"[21].وتنقسم الاسترجاعات الداخلية إلى قسمين:

القسم الأول:.الاسترجاعات التكميلية:

وهي "تضم المقاطع الاستعادية التي تأتي لتسد بعد فوات الأوان فجوة سابقة في الحكاية"[22] ؛أي أن بعض الأحداث غير مذكورة في حاضرها، فجاءت هذه الاسترجاعات لملء الثغرات في موضع المفارقة.

القسم الثاني: الاسترجاعات التكرارية:

ترد للتذكير بأحداث ماضية سبق ذكرها أي أن "الحكاية تعود في هذا النمط على أعقابها جهارا، وأحيانا صراحة"[23].

2.الاستباق:

الاستباق تقنية زمنية وظيفتها تنبؤ وتوقع لمستقبل الحكي، ولكن ليس بالضرورة حدوث كل ما تنبأ به السارد في مقبل الحكي، ويُعرف الاستباق بأنه "القفز على فترة ما من زمن القصة وتجاوز النقطة التي وصلها الخطاب لاستشراف مستقبل الأحداث والتطلع إلى ما سيحصل من مستجدات في الرواية"[24]، وهو يُعتبر أقل حضورا في السرد من تقنية الاسترجاع ؛لأن اطلاع القارئ على كمية كبيرة من الأحداث قبل حدوثها يُقلل من عنصر التشويق والمفاجأة، كما أن الغرض منه استباق الحدث الرئيسي بأحداث ثانوية تُهيأ له ، فكان لزاما حضوره بشكل أقل من تقنية الاسترجاع.، ولأهمية الاستباق في تشكيل البنية السردية في النص الروائي سنلخص بعضا من وظائفه:

1. تهيئـة القـارئ لمـا سـيحدث مـن أحـداث رئيسـية هامـة فـي مقبـل الحكـي[25].

2.تسليط الضوء عن حدث ما ، للفت انتباه القارئ ؛مما يولد رغبة في سرعة معرفة مصـــــير الحــــــدث [26].

3. الـــتكهن أو توقـــع مصـــير الشخصـــيات فـــي الأحـــداث القادمـــة [27].

أنـــــواع الاســــــتباق:

أ.الاســتباق كتمهيـد:

هـو التطلـع للإمـام واستشـراف المجهـول ، بتخمـين بعـض الأحـداث المستقبلية بطريقـة إشـارات أو إيحـاءات أوليـة "تقوم بهـا شخصـية لمستقبلها الخـاص فتكـون المناسـبة سـانحة لإطـلاق العنـان للخيـال ومعانقـة المجهـول واستشـراف آفاقه"[28]. والدور الأساسي لهذا النوع من الاستباق هو "التحريف الزمني الذي يعمُد إليـه الكاتـب لتحقيـق مشـاركة القـارئ وحفـزه علـى المسـاهمة فـي بنـاء السـرد وإنتـاج المتعـة الروائيـة"[29] ، والأحـداث التـي تـم التمهيـد لهـا لـيس بالضـرورة حـدوثها؛ لأن الكاتـب "يبقـى حـرا إلـى حـد مـا فـي الوفـاء ، أو عـدم الوفـاء ،لمـا هيـئ لـه"[30].

ب. الاســـــــــــــــــــتباق كـــــــــــــــــــإعلان:

هـذا النـوع مـن الاسـتباق يختلـف عـن نـوع التمهيـد ،فالسـارد هنـا يُخبـر عـن الأحداث صـراحة من غير إشـارات أو إيحـاءات[31] ،لأنـه "إذا أخبر عن ذلك بطريقة ضــــــمنية يتحـــــول تـــــوا إلـــــى استشـــــراف تمهيـــــدي"[32].

ثانيا: الإيقاع الزمني:

يتم التركيز على الإيقاع الزمني للسرد من حيث السرعة والبطء وذلك في إطار مظهرين هما تسريع السرد متمثلاً في تقنيتي الخلاصة والحذف، حيث تغطية فترة زمنية طويلة في مقطع سردي قصير، والمظهر الثاني هو إبطاء السرد ويشمل تقنيتي المشهد والوقفة الوصفية، حيث مقطع طويل من السرد يغطي فترة وجيزة من

الزمن، فمن خلال دراسة الإيقاع الزمني سنتعرف على "حقيقة الحركة الداخلية للزمن السردي والوصول إلى تحديد دقيق قدر الإمكان لسرعة النص "[33]وتقنيات الإيقاع الزمني هي:

- تقنيتا تسريع السرد:

1.الخلاصة:

يتم من خلالها سرد فترة طويلة من الزمن يفترض حدوثها في ساعات أو شهور أو سنوات و اختزالها في مساحة نصية محدودة[34] ،ويعرف جنيت هذه التقنية "السرد في بضع فقرات أو بضع صفحات لعدة أيام أو شهور أو سنوات من الوجود، دون تفاصيل أعمال أو أقوال"[35].

2.الحذف

يشترك الحذف مع الخلاصة في تسريع وتيرة السرد ويكمن دور الحذف في تسريع السرد "بإسقاط فترة طويلة أو قصيرة دون التطرق لما جرى فيها من وقائع وأحداث"[36]، وينقسم الحذف بحسب جيرار جنيت إلى:

أ.الحذوف الصريحة: وهي "إعلان الفترة الزمنية وتحديدها بصورة صريحة و واضحة ، ويمكن للقارئ أن يحدد ما حُذف زمنيا من السياق السردي"[37] بمعنى أن السارد يصرح بوجود حذف ما. مثل (مر يوم) ، (بعد أسبوع)، (انقضت ساعة) وغيرها من الصيغ الصريحة التي تؤكد وجود حذف في النص.

ب.الحذوف الضمنية: يكون الحذف هنا بصورة غير صريحة "وإنما يمكن للقارئ أن يستدل عليها من ثغرة في التسلسل الزمني"[38] بمعنى أنه يصعب تحديد الحذف بصورة دقيقة فالقارئ عليه "أن يهتدي إلى معرفة موضعه باقتفاء أثر الثغرات والانقطاعات الحاصلة في التسلسل الزمني"[39] .

- **تقنيتا إبطاء السرد:**

1.المشهد

يُعتبر المشهد الحواري تقنية فعالة لسير السرد بصورة بطيئة، "ويعمل على منح الشخصية مجالا للتعبير عن رؤيتها من خلال لغتها المباشرة ،فتعكس وجهة نظرها من خلال حوارها مع الآخرين"[40] ،كما أننا نشهد في هذه التقنية تطابق بين زمني القصة والخطاب وهذا الأمر ليس على إطلاقه وهذا ما يؤكده جيرار جنيت بقوله " لا يوجد في المشهد الحواري إلا نوع من التساوي العرفي بين زمن الحكاية (الخطاب) وزمن القصة"[41] .

2.الوقفات الوصفية:

الوقفات الوصفية هي شريك تقنية المشهد في إبطاء السرد وتمطيطه، عندما يشرع السارد في وصف إطار مكاني أو شخصية أو الطبيعة ،معلقاً لفترة زمنية معينة تسلسل الأحداث، وبداية لا بد أن نميز "بين نوعين من الوقفات الوصفية :الوقفة التي ترتبط بلحظة معينة من القصة حيث يكون الوصف توقفا أمام شيء أو عرض يتوقف مع موقف تأملي للبطل نفسه ،وبين الوقفة الوصفية الخارجة عن زمن القصة والتي تشبه إلى حد ما محطات استراحة يستعيد فيه السرد أنفاسه"[42]، وتكمن وظيفة الوصف في السرد بكونه وظيفة جمالية تزيينيه ، وأيضا وظيفة تفسيرية توضيحية [43].

تجليات الزمن في رواية السهل

أولا: المفارقات الزمنية في رواية السهل

1.الاسترجاع

الاسترجاع من التقنيات الزمنية التي فرضت حضورها في خطاب رواية السهل بشكل مكثف، فالسارد جعل المقاطع الاسترجاعية محورا للأحداث، و وسيلة للتعريف

بماضي بعض الشخصيات المحورية في الرواية ،بسد الثغرات التي خلفها السرد الحاضر ليسهل للقارئ فهم مسار الأحداث ،وخصوصا في الاسترجاعات الداخلية التكميلية التي كانت الأكثر حضورا من الاسترجاعات الداخلية التكرارية، وبتتبع سير الأحداث في الرواية نجد أن الكاتب بدأ الأحداث من نقطة متأخرة، وهي وجود الشخصية الرئيسة (حسين راضي) في نجع الشيخ (ضو الجازوي) التي لا يعرف القارئ ما حصل لها قبل ذلك ،إلا بعد المقاطع الاسترجاعية التي وضحت قدوم (حسين راضي) للنجع مطاردا من أجهزة المخابرات بمصر ،وحاول الاختباء منها في نجع الشيخ (ضو الجازوي) ،وكيف كانت رحلته قبل وصوله للنجع، ، ومستواه الدراسي الذي اتضح أنه طالب جامعي بالسنة الرابعة بقسم اللغة الإنجليزية، وغيرها من الأحداث التي كان للاسترجاع دور هام في فهم القارئ لسير الأحداث، وعند النظر إلى سير الأحداث في الرواية نلاحظ أنها حوت على نوعين من الاسترجاعات، وهي الاسترجاعات الخارجية ،و الاسترجاعات الداخلية بنوعيها التكراري والتكميلي.

أ.الاسترجاعات الخارجية:

نقطة بداية الحكي في رواية السهل هي تصوير لمشهد وجود الراعي (حسين راضي) في السهل المعشب ليلملم شتات القطيع المتناثر بعصاه بعد رجوعها من المرعى، ويقوده للمراح التي اعتادت الخراف النزول فيه ،ويتجلى ذلك في المقطع الذي يصف به السارد الراعي وهو يلملم القطيع: "**عيناه ترنوان إلى أفاق عريضة تطوي ذلك السهل المعشب ....ويعود بنظراته إلى القطيع المتناثر حوله .يقف يهز عصاه من وسطها ....لتتلاءم أطرافه في رتل متلاحق نحو المراح**"(44).فهذا المقطع هو بداية الأحداث في الرواية التي توضح وجود (حسين راضي) في نجع الشيخ (ضو الجازوي) يعمل راعيا للأغنام ،وبتقدم السرد نجد السارد يترك حاضر السرد ،ويعود بنا إلى أحداث كانت قبل نقطة بداية

الحكي ، ثم يعود إلى حاضر السرد بعد الفراغ من المقطع الاسترجاعي ، ويجدر بنا أن نوضح بأن مدى المقاطع الاسترجاعية ذات درجات متفاوتة من حيث القرب والبعد من نقطة بداية الحكي.

- الاسترجاعات قريبة المدى:

هذا النوع من الاسترجاع يمدنا بمعلومات على بعض من شخصيات الرواية ،وإن كان النصيب الأكبر منها للشخصية الرئيسة (حسين راضي)، مبينا لنا معاناته من الأجهزة الأمنية وهروبه منها ،وسفره من الإسكندرية ليصل إلى نجع الشيخ (ضو الجازوي) على الحدود الليبية، ومعلومات على شخصيات أخرى منها (سالمة) بنت الشيخ (ضو الجازوي) ،و(ريم) ابنة (السنوسي فضل الله) وسنعرض المقاطع الاسترجاعية التي تخص كل شخصية من الشخصيات سالفة الذكر

1.حسين راضي

احتلت هذه الشخصية جل المقاطع الاسترجاعية الخارجية باعتباره الشخصية الرئيسة في الرواية ،فكان السارد حريصا على مد القارئ بمعلومات عن هذه الشخصية ؛ليزيل بعض الضبابية على مواقف حسين في حاضر السرد ، كخوفه من المخابرات، وعدم امتلاكه على اثبات شخصي، وكيف لشخصية تحمل ثقافة واسعة أن تعمل راعيا للأغنام، فكان للمقاطع الاسترجاعية دور مهم في إزالة تلك الضبابية على القارئ .

وسنبين سبب هروب (حسين راضي) من الأجهزة الأمنية من خلال هذا المقطع الاسترجاعي

"**هل هو مجرم مطارد**

- مطارد نعم.. ولكنه ليس مجرما

- مطارد وليس مجرما

- الأستاذ حسين هارب من المخابرات، لجأ إلى هنا نتيجة لموقف سياسي معارض"(45) وهذا الموقف المعارض كان بعد انضمام (حسين راضي)

لجمعية إحياء التراث التي كانت تعارض الوجود الأجنبي على أراضيها ، فانبثق عن الجماعة جناح ثائر لمحاربة العدو الأجنبي بالسلاح ،فكان حسين أحد من حمل السلاح فأصبح ملاحقا من المخابرات "**إنه عضو في جمعية إحياء التراث وإن رئيسها أستاذه ورائده .. كان يملأ حياته بفكره واتجاهاته في بناء الأمة المعاصرة .وإنه استدعي للتحقيق أكثر من مرة وعندما قبض على أستاذه للمرة الأخيرة ، وقضي في دهاليز التحقيق بعد أيام معدودات؛ انبثق عن الجماعة جناح ثائر يحمل السلاح ....فانضم حسين للعمل في هذا الجناح**"[46] ،وكان انضمام حسين لهذه الجمعية بعد التحاقه للدراسة في الجامعة ،وكان مليئا بالحماس والرغبة في بناء الدولة ، وإخراج العدو الأجنبي منها؛ مما جعله أحد رؤوس التخطيط والتدبير مع زملائه في الجامعة ،فكان الثمن اقتحام شقته والقبض عليه "**كنت كأي طالب اندفاعه أكبر من عقلانيته وتلقائيته أكثر من تخطيطه ،ومع ذلك فقد رأوا فيّ رأسا من رؤوس تخطط وتدبر .بعيد منتصف الليل دق الباب بعنف ودخلوا ، جاسوا خلال الشقة فتشوا ونكشوا وقلبوا**"[47] ،وبعد القبض عليه زُجّ به في السجن لمدة أربع سنوات "**قضيت أربع سنوات في السجن وخرجت**"[48] ،وتم القبض عليه في أواخر المرحلة الجامعية فهو مقيد في السنة الرابعة بقسم اللغة الإنجليزية "**ثلاث سنوات في الكلية و أربع في السجن .... ثم عودة إلى الكلية .. وحتى الساعة فهو طالب مقيد بالسنة الرابعة قسم اللغة الإنجليزية**"[49].

رغم خروج (حسين راضي) من السجن والتحاقه بالكلية ،إلا أن أجهزة المخابرات لم تدعه وشأنه، فاضطر إلى ترك الكلية وهو في السنة الرابعة لمحاولته الهروب من المخابرات ،فقرر السفر إلى الحدود المصرية الليبية ، مرورا بالإسكندرية والضبعة ومرسى مطروح والسلوم وصولا إلى الحدود، ولم تكن طريق السفر معبدة بالراحة والأمان فهو ملاحق من المخابرات مما جعل عمته توصيه أن يتنكر بلباس قبيلة أولاد علي ليصعب التعرف عليه ،"**في الإسكندرية أكلت وجبة السمك، وفي**

الضبعة أكلت الكسكسي، ومن مطروح أشتريت(الحرام) ومن السلوم اشتريت العمامة ،وحدقت مليا في هيأة (أولاد علي) وكيف يرتدون ملابسهم"[50] **"بعد وجبة السمك قالت عمتي سالمة تقنع والبس مثلهم وكن واحدا منهم"**[51] ،ليلجأ إلى نجع الشيخ (ضو الجازوي) وهنا نصل إلى نقطة بداية الحكي وهي وجود (حسين راضي) في النجع

2.سالمة بنت الشيخ ضو الجازوي

هذه الشخصية كان لها مقطع استرجاعي قريب من نقطة الحكي ، حين استذكرت مع الشيخ الطنطاوي ما حفظته من القرآن الكريم السنة الماضية ،فالشيخ الطنطاوي اعتاد أن يأت كل عام إلى نجع الشيخ (ضو الجازوي):

"- سالمة

أجابته من وراء حجاب

- نعم ياسيدي

-اقرئي سورة العلق

قرأتها ثم قرأت سورة الانشراح ، شكرها ودعا لها وقال

- هاتان السورتان من محفوظات السنة الماضية"[52]

هذا المقطع الاسترجاعي قريب المدى هو الوحيد الذي يختص بشخصية سالمة.

3. ريم بنت السنوسي فضل الله:

ريم من الشخصيات التي كان حضورها لافتا في خطاب رواية السهل، والعتبة الثانية في الرواية كانت بعنوان (ريم) ، فهي كانت صديقة مقربة من (حسين راضي)،لذلك نجدها محورا لأحداث كثيرة في الرواية، فكان السارد حريصا على اطلاعنا على بعض المحطات الهامة في حياة ريم عبر المقاطع الاسترجاعية منها زواجها وطلاقها ،فقد تزوجت (ريم) ثم سافرت إلى فرنسا ، وبعد سنتين تم طلاقها ،ففي المقطع الاسترجاعي التالي يروي والدها كيفية زواجها **"هي الوحيدة من بناتي**

التي أتمت دراستها ، ثم شاء الله أن نزوجها من رجل توسمنا فيه خيرا سافرت معه إلى فرنسا"[53] ،ولكن هذا الزواج لم يدم طويلا فقد عادت من فرنسا مطلقة بعد عامين من زواجها وهذا ما يؤكد المقطع الاسترجاعي الآتي "**كان الطلاق بالنسبة لريم بمثابة عتقها من كابوس طحن حياتها عامين كاملين**"[54].

الاسترجاعات الخارجية قريبة المدى عرفنا من خلالها العديد من المعلومات التي تخص الشخصيات الثلاثة السابقة، خصوصا شخصية (حسين راضي) الذي اتضح سبب خوفه من الأجهزة الأمنية ،والفترة التي قضاها في السجن ،ولماذا لجأ إلى هذا النجع ، ومستواه التعليمي ،فمن غير تلك المقاطع الاسترجاعية لكانت أفعال هذه الشخصية في الرواية تسودها الضبابية وعدم الوضوح، ولكن سرعان ما انجلت الضبابية بعد اطلاعنا إلى ماضي شخصية حسين.

- **الاسترجاعات بعيدة المدى:**

الاسترجاعات هنا تكون الأحداث بعيدة نسبيا عن نقطة بداية الحكي، فكان هذا النوع أقل حضورا في خطاب رواية السهل مقارنة بالاسترجاعات قريبة المدى ،فجاء في مواضع محدودة جدا، واللافت للنظر أنها لم تتطرق للشخصية الرئيسة (حسين راضي)، بل كان استذكار لمراحل الطفولة لسالمة بنت الشيخ ضو وريم بنت السنوسي فضل الله، إضافة إلى استرجاع الأحداث التي كانت سببا في فصل السنوسي فضل الله من العمل.

عند وجود (حسين) في النجع دار بينه وبين (سالمة) العديد من الحوارات ،وتحدثوا في مواضيع عدة، نذكر منها الحوار الذي كان عند البئر أثناء جلب (سالمة) الماء لأهلها ،فتحدثوا عن الحياة في البادية والحياة في المدينة، وكان حسين يعتقد أن (سالمة) حياتها كلها في البادية ولم تذهب إلى المدينة ، فكان جواب (سالمة) أنها في طفولتها عاشت في السلوم مع عمتها وزارت طبرق "**أخبرته أنها عاشت فترة مع عمتها في السلوم، وأنها زارت طبرق أكثر من مرة في صغرها**"[55]

ومن المقاطع التي كانت في ماضي السرد عندما رأت (ريم) الرجال في النجع يؤدون الصلاة ،فاستذكرت أول مرة تطبق فيها الصلاة عمليا في طفولتها " **وفي المرحلة الابتدائية طبقت الصلاة عمليا في الفصل**"[(56)].

والمقطع الأخير في الاسترجاعات بعيدة المدى يوضح الكيفية التي بسببها فُصل (السنوسي فضل الله) من عمله عندما أمر الجنود بإطلاق النار على المواطنين "**ما ذنبي أنا..إنني أؤدي واجبا..ثم إنني قلت أطلقوا النار عليهم ولم أقل اقتلوهم**"[(57)] فبعد هذه الحادثة فُصل (السنوسي فضل الله) من عمله.

ونلاحظ قلة الاسترجاعات الخارجية بعيدة المدى ، ولعل السبب في ذلك يرجع لأن الشخصية الرئيسة لم يكن لها حضور في هذا النوع من الاسترجاع ؛ لأن الاسترجاعات يكون النصيب الأكبر فيها للشخصية الرئيسة في الرواية، ويكون لباقي الشخصيات نصيب أقل.

ب.الاسترجاعات الداخلية:

الاسترجاع الداخلي يتمثل برواية أحداث بعد نقطة بداية الحكي ،فمن خلاله يتم ملء الفجوات التي تركها السرد أو تم نسيانها مؤقتاً حيث يتم تلافيها بعد مدة من الزمن، وإذا حاولنا استقصاء مقاطع الاسترجاعات الداخلية في رواية السهل نجدها حوالي ثلاثة عشر مقطعا استرجاعيا تقريبا ، وسنعرض جميعها في الجدول التالي مع بيان الصفحة و النوع والمدى :

ت	الاسترجاع	الصفحة	النوع	المدى
1	أدرك أن الكيروسين الذي كان يفتقده النجع عدة أيام قد حضر، وأن سيارة البارحة التي ازعجته للحظات قد جاءت بالخير	23	تكميلي	يوم واحد

ت	الاسترجاع	الصفحة	النوع	المدى
2	جاس خلال المكان ثم عبره إلى بقعة سهر البارحة ...هنا كانت ليلة ليلاء	55	تكميلي	يوم واحد
3	-هي تقول أنها ستبني نجعا سياحيا هنا. -نجعا سياحيا!!..وهنا! -هي قالت ذلك أمس وقالت إنها تحتاج إلى بعض البدو للعمل.	59	تكميلي	يوم واحد
4	-أين الخراف يا بنت.. أراك عدتي بدونها. -تركتها مع حسين..راعي الشيخ ضو	74	تكميلي	ساعات محدودة
5	-جئتك بكل خير إن شاء الله ..أول شي والدتك بخير -الحمد لله -وجماعة الغورية يسلمون عليك. -معقول؟ قابلتهم ..أين؟ -في المقر..	115	تكميلي	غير محدد
6	حسين هناك موضوع حدثتني به والدتك، وناقشته مع زملائك ،ويحتاج منك إلى وقفة جادة..وهو موضوع خطيبتك	116	تكميلي	غير محدد

المدى	النوع	الصفحة	الاسترجاع	ت
دقائق معدودة	تكميلي	131	لم يجد الشيخ الطنطاوي في مرقده يتمتم بتسابيحه أو يتلو القرآن الكريم كالعادة ،وإنما وجد طبق الفطور وكوب الحليب الساخن ،كانت سالمة قد أحضرتهما وقفلت راجعة دون أن يشعر بها.	7
ساعة واحدة	تكميلي	131	تناول الفطور ثم خرج من الخيمة متثاقلا ، كان الراعي الجديد قد سرح بالقطيع منذ ساعة	8
غير محدد	تكميلي	146	–السياح قلة والإنجليز عندهم حالة طوارئ قال حسين وكأنه لا يدري: –لماذا الطوارىء؟ قالت: –ألا تسمع الإذاعات؟.. هجم عليهم فدائيون في معسكرات السويس.	9

المدى	النوع	الصفحة	الاسترجاع	ت
يوم واحد	تكراري	152	في الصباح تواردت أخبار البارحة، قيل إن دورية الشرطة تعاملت بالرصاص مع مهربي المخدرات وقيل إن جنودا من الإنجليز لعبت برؤوسهم الخمر فتطاولوا مع الغجر واشتبكوا معهم.	10
غير محدد	تكراري	164	– هل تعلم أنها ساومتني؟..فتحت أمامي أبواب المال والجنس وألوان الترف.. – هذه هي مفاتحهم لاختيار الشخصيات. – لمحت لي أن أعمل بتهريب المخدرات بتهريب المخدرات ليطيب لي العيش المرفه على شواطئ الاسكندرية..	11
أقل من ساعة	تكراري	173	إن المناوشات كانت بين جنود إنجليز وجماعة الغجر	12
غير محدد	تكميلي	176	–الفدائيون خبطوا الإنجليز ألقوا ما بأيديهم ،بعضهم دنا منهم وبعضهم ظل مكانه واقفا:	13

ت	الاسترجاع	الصفحة	النوع	المدى
	-في السويس.. مرة ثانية؟ -لا..هذه المرة في طبرق.. تحلقوا حوله جميعا: -سمعت الخبر في أكثر من إذاعة..اقتحموا القاعدة قبل الفجر وفجروا مخزنا للذخيرة.			

بعد هذا العرض يتضح أن الاسترجاعات الداخلية التكميلية كانت (10)استرجاعات ، والاسترجاعات التكرارية (3) استرجاعات، و(8) استرجاعات كان المدى فيها محدد وهي (1-2-3-4-7-8-10-12) و (5) استرجاعات المدى فيها غير محدد وهي (5-6-9-11-13).

2.الاستباق:

هو ذكر الحدث قبل حدوثه، فهو تصوير مستقبلي لحدث أساسي يُفترض حدوثه في وقت لاحق ، وهذا ليس على سبيل الإطلاق فقد لا يحدث هذا الاستباق ،وهذه التقنية كانت بشكل محدود في رواية السهل ،ويرجع ذلك لضيق الرقعة الزمنية في الرواية فهي مقدرة بثلاثة أشهر تقريبا، فهذه الرقعة الزمنية لا تحتاج إلى استباقات كثيرة ؛لأن السارد يكون حريصا على اطلاع القارئ على الأحداث في وقتها ،وسنبين في الجدول التالي كل استباق ونوعه والصفحة التي ورد فيها ،وبعد الجدول سنبين الاستباقات التي حدثت ، أو حدث جزء منها:

ت	الاستباق	الصفحة	النوع
1	توقفت عن الكلام لحظة .. ثم قالت: - أستطيع ان أدبر لك عملا في مدينة طبرق.	42	تمهيد

ت	الاستباق	الصفحة	النوع
2	-رائع يمكنك العمل مع ديانا ،فهي تقول إنها ستبني منتجعا سياحيا هنا.	59	تمهيد
3	-اتركيها مع القطيع ، وأنا أكفيك رعيها . -أشكرك.. نحن نحتاج إليها غدا .سنذبح منها خروفا. -نعم غدا الخميس، وسيأتي أخواي وأسرتاهما.	79	إعلان
4	قال الشيخ الطنطاوي: -اغتنم فرصة تجمع الناس واطرح عليهم فكرة إنشاء المدرسة.	152	تمهيد
5	-ربما نرحل الأسبوع القادم، حياة البادية أصبحت صعبة مع الحر وقلة الماء. رفع إليها نظراته: -معك حق أصبح السهل لا يطاق.	159	إعلان
6	-أستاذ حسين ما أريد أن أقوله وما ينبغي أن تسمعه ؛إنه بعد	167	إعلان

ت	الاستباق	الصفحة	النوع
	يوم أو يومين أو ثلاثة على الأكثر ستأتي إليك سيارة يقدم لك سائقها جواز سفرك ويحملك إلينا في وضح النهار ، وهناك نحن في انتظارك.		

الاستباقات الست التي في الجدول تحققت اثنتين منها وهما الاستباق (2-6) ،أما الاستباق (4) حدث جزء منه ؛حيث تم البداية في المشروع و وصل إلى مرحلة ارتفاع الجدران، الاستباق (2) الخاص ببناء النجع السياحي تحقق في الصفحة (122) عند حضور أهل النجع حفل الافتتاح "**هذه اهم ملامح النجع السياحي الذي بدأ البعض يصل ليحضر حفلة الافتتاح، وكان الشيخ ضو ، ورفقته من أول من وصلوا**"(58).

وأما الاستباق (6) الخاص بالسيارة التي ستاتي للنجع حاملة معها جواز حسين راضي تحقق في نهاية الرواية "**اشرأبت أعناقهم من مطارحهم صوب سيارة قادمة ، وإذ دنت منهم نهض بعضهم واقفا ، حياهم سائقها من مقعده وراء عجلة القيادة وسأل عن رجل اسمه حسين جلال الدين راضي، انسل حسين من بينهم ،وتقدم منه، ....ودع الشباب والعبرة تعقد لسانه ....ثم اتجهت السيارة صوب نجع الشيخ و ليأخذ شنطته**"(59).

الاستباق (4) لم يحدث بشكل كامل ،لكن تم البداية بالمشروع و وصل إلى مرحلة ارتفاع الجدران "**بعد بضعة ايام جاءت أكياس الأسمنت من طبرق ومعها صهريج للمياه، وبنّاء تبرع بأجرته لمدة شهر لأحد المقاولين ...... وانشأ البناء يعلو.. حجرا على حجر، خرج من الأرض، برز نتوءا.. ثم ارتفع جدرانا..**"(60).

ثانيا: الإيقاع الزمني في رواية السهل:

من خلال دراسة الإيقاع سنحاول معرفة الحركة السردية من حيث السرعة والبطء، لنصل لتصوير قريب لسرعة السرد في رواية السهل ،وذلك برصد تقنيات الإيقاع الزمني المهيمنة على صفحات الرواية.

– تقنيتا بطء السرد:

1.الخلاصة:

الخلاصة تقنية سردية تعمل على تسريع حركة السرد ،وذلك بالمرور السريع على أزمنة طويلة أو قصيرة يكتفي فيها الراوي بالإشارة الخاطفة إلى أبرز الأحداث في الرواية خلال أسطر محدودة، وبالتمعن في رواية السهل نجد حضور هذه التقنية بشكل محدود جدا، فكانت عبارة عن استذكار أحداث حاصلة في ماضي السرد، منها الحوار الذي دار بين (حسين راضي) و (سالمة) بنت الشيخ ضو الجازوي عن طفولة سالمة لتخبره أنها عاشت في السلوم و زارت طبرق أكثر من مرة "**أخبرته أنها عاشت فترة مع عمتها في السلوم ، وأنها زارت طبرق أكثر من مرة**"(61)

فالعيش في السلوم و زيارة طبرق أكثر من مرة أحداث كانت في أشهر أو سنوات لكن رواية هذه المدة الزمنية تم تلخيصها في سطر واحد.

وعند قدوم (السنوسي فضل الله) للنجع ، قام الشيخ (ضو الجازوي) بالتعريف به لحسين راضي ، وخلال التعريف عرض الشيخ ضو مسيرة (السنوسي فضل الله) من حيث التعليم والعمل "**هاجر أبوه إلى طبرق وهو صغير ؛ فتعلم والتحق بالشرطة.. رفعه تيار بوليس كبير ؛ فتجبر واضطهد..كان الحكم يستعين به في الأيام الحرجة .. مثل أيام الانتخابات والمظاهرات ؛ حتى صار مكروها من عامة**

الناس .. وفي الأخير أحيل على الرف فصار منبوذا"[62]

هذه المسيرة التي عرضها الشيخ ضو تحدث في سنوات طويلة، وتم تلخيص هذه السنوات خلال أسطر فقط.

ومن المقاطع التي كانت على شكل تلخيص أحداث ذات مدة زمنية طويلة في سطور محدودة الحوار الذي دار بين (حسين راضي) و (السنوسي فضل الله) بشأن زواج وطلاق (ريم) "**هي الوحيدة من بناتي التي أتمت دراستها ..ثم شاء الله أن نزوجها من رجل توسمنا فيه خيرا لكنها صدمت فيه، سافرت معه إلى فرنسا ثم عادت مطلقة بعد سنتين**"[63].

والمقطع الأخير تناول تعريف (خليل عثمان) بصاحبة النجع السياحي (ديانا) في الحوار الذي دار بينه وبين (حسين راضي):

"**–تدعي أنها من أصل يوناني:**

– كاذبة ، هي يهودية من يهود الدونمة ، هاجرت أسرتها من (سالونيك) إلى (الأناضول) ومن أسرتها من حقق مركزا مرموقا في حزب (تركيا الفتاة) أما أبوها فقد شغلته الحياة الاقتصادية فهاجر إلى اليونان تاجرا مرابيا ، ثم تزوجت ابنته ديانا من أحد أقاربها وأنشأت معه بمساعدة أبيها فندقا صغيرا وبارا ومطعما في طبرق بعيد انحسار الحرب الكونية الثاني في الشمال الإفريقي ، وظلت هي وزوجها مع الجنود الإنجليز ، حتى أصيب زوجها في حادث سيارة فأصبح مقعدا .. هو الآن معوق"[64].

وبعد هذا العرض نلاحظ أن تقنية الخلاصة تظل موظفة في إطار محدود، وذلك في سياق استرجاع ماضي السرد، لأنها تخالف الرتم السردي الذي تسير عليه

رواية (السهل)، فالإطار الزمني لحاضر السرد يعتبر محدوداً؛ لأن المعالجة الزمنية لأحداث في هذه الفترة الزمنية لا يتطلب وتيرة سريعة في تقديم زمن الخطاب.

2.الحذف:

يشكل الحذف إلى جانب الخلاصة آلية فعالة في تسريع الإيقاع السردي من خلال تجاوز بعض الأحداث من زمن القصة ،وبالنظر إلى النسق الذي يسير به السرد في رواية السهل ،هو نسق السرد البطيء ؛لذلك كان الحذف حاضرا بشكل محدود وسيتم رصد مواضع الحذف في الرواية:

أ.الحذوف الصريحة:

سنحدد الحذوف الصريحة في رواية السهل حسب الجدول التالي:

ت	الحذف	الصفحة	مدى الحذف
1	ساد **الصمت بينهم لحظة** فأشعل السنوسي فضل الله السيجارة الثانية بعد العشاء	46	محدد
2	وقضى في دهاليز التحقيق **بعد أيام معدودات** انبثق عن الجماعة جناح ثائر	68	غير محدد
3	انفلت الجميع بالضحك ..**غرقوا لحظات** ثم تماثلوا للهدوء	74	محدد
4	ولم **تلبث طويلا** حتى تحركت السيارة وتركت وراءها شبحين	75	محدد
5	ثم وجد نفسه **بعد لحظات** يجلس مسندا على ظهره	156	محدد
6	هزت سالمة الوجوم بحركاتها وخفتها	161	غير

ت	الحذف	الصفحة	مدى الحذف
	العفوية **لبعض الوقت** .. ثم عاد الوجوم كما كان		محدد
7	ثم اتجهت السيارة صوب نجع الشيخ ضو ليأخذ حسين شنطته ويودع عوض أبيه وأهله في طبرق **وبعد بضعة أيام** جاءت أكياس الأسمنت	175	غير محدد

ب.الحذوف الضمنية:

الحذوف الضمنية يصعب تحديد الفترة المحذوفة ، مما يجعل المتلقي يجد نوعا من الصعوبة في معرفة مدى الحذف من زمن القصة ،لذا يلجأ المتلقي إلى التكهن بهذه المدة، وهذا النوع من الحذف في رواية السهل يكثر بين وحدات الرواية ،وسنأخذ بعض من الوحدات التي كان بينها حذف من هذا النوع:

1. الفترة المحذوفة بين الوحدة (4،5):

نهاية الوحدة (4) كانت استعداد (حسين) لجمع القطيع والعودة للنجع "**هز عصاه واتجه صوب القطيع يلم أطرافه استعدادا للعودة إلى النجع**"(65) ، أما بداية الوحدة (5) بدأت بوصول (حسين) للنجع "**رائحة الطعام الشهي تعبق ، تتصاعد من قدور راسيات تفور، وخيمة شيخ النجع فتحت كل واجهاتها الأمامية**"(66)

فالفترة بين تجميع حسين للقطيع والسير به للنجع ، والدخول به للمراح كانت محذوفة بالكامل.

2. الفترة المحذوفة بين الوحدة (7،6):

نهاية الوحدة (6) كانت بانتهاء الحوار بين (حسين راضي) و(الشيخ ضو) واستعداد حسين للنوم "**يبدو أن الشيخ أحس بأنه لم يطلعه إلا على جانب من الحقيقة ، وأنه أخفى عليه جوانب أخرى فقال:**

- اهدأ يا بني نفسا، ونم ، والصباح رباح"[67]

أما بداية الوحدة (7) كانت بدخول ريم إلى خيمتها "**وما كانت تدخل الخيمة حتى ارتمت على فراشها تمرغ وجهها على الوسادة**"[68].

هناك فترة محذوفة بين الوحدتين لم يتطرق الراوي إلى أحداثها ، ولا يمكن تحديد مدى المدة المحذوفة لعدم وجود أي قرينة يمكن أن نحدد من خلالها المدة.

3.الفترة المحذوفة بين الوحدة(13،12):

نهاية الوحدة (12) كان استماع ريم للمذياع و تصفح المجلة "**كانت ريم قد وضعت المذياع الصغير عند وسادتها وتركته يهمس بنغم شجي، ثم اتكأت تتصفح مجلة مصورة**"[69].

أما بداية الوحدة (13) ، فكانت بدايتها منذ انفلاق فجر اليوم **التالي** "**انفلق الفجر في سماء ذلك السهل الغافي......**"[70].

الفترة بين المساء إلى الفجر كانت محذوفة ولم يتعرض الرواي إلى أحداثها.

الأمثلة سالفة الذكر ليست على سبيل الحصر، فباقي الوحدات كان بينها فترة محذوفة، وذكرنا هذه الأمثلة فقط لتبيان طريقة الحذف بين الوحدات.

- تقنيتا بطء السرد:

1.المشهد:

المشهد الحواري تقنية يلجأ إليها الكاتب عند رغبته بالتحكم بصيرورة الزمن ببطء ، لذلك سنركز على المشاهد الحوارية الطويلة–التي شغلت صفحة وأكثر– بحصر عدد الصفحات الإجمالي لهذه التقنية في الرواية؛ لنصل إلى تصور دور تقنية المشهد في بطء السرد؛ خصوصا أن رواية السهل رتم السرد فيها يسير ببطء.

المشهد	موضوع المشهد	رقم الصفحات	عدد الصفحات
المشهد1	الحوار بين حسين وسالمة عن الدورية التي كانت عند الشيخ ضوالجازوي	12–14	3
المشهد2	الحوار بين سالمة وحسين عن حياة البادية	19–20	2
المشهد3	التقاء حسين مع السنوسي فضل الله والشيخ ضو يُعرف حسين عن مقتطفات من حياة السنوسي	23–25	3
المشهد4	التعرف بين الشيخ الطنطاوي ،وحسين ،وسرد الشيخ الطنطاوي عن سبب قدومه للنجع	27–31	4
المشهد5	تعرف حسين على ديانا ،وعرضها لحسين بالعمل معها	39–42	3
المشهد6	حوار مطول بين الشيخ الطنطاوي وحسين والسنوسي فضل الله،	46–50	4

المشهد	موضوع المشهد	رقم الصفحات	عدد الصفحات
	بخصوص إطلاق السنوسي فضل الله النار على المتظاهرين		
المشهد7	أطول مشهد حواري في الرواية، بدايته حوار بين الشيخ ضو وحسين، ثم حوار بين ريم وحسين عن حياة البادية، وزيارة طالبات المدرسة للآثار	63-53	10
المشهد8	حوار مطول بين الشيخ الطنطاوي وحسين عن سبب دخوله للسجن، ولماذا هرب من المخابرات بعد خروجه من السجن	68-66	3
المشهد9	حوار بين ريم وامها وأبيها بشأن قدوم ريم من الرعي بدون الخراف	74	1
المشهد10	حوار بين حسين وريم بشأن الشركة القادمة لبناء النجع السياحي، ثم دعوة ريم لحسين للعشاء	82-76	6
المشهد11	حديث مطول بين ريم وحسين عن سعي الشيخ الطنطاوي للتخفيف من معاناة والد ريم ،ثم دعوة حسين للعشاء بمناسبة قدوم أخويها	90-85	5
المشهد12	مراقبة ريم وسالمة لأداء أهل النجع للصلاة ، واستعراض كل واحدة منها ما تحفظ من القرآن	97-96	2
المشهد13	حوار بين سالمة وريم، بعدها يدخل حسين وخليل عثمان معهما في الحوار عن جمال الصحراء	-98 100	3
المشهد14	مصارحة ريم عن سبب هروب حسين	-104	2

المشهد	موضوع المشهد	رقم الصفحات	عدد الصفحات
	من السجن ومطاردته من المخابرات، من قبل خليل عثمان	105	
المشهد15	خروج ريم وأمها للفسحة ولقاءهما مع حسين ، والحديث عن حب حسين للقراءة	107-109	2
المشهد16	لقاء مطول بين حسين وخليل عثمان ، بإبلاغ حسين عن قرب استخراج جواز سفره، ثم الحديث عن خطيبة حسين ، ورغبة أهله بإنهاء خطبته معها	115-118	3
المشهد17	استعداد أهل النجع للذهاب لحفل افتتاح النجع السياحي	119-120	2
المشهد18	حوار أهل النجع لحفل افتتاح النجع السياحي وحوار بين الشخصيات عن السياحة، وفي نهاية الحوار طلب خليل عثمان من حسين جوابه النهائي عن تركه لخطيبته من عدمه	124-128	4
المشهد19	حوار بين حسين وخليل عثمان عن مستقبل الجماعة ،والتفكير في عمليات فدائية ضد الإنجليز	130-131	2
المشهد20	حوار مطول بين الشخصيات في مواضيع عدة، منها العملية الفدائية في السويس ضد الإنجليز، وحالة الوطن العربي وهو مفترق وممزق.	133-142	9
المشهد21	خروج حسين والشيخ الطنطاوي للتمشي، واستعراض حالة السنوسي	153-156	3

المشهد	موضوع المشهد	رقم الصفحات	عدد الصفحات
	فضل الله والتطور فيها لخروجه من حالة الكآبة التي يعاني منها		
المشهد22	لقاء حسين بريم أثناء كتابتها للخواطر، والنقاش حول الآثار وإعلان حسين عن قرب مغادرته للسهل	157-161	5
المشهد23	أبلغ خليل عثمان حسين عن ترقبه لسيارة تحمل له جواز سفره ،ثم كشف حقيقة ديانا التي اتخذت من النجع السياحي وسيلة لترويج المخدرات	162-167	5
عدد الصفحات			**86**

يتضح من خلال الجدول أن نصيب تقنية المشهد في رواية السهل هو (86) صفحة –بحساب المشاهد التي كانت أكثر من صفحة فقط– وذلك من أصل (170) صفحة إذا حذفنا صفحات عناوين مناصات الرواية وكلمة الناشر والإهداء، فيكون لتقنية المشهد وحدها حوالي 50.5% من صفحات الرواية ليتضح دورها البارز في بطء السرد. وبعد دراسة الوقفات الوصفية سنقوم بحساب عدد صفحاتها وجمعها مع عدد صفحات المشاهد الحوارية لنحدد سرعة السرد من حيث البطء والسرعة بشكل أكثر دقة.

2.الوقفات الوصفية:

سنحاول إحصاء الوقفات الوصفية الواردة في الرواية التي كان مداها أكثر من

صفحة حسب الجدول التالي:

ت	موضوع الوقفة	رقم الصفحات	عدد الصفحات
الوقفة1	حسين يقود القطيع للمراح	9	1
الوقفة2	جلوس حسين أمام خيمته وسط غثاء الأغنام وتركيزه على الدورية التي وقفت أمام خيمة الشيخ ضو	11-12	1
الوقفة3	وصف لجلوس حسين بجوار النار وتناوله للعشاء واستعداده للنوم	14-15	2
الوقفة4	خروج حسين بالقطيع صباحا للمرعى ويتخلل هذا المقطع الوصفي بعض من الاسترجاعات تصف أحوال حسين أثناء قدومه للنجع	16-19	4
الوقفة5	استرخاء حسين على الصخرة أثناء فترة الرعي لينتبه لقدوم رجل وامرأة باتجاهه	21-22	2
الوقفة6	وصف لحدث وجبة العشاء التي أقامها الحاج ضو بسبب	25-26	2

ت	موضوع الوقفة	رقم الصفحات	عدد الصفحات
	استقباله للشيخ الطنطاوي في النجع		
الوقفة7	وصف مطول لوجود حسين في خيمته مع الشيخ الطنطاوي ، ليخرج بعدها للجلوس بجوار النار ،بعدها بفترة وجيزة تقف سيارة تنزل منها ديانا اليونانية	36-32	4
الوقفة8	تجوال ديانا في السهل لتلتقط الصور التذكارية مع القطيع	38-37	2
الوقفة9	انشغال حسين بالتفكير عن شخصية ديانا وشكوكه لتبعيتها لأحد المخابرات الأجنبية ليقطع تفكيره قدوم سالمة اتجاهه	43	1
الوقفة10	وصف لوجبة العشاء في خيمة الشيخ ضو الجازوي لاستقباله عائلة السنوسي فضل الله	45-44	2
الوقفة11	استئذان حسين من الشيخ ضو بعد تناوله وجبة العشاء، بعد فترة	52-51	2

ت	موضوع الوقفة	رقم الصفحات	عدد الصفحات
	وجيزة يأتيه الشيخ ضو في خيمته ليطلب منه الخروج معه لتوصيل ضيفه السنوسي فضل الله لخيمته		
الوقفة12	التفكير والتعمق الذي أصاب ريم اتجاه حسين، لتلتحم بعد ذلك مع عائلتها في خيمتهم، لتشعر بالرضى لحالة السعادة التي يشعر بها والدها بعد فترة من الكآبة	73-71	3
الوقفة13	اجتماع عائلة ريم على وجبة العشاء في خيمتهم	84-82	3
الوقفة14	قدوم أبناء السنوسي فضل الله لزيارته في السهل ، وماصاحب ذلك من سعادة عارمة لقدومهم، واقتناص إبراهيم بن السنوسي فضل الله لأحد الخرفان لذبحها	93-91	3
الوقفة15	خروج عائلة ريم بالكامل صباحا للتجوال	-101 102	2

ت	موضوع الوقفة	رقم الصفحات	عدد الصفحات
	في السهل وصولا لمنطقة الآثار		
الوقفة16	تساؤل ريم في نفسها عن سر العلاقة التي توطدت بين حسين وخليل عثمان رغم الفترة البسيطة التي جمعت بينهما	103	1
الوقفة17	وقفة تصف معالم النجع السياحي بداية من البوابة الرئيسية ثم ما يحويه النجع من الداخل من خيام وطاولات وكراسي	121-122	2
الوقفة18	خروج خليل عثمان من السهل إلى المدينة التي يسكنها زميله مفتاح الدرناوي	128-129	2
الوقفة19	استيقاظ حسين وتناوله وجبة الإفطار ليخرج بعدها للتجوال في السهل	131-132	2
الوقفة20	اجتماع حسين مع الشيخ ضو الجازي والشيخ الطنطاوي لتناول وجبة الغداء	156-157	2

ت	موضوع الوقفة	رقم الصفحات	عدد الصفحات
	ليخرج بعدها حسين للتجوال في السهل وتفكيره في الرحيل من السهل		
عدد الصفحات			43

من خلال الجدول يتضح أن نصيب تقنية الوقفة الوصفية في الرواية هو (43) صفحة أي ما يعادل 25.2% من إجمالي عدد صفحات الرواية، ليتضح دورها الفعال في صيرورة السرد بشكل بطيء.

ولحساب سير السرد من حيث السرعة و البطء بصورة أكثر دقة سنقوم بحساب إجمالي صفحات تقنيتي بطء السرد(المشهد- الوقفات الوصفية) لنصل إلى تحديد الرتم التي سارت عليه الرواية:

المشهد (86) صفحة ، الوقفات الوصفية (43) صفحة: 86+43=129 صفحة من أصل 170 صفحة أي بنسبة 75.8% من مساحة الصفحات ، لذلك يتأكد أن الرتم التي سار عليه السرد هو الرتم البطيء، فزمن القصة في رواية السهل هو ثلاثة أشهر تقريبا ، وهذه الفترة البسيطة تم سردها في 170 صفحة بسبب الرتم البطيء في السرد، وحضور تقنيات سرعة السرد(الحذف – الخلاصة) في مواضع محدودة جدا مما جعل تسريع رتم السرد غير حاضر.

الخاتمة

1.يُعتبر عنصر الزمن أكثر العناصر السردية أهمية في فن القص فهو أكثر العناصر التصاقا به.

2.ريادة الشكلانيين الروس لدراسة الزمن في الدراسات الأدبية.

3.التوازن بين الاسترجاعات الخارجية والداخلية في الرواية فلم يكن هناك فرق في الكم بين النوعين.

4. توظيف تقنية الاستباق بشكل محدود في رواية السهل ،ويرجع ذلك لضيق الرقعة الزمنية في الرواية.

5.سيطرة الرتم البطيء في السرد ،حيث احتلت تقنيات بطء السرد حوالي 75.8% من المساحة الإجمالية للرواية.

6.كان لتقنية المشهد دور فعال في صيرورة الزمن بشكل بطيء فكانت حاضرة بنسبة 50.5% من المساحة الإجمالية في الرواية.

7. تقنية الخلاصة كانت موظفة في إطار محدود، وذلك في سياق استرجاع ماضي السرد، لأنها تخالف الرتم السردي البطيء الذي يسير عليه السرد.

8.تقنية الحذف حضرت بشكل بسيط جدا وجل الحذوف كانت موظفة بين وحدات الرواية .

الهوامش:

(1). سعيد يقطين ،تحليل الخطاب الروائي ، ،ص61.

(2) يُنظر مها القصراوي ،الزمن في الرواية العربية، ص12

(3) حسن بحراوي بنية الشكل الروائي ،(الفضاء– الزمن– الشخصيات). ص107

(4) يُنظر سيزا أحمد قاسم ، بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ) ،ص27.

(5) نفسه والصفحة نفسها.

(6) نفسه ، ص26.

(7) مها القصراوي ،الزمن في الرواية العربية ، ص34–35.

(8). سيزا أحمد قاسم ، بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، ص26.

(9) حسن بحراوي ،بنية الشكل الروائي ،(الفضاء– الزمن– الشخصيات)ص117

(10) يُنظر نفسه، ص119.

(11) يُنظر نفسه، ص119–120.

(12) يُنظر حميد الحميداني، بنية النص السردي،ص73.

(13) جيرار جينيت، خطاب الحكاية، ص 47.

(14) نفسه ،ص 59.

(15) سيزا أحمد قاسم ، بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)،ص40.

(16) جيرار جنيت، خطاب الحكاية، ص51.

(17) يُنظر حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي،(الفضاء– الزمن– الشخصيات)، ص120–121.

(18) مها القصراوي ،الزمن في الرواية العربية ،ص189.

(19) سيزا أحمد قاسم ، بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)،ص40.

(20) نفسه ص41.

(21) جيرار جينيت، خطاب الحكاية ،ص61.

(22) نفسه، ص62.

(23) نفسه، ص65.

(24) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي،(الفضاء- الزمن- الشخصيات)،ص132.

(25) يُنظر مها القصراوي ،الزمن في الرواية العربية، ص208.

(26) يُنظر نفسه ،ص209

(27) يُنظر مها القصراوي ،الزمن في الرواية العربية، ص209.

(28) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي،(الفضاء- الزمن- الشخصيات)،ص133.

(29) نفسه، ص136.

(30) نفسه والصفحة نفسها.

(31) يُنظر مها القصراوي ،الزمن في الرواية العربية، ص214.

(32) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي،(الفضاء- الزمن- الشخصيات)، ص137.

(33) نفسه،ص144.

(34) يُنظر حميد لحميداني ،بنية النص السردي،ص76.

(35) جيرار جنيت ، خطاب الحكاية،ص109.

(36) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي،(الفضاء- الزمن- الشخصيات)،ص156.

(37) مها القصراوي ،الزمن في الرواية العربية، ص231.

(38) جيرار جنيت ، خطاب الحكاية، ص119.

(39) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي،(الفضاء– الزمن– الشخصيات)،ص162.

(40) مها القصراوي ،الزمن في الرواية العربية،ص236.

(41) جيرار جنيت، خطاب الحكاية، ص102.

(42) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي،(الفضاء– الزمن– الشخصيات)،ص175

(43) يُنظر حميد لحميداني ،بنية النص السردي،ص79.

(44) أحمد بن نصر، رواية السهل ،ص9.

(45) نفسه ،ص105.

(46) نفسه ،ص68.

(47) نفسه، ص67.

(48) نفسه ،ص68.

(49) نفسه ،ص41.

(50) نفسه، ص17.

(51) نفسه، ص18.

(52) نفسه ، ص26.

(53) نفسه ،ص50.

(54) نفسه ،ص73.

(55) أحمد بن نصر ، رواية السهل، ص20.

(56) نفسه ،ص96.

(57) نفسه ،ص48.

(58) نفسه ،ص122.

(59) نفسه، ص175.

(60) نفسه والصفحة نفسها.

(61) نفسه ،ص20.

(62) نفسه ، ص24.

(63) نفسه ،ص50.

(64) نفسه ،ص164،163.

(65) نفسه ،ص44.

(66) نفسه ، والصفحة نفسها.

(67) نفسه، ص68.

(68) نفسه، ص71.

(69)نفسه،ص101.

(70) نفسه ،والصفحة نفسها.

المصادر والمراجع:

أولا : المصادر:

1.أحمد بن نصر ، رواية، منشورات جامعة مصراته ، دار الكتب الوطنية –بنغازي ،ط1 ،2007.

ثانيا: الكتب العربية:

1.حسن بحراوي ،بنية الشكل الروائي،(الفضاء– الزمن– الشخصيات) المركز الثقافي العربي –الدار البيضاء،1990م ،ط1.

2. حميد الحميداني ،بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، 1991،ط1 .

3. سعيد يقطين ،تحليل الخطاب الروائي ،المركز الثقافي العربي ، ط1 ، 1993 .

4. سيزا أحمد قاسم ، بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، الهيأة المصرية للكتاب، 1984، (دط).

5. مها القصراوي ،الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر– بيروت،1992 (د ط) .

ثالثا: الكتب المترجمة:

جيرار جينت ، خطاب الحكاية ، تر: محمد معتصم وآخرون ، دار المجلس الأعلى للثقافة ، ط 2 1997 م .

أنماط التكرار وجمالياته في ديوان التليسي*

أ. تهاني أمحمد ضياء الدين

عضو هيأة تدريس بجامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية

كلية اللغة العربية

قسم الادبيات

قصيدة "وَقْفٌ عَلَيْهَا الْحُبُّ"

أنمودجا

الملخص

يهدف البحث إلى بيان جماليات ومظاهر التكرار في قصيدة وقف عليها الحب من خلال أنواع التكرار وطرقه، والتعرف على أنواعه المتمثل في تكرار الحرف والكلمة والعبارة، والتركيز على دور هذه الأنواع في بناء الجملة الشعرية وإبراز وظيفتها الإيقاعية، ومدى قدرتها على إيصال دلالاتها ومؤثراتها، لكونها أداة إيقاعية، فتكشف لنا الأثر والبعد الذي تركته في نفس المتلقي، والتعرف على قدرة الشاعر وتمكنه من استثمارها بشكل فني مميز، من هذا فإن التكرار حظي باهتمام واسع قديما وحديثا، بوصفه ظاهرة إيقاعية، وسمة تحمل طاقات تعبيرية من شأنها أن تدعم القصيدة فنيا.

وقد جاءت الدراسة مستهلة بالتعريف على مفهوم التكرار ودلالاته اللغوية والبلاغية، ثم تناولت أنماط التكرار وهي: التكرار الاستهلالي، والتكرار الإيقاعي (تكرار الحرف)، التكرار البديعي (تكرار الكلمة)، والتكرار التركيبي (تكرار الجمل والصيغ التركيبية) ويختتم البحث بخاتمة وضحت فيها نتائج وخلاصة الدراسة.
والله ولي التوفيق

مدخل:

يعد التكرار فناً من فنون البلاغة، فهو يؤدي دوراً دلالياً، وجمالياً في النص الشعري، هذا فضلاً عن أنّه يشكل لبنة أساسية من اللبنات الأسلوبية في لغته، ويعد مظهراً من مظاهر التماسك النصي، حيث يقوم ببناء شبكة من العلاقات داخل المنجز النصي، ما يحقق ترابط النص، وتماسكه، إذ أن العناصر المكررة تحافظ على بنية النص، وتغذي الجانب الدلالي والتداولي فيه، وذلك من خلال تكاثر المفردات، وكثافتها، مما يحقق سبك النص، وتماسكه، وإعادة تأكيد كينونته[1]

ونظراً لأهميته في الشعر العربي، اهتم الشعراء به وبوجوده بين طيات قصائدهم بأنواعه، وهذا ما لمسته في شعر التليسي وفي قصيدته تحديداً (وقف عليها الحب) والهدف من وراء هذه الدراسة هو استجلاء جماليات التكرار وأنماطه، وبيان ما للتكرار في القصيدة من الأهمية الموسيقية.

- مفهوم التكرار:

أ/ دلالته في المعجم اللغوي: وهو من "ك.ر.ر"، والكر: الرجوع، وإعادة الشيء، مرة بعد مرة، والكرة: البعث، والتجديد، والخلق بعد الفناء، فهو في المعاجم يدور حول معاني الرجوع، والإعادة، والبعث[2]

ب/ دلالته في الاصطلاح البلاغي والنقدي:

أولا: عند البلاغيين العرب: هو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ أو المعنى[3] وهو التكرار، ومنه التكرير، وهو أن يدل اللفظ على المعنى مردودا[4]

ويرى ابن الناظم أن التكرار إعادة اللفظ لتقرير معناه، ويستحسن في مقام نفي الشك، ويعتبر التكرار صورة من صور الإلحاح على جهة مهمة في العبارة، يهتم الشاعر بها أكثر من اهتمامه بسواها ودوره في النص تسليط الضوء على نقطة حساسة في العبارة، يكشف عن اهتمام المتكلم بها[5].

ثانيا: عند النقاد المحدثين: لعل أبرز من أشار إلى هذه الظاهرة هي نازك الملائكة التي نوهت على أهميته في قصيدة التفعيلة، وترى أنه "يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها، وهو بهذا المعنى ذو دلالة نفسية قيّمة تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر ويحلل نفسية كاتبه(6)"، ومن النقاد المحدثين الغربيين يرى لوتمان أن التكرار ملازم للشعر بل هو سمة من سماته الرئيسة، فـ"البنية الشعرية ذات طبيعة تكرارية حين تنتظم في نسق لغوي لتبني معماراً شعرياً مثقلاً بالقيم الروحية والدلالات النفسية المخبوءة تحت الكلمات"، وهناك من يرى أنه ترديد للكلمات المترادفة، أو الإتيان بكلمات مختلفة ذات معنى واحد لفائدة، أو لتحقيق تماثل صوتي ودلالي لإحداث تأثير جمالي، وإن كانت جل التعريفات والمفاهيم لا تفي بحق التكرار وأنواعه وجمالياته؛ فإنه قد اكتسب أهميته في النص الشعري، ولاسيما إذا استثمره شاعر موهوب، ليحقق أكبر قدر من التأثير في نفس المتلقي، ويظل ظاهرة مميزة يستحق الوقوف عليه، وعلى دور بناءه في القصيدة العربية الحديثة.

وإذا كان النقاد المحدثون قد ركزوا على الشعر الحر أو قصيدة التفعيلة، في إظهار تجليات التكرار، وأنماطه، وإثبات فاعليته وجماليته؛ فإنه –وفي هذا البحث– تتم محاولة إثبات أن القصيدة ذات الوزن الخليلي؛ والتي تحافظ على بنية البيت الشعري المتوارث؛ تستطيع استيعاب إي ظاهرة فنية، أو أسلوبية، مهما أعطوها من ملامح الجدة والحداثة، وأن الإيقاع التقليدي لا يعد مانعا، أو معرقلا لخلق لغة شعرية تواكب حداثة الصور الفنية، والظواهر الأسلوبية المتنوعة التي يعد التكرار أحدها، وهو موضوع هذه الدراسة، وسأحاول من هنا أن استجلي رؤية معينة في اللغة الشعرية، التي تمثل قوة الدفع الرئيسة في التكوين والتأثير، محاولة كشف سر أسره للقلوب وشدها إليه، من خلال استثمار مبادئ المنهج الفني في تحليل بنية ونمط التكرار.

- **أنماط التكرار وجمالياته في القصيدة :**

يلعب التكرار دوراً مهمّاً في بعث الموسيقا الداخليّة، وهو موائم للفطرة، كما أنّ له وظيفة مزدوجة الأداء تحمل مع التوثيق للمعنى، ودفع المساهلة في القصد إليه قيمة الصوتيّة والفنّية تزيد القلب له قبولاً، والوجدان به تعلقا[7] ولذا فقد اتُّخذ تكرار البيت أو الأبيات وسيلة لتحقيق الموسيقا، التي هي بلا شك "أقوى وسائل الإيحاء، وأقربُ إلى الدلالات اللغوية النفسيّة في سيولة أنغامها.

إن الشاعر لم يكن محباً للوطن كما أحبه الآخرون أو يحبونه، بل كان عاشقا، مقدسا لترابه، يسبغ عليه من عبارات الحب والتقديس، ما لم يسبغه عاشق، ونظم فيه درر القصائد وفرائده، ووصفه بأحلى النعوت وأجملها في قصيدة من ثمانية وخمسين بيتا، مفعمة بالحب الصادق للوطن الذي احتضنه، الوطن الذي عاش فيه أيام صباه وشبابه، الوطن الذي أقام فيه وعمل به، وسافر منه وعاد إليه، كل ذلك لم يقابله الشاعر بالنكران أوالجحود، بل اعترف بأن الوطن فوق الجميع، ويطلب من المتلقي أن يشاركه هذا الشعور، فيحب ليبيا كما أحبها، ولذلك فإنه تغنى بهذا الحب بصيغة الجمع، وكأنه يتكلم بلسان حال الجميع.

التكرار الاستهلالي:

إن للتكرار في الشعر عامة حضوره، والشعر الليبي علي نحو خاص، ولقد جاء في قصيدة التليسي متنوعا ما ينسجم مع إيقاعه الداخلي لبنية القصيدة، وأول مظاهر التكرار وأنماطه هو التكرار الاستهلالي، أو تكرار البداية، وهو تكرار يستهل به الشاعر قصيدته[8] وغالبا يلجأ إليه الشاعر عندما يفقد القدرة على الاستقرار أو الإبانة عن مشاعره [9]، هذا التكرار نجده في أول كل بيت من مجموعة أبيات متتالية، وربما أراد الشاعر التأكيد والتنبيه، وإثارة التوقع لدى السامع للموقف الجديد، لمشاركته أحاسيسه ونبضه الشعري، يقول:

وَقْفٌ عَلَيْهَا الحُبُّ شَدَّتْ قَيْدَنَا   أَم أَطْلَقَت لِلكَوْنِ فِيْنَا مَشَاعِرَا

وَقْفٌ عَلَيْهَا الحُبُّ سَاقَطَ نَخْلُهَا   رُطَبَا جَنِّيا أم حَشِيفَا ضَامِرا

وَقْفٌ عَلَيْهَا الحُبُّ أمطرَ غيمُهَا   أم شح ؟ أو نسيت محبا ذاكرا

وَقْفٌ عَلَيْهَا الحُبُّ كُرْمَى عَيْنِهَا   تَحْلُوا مُنَزَلَةُ الخُطُوبِ حواسرا

"وَقْفٌ عَلَيْهَا الْحُبُّ"تَنْظِمُ عِقْدَنَا   رَكْبَا تَوَحَّدَ خَطوه وخواطرا(10)

عبارة "وَقْفٌ عَلَيْهَا الْحُبُّ" تكررت خمس مرات في صدر الأبيات الخمسة الأولى، هذا فضلا عن ذكرها في العنوان، مما يثير انتباه المتلقي، ويؤكد بهذا التكرار قصر عاطفة الحب على الوطن، فلا يشاركه في هذا الحب شيء أخر، و ربما أصبحا عامل ربط بين أبيات القصيدة، ولاسيما أنها ترد بشطر شعري منفرد، يزيد من موسيقية القصيدة، وهي جملة أسمية تقدم فيها الخبر عن المبتدأ، ويرى البلاغيون أن هذا التقديم إما لضرورة نحوية، أو لأهمية وجذب الانتباه إلى الخبر، أكثر من المبتدأ، وحيث إنه ليست هناك ضرورة نحوية هنا؛ فإن الشاعر أراد أن يسترعي الانتباه بتقديم الخبر "وقف" ومن ثم فإن الموقوف هو الحب، وهو موقوف عليها أي ليبيا الوطن، فذلك يجعل العبارة أقوى وأكثر جذبا للانتباه، مما لو كانت الحب وقف عليها!، وتعد هذه العبارة النواة المعنوية لبنية القصيدة، فهي الأساس الذي ينبى عليها المعاني والأفكار حيث احتوائها على الضمير المؤنث المجرور"عليها" العائد على ليبيا، التي هي لب مضمون النص، ومن هذا الضمير نبعث الضمائر المؤنثة في السياق الشعري كله فتكررت متصلة، ومستترة، مثل: شدت- أطلقت- نخلها-غيمها.

ويصرح التليسي -بصيغة الجمع- أن الحب وقف على ليبيا في حالتين: الأولى لأنها أسرتنا وقيدتنا، والثانية لأنها أطلقت في مشاعر حب الكون، والذي يرمي إليه الشاعر في قوله شدت- قيدنا؛ هو الكناية على أن ليبيا أسرتنا بكرمها وعطائها غير المحدود، وبذلك يكون المقصود هو أن الحب وقف على ليبيا لكرمها وسخائها؛ ولأنها هي التي جعلتنا

نحب الكون قاطبة، وقد كرر ضمير الجمع في قيدنا- فينا- عقدنا- الأمر الذي أحدث جرسا موسيقيا خفيا كما أن هناك جرس أخر ينبع من التجانس اللفظي بين قيدنا وفينا.

والملاحظ توظيفه القرآني﴿وهُزّي إلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تَسَاقَطُ عَلَيكِ رُطَبًا جَنَيًّا﴾الآية24 من سورة مريم، فمثل هذا الاقتباس؛ يعتبره النقاد سمة جمالية في الشعر، لتقوية المعنى الذي يقصد إليه الشاعر، كما أن المقابلة بين الرطب الجني، والحشيف الضامر زاد في جماليات الصورة، كذلك الطباق الذي وظفه بين لفظة نسيت ولفظة ذاكرا، وأيضا بين أمطر وشح، فمن الملاحظ قوة العلاقة بين التكرار والمحسن البديعي، سواء ما كان منها تابعا للمعنى أم ما كان تابعا للفظ، ولربما أن معظم أنواع البديع له علاقة بالتكرار، وهو الملاحظ في تكرار كلمة أو كلمتين، أو حرف، أو حرفين، في بداية الكلام أو وسطه أو أخره، فهو دعامة للنص[11]

التكرار الإيقاعي: (تكرار الحرف)

لاشك أن هناك علاقة بين أصوات بعض الحروف ومدلولاتها، فكل حسن يعود على اللفظ هو ذاته عائد على معناه، وكل حسن عائد على المعنى هو ذاته عائد على لفظه، إذ الحروف ومضمونها معا هما اللفظ، وقد يؤدي الصوت أو الحرف عند تكراره دورا أبعد من وقع لفظه ليتعداه إلى غاية دلالية تكسب القصيدة معرفة وبعدا إضافيا[12] يقول السكاكي: أن للحروف في أنفسها خواصا بها تختلف، كالجهر، والهمس، والشدة، والرخاوة، والتوسط بينهما وغير ذلك، مستدعية في حق المحيط بها علما أن لا يسوى بينهما[13] فالحرف إذا تكرر في الكلام على أبعاد متقاربة، أكسب تكرار صوته ذلك الكلام إيقاعا مبهجا يدركه الوجدان السليم، حتى عن طريق العين، فضلا على إدراكه السمعي، واستثنى من ذلك د.عز الدين علي السيد الإكثار منه تفاديا الإفساد والتباعد الذي يفقد التكرار قيمته الصوتية[14]، وربما لجوء الشعراء في بناء قصائدهم إلى الحروف غالبا لتشد من تماسك النص وترابطه، وقد تأتي الاستعانة بها في عملية إقامة الوزن.

إن القافية التي تحدَّد بأنّها تمتد من آخر حرف متلَفَّظ به من البيت إلى الحرف المتحرّك الذي يسبق أقرب حرف ساكن[15]وهي الألف الممدودة التي تكررت على طول القصيدة وبين طياتها له دلالة معينة، فحضوره لم يكن عبثاً، ولم يأت مقصوداً بوعي تام من جهة أخرى، بل هو نتاج منطقة اللاوعي عند الشاعر، الناتج من انفعال داخلي استطاع عن طريقه أن ينقل هذا الانفعال إلى قلب السامع، بلغة شاعرية مبتكرة، أضفت على القصيدة برمتها لوناً وموسيقى، لا تعبر عن معنى عقلي فقط؛ بل عن موقف وجداني زاد في وضوحه الالتزام بنسق لغوي معين، يتضمن ترتيب الصوت داخل الكلمة وترتيب الكلمة داخل الشطر[16].

فتكرار حرف القاف في مستهل القصيدة جعلها ذات جرس موسيقي داخلي في: وقف- قيدنا- أطلقت- وفي غيرهما ، مع العلم لما في حرف القاف من قوة زادت من جلجلة الإيقاع الداخلي للتعبير ما في نفس الشاعر من انفعالات داخلية، كما أن حروف الدال والتاء والطاء في شدت- أطلقت- خلقت موسيقى داخلية تشد السامع، وزادت من قوة المعنى، من خلال تكرار حرف الدال المشدد، فضلا عما يضفيه الحرف المشدد عامة على شدة وقوة الأمر، فالصوت المضعف هو في الأصل صوت مكرر بالتضعيف، يعطي قوة في الأداء، ويؤدي جرسا موسيقيا مريحا[17]، والإطباق في حرف الطاء، فتكرار الحرف له مزية سمعية تتعلق بالموسيقى، ومزية فكرية ترجع للمعنى والسياق.

وتكرار حرف الحاء ف الحب- تحلو- حواسرا الذي يعد من الحروف الحلقية المهموسة، أضفى لونا موسقيا ناعما، والموسيقى الداخلية في البيت الخامس التي تشد السامعين؛ ناتجة من تكرار الحروف الخاء- والطاء- والواو مرتين في خطوه وخواطرا، أضافا لونا موسيقيا مع ما فيه من همس ورخوة، هذا النمط من التجانس حرص فيه الشاعر على إبرازهما بما يتصل بالتكرار على المستوى الصوتي، إذ يعاد اللفظ فيه مرة ثانية مع فارق مميز في الدلالة، فأدى هنا دورا مهما في شعرية القصيدة وهي مرحلة متطورة من التحرر من رتابة النغم[18] وهذا التكرار الحرفي الإيقاعي يأتي ضمن تكرار أشمل، وهو ما يسمى التكرار التماثلي؛ للجمل المعطوف عليها بحرف العطف "أم"، فقد

تماثلت أنظمة الجمل كالتالي: شدت قيدنا– أم أطلقت، ساقط نخلها رطبا– أم حشيفا– أمطر غيمها– أم شح، مع قيمة النغمة الموسيقية التي اتسمت بها هذه الحروف، وسمة الجهر خاصتها، فهي كذلك من الحروف الشديدة، التي لها وضوح سمعي، مما يؤكد استثمار الشاعر للعلاقة الصوتية والدلالية بينها، ليمنح النص إيقاعا يتسم بنغمة موسيقية متداخلة، فضلا عما أفاده التكرار من إيقاع موسيقي داخل القصيدة، وأسهم في التعبير عن الفكرة [19]ولأن هدف الشاعر –كذلك– تعداد الحالات المتفاوتة التي يكون عليها الوطن، من خصوبة، واخضرار، وحرية، أو جفاف، فقد تولد التكرار التماثلي، للتنويع واستيفاء أنواع الحالات، ولم تتكرر الجمل على النسق نفسه؛ بل تنوعت بين جمل فعلية، وشبيهة بالفعل، مثل: شدت– أنظم– تنظم– ساقط كرمى– ويتضاعف جمال التكرار التماثلي بوجود المقابلة، في قوله: رطبا جنيا– أو حشيفا ضامرا.

تفدي العيونُ جبينَها ولو أنها   تُبدي لنا دلا وطبعا نافرا

تُشقِي النفوسَ بحُبِّها وعزيزة   تلك التي تُشقِي وتحجبُ ساحرا

رُدي عليه شبابه وغرامه   وأريه في سبلِ الخلود مخاطرا

تجديه قد أوفى على غاياته   وأباح مجدك مهجة ونواظرا

أو فاقنعي منه بما قد قدمت   أيامه الأولى عطاءا زاخرا

يامنزل الصبوات كم لك من يد   عندي سأحفظها وفيا شاكرا[20]

البعد الإيقاعي والجرس الموسيقي بدا واضحا في الأبيات السابقة، نلاحظ انسجاما صوتيا داخلي هذا الانسجام ينبع من التوافق ما بين الكلمات ودلالاتها مرة، وبين الحركات والسكنات مرة أخرى، مما أسهم في رفد البنية الإيقاعية بشكل عام وتأدية وظيفة سمعية يؤثر فيمن يستجيب لها ذوقيا، وحقق –أيضا– بعضا من الأغراض الدلالية، التي حاول الشاعر التعبير عنها وإيصالها للمتلقي[21]

كما إن لصوت حرف النون في البيتين الأولين بتكراره كوّن نسيجا إيقاعيا سلسا، فأوحى نعومة ولطافة ورقة مع القصيدة التي تحكي فداء تلك العيون للوطن الذي شبهه بالفتاة ذات الدلال وعزة النفس، كذلك الجناس بين: تشفي وتشقي. والطباق بين خصبا وجذبا في :

تتقلب الأيامُ في أطوارها   خصبا وجدبا لا تمس جواهرا

ويظل حبك خالدا لا ينثني   للحادثات وإن بَدَونَ غوادرا[22]

من الملاحظ أن التأكيد له دور مؤثر، وقوة تأثير التكرار بالتأكيد على المتلقي بالاستعمال المناسب، فهو يأتي للتكرار كغرض له[23] حيث نجد يؤكد الشاعر أن حب الوطن سيظل خالدا باقيا، لا تزعزعه المصائب التي تحل غدرا، وفي هذا البيت تكرار حرف الدال أربع مرات في: خالدا، للحادثات، بدون، غوادرا، محدثا جرسا موسيقيا، مما زاد طاقة في التعبير.

أنا لا أقول الشعر أبغي رتبة   تعلو بها رتبي وتكسب وافرا

ماذا وراء العمر من أمنية   ترجى وقد رحل الشباب مغادرا

حسبي من التكريم ركن دافئ   من قلبها أصفو إليه سرائرا[24]

الطباق بين لفظتي: فرحي– وحزني نسج موسيقى داخلية سببها المجانسة اللفظية الناتجة عن تكرار حرف الفاء في: فرحة، وفرحي، يقول الشاعر:

لكنها الأوطان ، فرحة قلبها   فرحي،وحزني أن تصيب عواثرا

لكنه الإنسان هم دائم   للعاشقين رسالة ومصائرا

لكنها الأجيال طوق أمانة   في العنق تحلم بالدروب آزاهرا

لكنها الآمال هزت خافقي   هزا، وأضرمت العروق مجامرا[25]

في تكرار حرف الراء بالكلمات: أضرمت، العروق، مجامرا، جرس موسيقي يشد السامع إليه، كما أن التكرار بين لفظتي هزّت وهزّا، به جرس موسيقي ناتج من التكرار ومن قلقلة التضعيف في حرف الزاي، ومن الممكن أن نعتبره تكرارا تأكيديا.

وتكراره كلمة "لكنه" اربع مرات وهو من التكرار اللفظي ما هو إلا تكريس لحالة الشاعر النفسية في محاولة الاستدراك والإقناع، فتكرار الكلمة تعتبر نقطة ارتكاز أساسية لتوالد الصور والمواقف والأحداث وتنامي حركة النص[26] وربما هذا النمط من التكرار الذي يجنح بالكلمة أو التركيب إلى احتلال صدارة الأبيات يعتبر في رأي ج. مولينر عاملا من عوامل الربط النظمي، إذ غالبا ما يصاحب بالتوازي، وهو بقدر ما يساهم في خلق توازن نظمي –عروضي– يعمل بحضوره واسترساله على تعميق الدلالة عن طريق التداعي في التصوير[27]

فنظمت منها مشاعري وخواطري   ورفعتها طوقا تأرج عاطرا[28]

لقد خلق الشاعر جرساً موسيقياً في هذا البيت بتكرار حرف الطاء ثلاث مرات في خواطري– طوقا–عاطرا وجرسا موسيقيا بتكرار حرف الراء خمس مرات في مشاعري– خواطري– رفعتها– تأرج– عاطرا.

كذلك الموسيقى الداخلية ومصدرها تكرار حرف الراء أكثر من عشر مرات في الرافعين– الناشرين– للزارعين– مروجها– فاخرا– للغارسين– راسخ– ركبوا– أواخرا .. إضافة إلى التجانس الإيقاعي الذي أحدثه صيغة الجموع المجرورة على وزن فاعل

وتكرار حرف العين أربع مرات في: سواعد، ترفع، علما، تعمر، وقد اختار المضارع نسبة للفتيان، أما الشيوخ فقد اختار لهم الماضي : ركبوا ووصوا في قوله :

لسواعد الفتيان ترفع في الذرى   علما وتعمر سائبا أو دامرا[29]

التكرار البديعي (تكرار كلمة)

يعدّ تكرار الكلمة في النصّ ذا أثر عظيم في توفير الجانب الموسيقيّ، ولهذا التكرار من القيمة السمعيّة ما هو أكبر ممّا هو لتكرار الحرف الواحد[30]، وفي تكرار الكلمة يتخذ الشاعر أحيانا لفظة معينة بشكل متواتر أو متباعد، قد تحمل في طياتها دلالة معينة لتضع في أيدينا مفتاحا للفكرة المتسلطة على الشاعر[31] ويُقصد هنا بتكرار الكلمة أمران:

الأول: تكرار الكلمات بالمعنى نفسه.

والثاني: بعض الفنون البديعية المعتمدة على التكرار.

فتكرار الكلمات بالمعنى نفسه، وهو ما نجده في مستهل القصيدة لتحقق عنصر الانسجام الموسيقي، وسبق ذكره، فتكررت الألفاظ دون تغيير في المعنى، ولتعطي القصيدة نغمة معينة تزيد في موسيقاها وقوّى جرس المفردات فيها، إضافة إلى ما اشتمل عليه من الأثر الخطابيّ المتمثل في تقوية مشاعر الحب و الفخار بالوطن.

هناك تجانس بين لفظتي قيودها– وبنودها، في قوله:

للهادمين قيودها والرافعين بنودها والناشرين بشائرا[32]

ويأتي ذلك كله في قالب تعبيري يقوم أساسا على التكرار التماثلي في أجزاء البيت المعطوفة على بعضها، للهادمين– والرافعين– والناشرين، وقد امتد هذا التكرار التماثلي في البيت الرابع والعشرين :

للزارعين حقولها ومروجها والناسجين لها رداءً فاخرا

للغارسين علومهم وفنونهم الصادقين بواطن وظواهرا[33]

النغمة الموسيقية الخفية في البيت سببها تكرار الضمير "هم" مرتين في علومهم– فنونهم، كما أن التجانس الإيقاعي بين للغارسين– الصادقين والتكرار في الزارعين– والغارسين زاد من قيمة وجمال البيت، وجعل الزرع في النص للمعنى الحقيقي للزراعة، أما

الغرس للمعنى المجازي، فالشاعر استعمل الغارسين كناية عن المعلمين والأساتذة، لأنهم بتعليمهم يشبهون الذين يقومون بالغرس، حيث يشترك التعليم مع الغرس في الثبات والبقاء وصنع المستقبل.

كما أن الملاحظ توظيفه لعدد من الكلمات على صيغة اسم الفاعل، مثل: العاشقين– الهادمين–الرافعين– الناشرين– الزارعين– الصادقين– الحافظين– الخاطفات– الناشرات لإدراكه الرغبة لدى المتلقي ورفع الهمة..وكما هو معلوم أن اسم الفاعل يقع وسطا بين الفعل والصفة المشبهة، فالفعل يدل على التجدد والحدوث، أما اسم الفاعل فهو أدوم وأثبت من الفعل، ولكنه لا يرقى إلى ثبوت الصفة المشبهة[34]،

ونلاحظ في البيت وجود مقابلة بين: بواطن، وظواهرا، وتكراراً إيقاعياً في صياغة الكلمتين.

للعاشقين لكل دوح راسخ　　　في أرضها ، والحافظين ذخائرا

لشيوخها ركبوا الأمور جليلة　　　وصلوا بهن أوائلا وأواخر[35]

في البيت طباق بين لفظتي: أوائلا، وأواخرا، فهذه الفنون البديعية وغيرها وظفت التكرار ما هي إلا وسائل يستعين بها الشاعر لإظهار مشاعره وعواطفه من أجل التأثير في النفس، فالطباق أكد على الفكرة عن طريق التضاد بين الكلمتين.

ولتلك سنتنا نضيف لما بنوا　　　صرحا ، ونترك للبنين عمائرا[36]

والتنويع بارز في التكرار التماثلي من صيغة جموع الذكور إلى جمع الإناث:

لرجالها في البحر فوق جبينهم　　　يمشي الخضم زوابعا وهواجرا

لهم من الأثباج صحبة ماجد　　　خبر الحياة مواردا ومصادرا

من عمقه أعماقهم وبصفوه　　　صاغوا سرائرهم صفاءا نادرا

للمنجبات ليوثها والعامرات بيوتها ، والمبدعات عناصرا[37]

الشاعر في هذا البيت يشبه أبناء وطنه بالأسود، وفي البيت جرس موسيقى نابع من تكرار حرف التاء أربع مرات، في: للمنجبات، العامرات، بيوتها، المبدعات، كما أن هناك تجانسا لفظيا ذا رنين موسيقي في اللفظين: ليوثها، بيوتها.

للخاطفات قلوبنا والسالبات عقولنا والناشرات غذائرا

عند المعاطن فتنة، ولدى الوغى سند يمد ويستثر قساورا[38]

التكرار التركيبي (تكرار الجمل والصيغ التركيبية) :

أو ما يعرف بالتوازي، وهو تكرار لنظم الجُمل وتركيبها النحوي على كيفيّة واحدة، أي تكرار للطريقة التي تبنى بها الجملة، وشبه الجملة، مع اختلاف الوحدات المعجمية التي تتألّف منها الجمل، حيث تبنى بشكل متواز في الشعر أساسًا[39]

ومن هذا النوع ما نلاحظه في التجانس اللفظي بين: الخاطفات قلوبنا، السالبات عقولنا، وهناك تجانس آخر ناتج من الألفاظ الخاطفات– السالبات– الناشرات– وهو: تكرار حرف التاء ثلاث مرات، والتكرار التماثلي في صيغ جمع المؤنث: للمنجاب– المبدعات– الخاطفات– السالبات– والناشرات.

وفي البيت مقابلة بين المعاطن – والوغى، ومقابلة بين: فتنة– وقساورا

يواصل الشاعر في ذكر المؤهلين لتسلم العقد، فيعدد الصبح وهو ينشر النور، والأصيل، والنخيل، وحجارة الوادي، والصخور الشامخة، التي لا تستطيع السيول الجارفة أن تؤثر فيها، يقول:

للصبح ينشر في المروج طلاقة لليل يطوي في رداه مسامرا

لأصيلها ونخيلها ولواحها عند الغروب وقد جلون سواحرا

لحجارة الوادي وشم صخوره   لا تنثني للسيل يزحف هادرا

تبقى على الأيام طودا شامخا   يحمي مسار به ويدفع غائرا[40]

في البيت تكرار ناتج عن توالد الصور، وتفاعله مع اللوحة فنلاحظ الطباق بين: ينشر ويطوي، الصبح والليل، الأصيل والغروب .. توظيف قوى وقرّب الصورة للمتلقي،

فاستنطق التاريخ عن أيامها   ولرب صامتة تقص نوادرا

عن أمسها ، عن يومها ، عن مقبل   في أفقها آت يرن مزاهرا[41]

في البيت طباق بين: صامتة وتقص، وطباق بين: أمسها، ويومها، وفي البيتين جرس موسيقي ناتج من تكرار حرف الهاء أربع مرات، في: أمسها، يومها، أفقها، مزاهرا، وتكرار حرف الجر: "عن" الذي تكرر مع كل وحدة زمانية: الأمس، والحاضر، والمستقبل، ويختم التليسي قصيدته فيقول:

من أجل عينيها المعارك كلها   ولها نعد من السروج منابرا[42]

وبباسم من ثغرها وبأحور   من طرفها والوجه يسطع نائرا

وبعزة قد أعرقت في أهلها   زادت بها زهوا وذكرا زاهرا

سنظل نمنحها الوفاء ونبتغي   مهرا لها ما ترتضيه أوامرا[43]

قد كرر ضمير المتكلمين المستتر، وذلك من خلال تكرار نون المضارع في: نظل، نمنح، نبتغي، وهذا يدل على الروح الوطنية الجماعية إلي يحملها الشاعر، فالقصيدة كتبها شاعر مفرد ولكن بلسان الجماعة، يقول: سنظل نمنح ليبيا الود والحب والوفاء، وننفذ كل أوامرها كما لو كان ذلك مهرا منا لها، وكأن ما تأمرنا به هو مبتغانا ومردنا.

هذي الديار على رحابة ساحها   هي أسرة صغرى تشد أواصرا

هل أنبتت غير الرجال بطولة   هل شيدت غير الجهاد منائرا

هل عانقت غير الذرى في مجدها   هل صافحت غير الرماح بواترا

هل جلجلت غير الصريخ لغارة   هل عاندت غير الخطوب جوائرا[44]

استخدام الشاعر للجمل الاستفهامية ست مرات: هل أنبتت- هل شيدت- هل عانقت- هل صافحت- هل جلجلت- هل عاندت.. ويتبعها الفعل الماضي الذي يدل على طلب التصديق الموجب[45]، فأسلوب الاستفهام من أهم الأساليب الانشائية حضورا في الشعر، لما يحمله هذا الأسلوب من غموض وتشويق يسعى الشاعر لتضمينه من أجل إخفاء المعنى وتمويه المتلقي من جهة، والحالة النفسية من جهة أخرى، ولآهميتها وحضورها المتكرر في الابيات السابقة فإن النقاد جعلوا لها شروطا وضوابط تحكم توظيف هذه الظاهرة، إذ يساهم الإخلال بها تشويه الصورة وتفكك أنساق النص، وإحالة المعنى إلى الغموض المبهم[46]

الخاتمة

يتضح من خلال هذا البحث أن من أهم سمات القصيدة الخليلية هي الظاهرة العروضية، وهي الوزن والقافية، ولاشك أنهما يقومان على التكرار، وإذا كان الوزن يقوم على تكرار المتحرك والساكن، فإن القافية تتأسس على التكرار الحرفي، ولا يمنع كونها قانونا صارما أن تخلق له موهبة الشاعر دلالة جمالية، فالتكرار ظاهرة واضحة في القصيدة وهو يعد أحد المنابع الأساسيّة للموسيقى الداخليّة، فالشاعر حين يكرر ألفاظا معينة فهو لا يكررها من أجل التكرار في حد ذاته، بل يكررها لأنه وجد بأنها هي الألفاظ المناسبة للسياق العام للبيت الشعري ولن يكون عيبا ولا نقصا من قيمة النص، بل على العكس إذا كانت موظفة بدقة عبارات الشاعر فهي تزيد قوة وتماسكا وتلاحما لهذا النص، وتكون بهذا التلاحم نسيجا أجزاءه مجموعة من الصور المتناسقة التي جعلت هذا النص ينتقل إلى مرحلة الشعرية، بعدما كان كلاما عاديا مكونة دلالة واضحة المعالم[47] .

ويتعدى التكرار الوظيفة الدلالية، حيث أن للشاعر المتمكن القدرة على جعل المتلقي يعايش النص بكل أحاسيسه، فيهيج وجدانه ويجعله يقبل على هذا النص سابحا بأعماقه باحثا عن معانيه ودلالاته العميقة، وبذلك يكون الشاعر قد وصل إلى غايته وهو أنه تجاوز الوظيفة الدلالية للوصول إلى وظيفة نفسية شعورية مرتبطة بإزاء موقف معين لتجربة خاصة للشاعر.

وتناولت أنماط التكرار وجمالياته في النص فكانت متنوعة بين التكرار الاستهلالي والحرفي وتكرار الكلمة وتكرار الجملة ، أو ما يعرف بالتوازي.

فالتكرار الاستهلالي وهو يستهدف في المقام الأول الضغط على حالة لغة واحدة وتوكيدها عدة مرات بصيغ متشابهة ومختلفة من أجل الوصول إلى وضع شعري معين قائم على مستويين رئيسيين: إيقاعي ودلالي[48]

أمّا تكرار الحروف، فقد تنوعت قوتها في القصيدة، فكان منها المهموس ومنها المضعف، وتكرار الحروف الدالة على القوّة والشدّة، وتكرار حرف المدّ الألف. وقد كان لهذه الألوان من التكرار أهمّيّة موسيقيّة كبيرة، فتكرار الحروف يزيد في النغمة الموسيقيّة للمفردات، مما يزيد في ربْط الأداء بالمضمون الشعريّ، وذلك تبعاً لنوع الحروف المكرّرة.

و تكرار الكلمة فكان له الأثر العظيم في توفير إغناء الإيقاع الداخلي، و تقوية نغم النص وترابطه بالنصوص قبله وبعده، وتقوية الجرس، وإكساب الأشعار أنغاماً تزيد في موسيقى الألفاظ.

وهكذا استطاع الشاعر خليفة التليسي –بتوظيفه للتكرار– أن يكوِّن نسقا تعبيريا في بنية النص من حيث تكريره للسمات الشعرية ومعاودتها بشكل تأنس إليه النفس التي تتلهف إلي اقتناص ما وراءه من دلالات [49]

إن التكرار في حقيقته إلحاح على جهة هامة في العبارة، يهتم الشاعر به أكثر من عنايته بأي أمر أخر؛ لأنَّه يسلّط الضوء على نقطة حساسة في العبارة، ويكشف عن مدى اهتمام الشاعر به، فالتكرار في النص ذو دلالة نفسية عالية تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر النفسي لدى الشاعر، إضافةً إلى كونه يضع في أيدينا مفتاحاً يمكن من خلالِه الكشف عن الفكرة المتسلطة على الشاعر، فهو بذلك يعد أحد الأضواء اللاشعورية التي يسلطها الشعر على أعماق

الشاعر فيضيئها ليطّلع القارئُ عليها [50] واستطاع التليسي أن يجعل من الوطن معشوقا أسمى من العشق البشري المشوب بالعلاقات الحسية، واستطاع أن يحبب ليبيا إلى كل الليبيين، حيث لم يترك أحدا إلا أهداه عقدا نظمه من حب الوطن، كما أنه جعل كل الليبيين يلهجون بحبهم لليبيا، وذلك بأن نطق بضمير الجمع في هذه القصيدة كما لو كان ينطق بلسان حال الشعب الليبي كافة، وإن الإيقاع الداخلي الذي وظفه في بنية القصيدة مهما يكن نوعه تستفاد منه زيادة النغم وتقوية الجرس [51]

والله أعلم

الهوامش

- خليفة محمد التليسي: مواليد طرابلس1930، حائز على درجة الدكتوراه الفخرية تقديرا لجهوده العلمية في ميدان التاريخ والترجمة أسس عددا من المطبوعات منها الرواد والمرأة ، من مؤلفاته: الشابي وجبران 1957، رفيق شاعر الوطن 1965،معجم معارك الجهاد في ليبيا 1973، وكراسات أدبية 1975.

معجم الشعراء الليبيين شعراء صدت لهم دواوين ،ج1 ، عبد الله مليطان ، مداد للطباعة والنشر ،ط1 2008،ص 289.

1. أثر التكرار في التماسك النصي، مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات د.خالد المنيف، نوال بنت إبراهيم الحلوة، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد الثامن2012، ص20
2. لسان العرب(ك.ر.ر)، لابن منظور دار صادر ،بيروت لبنان
3. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، لابن الإصبع، تح: حنفي شرف محمد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، بدون تاريخ، ص375
4. المثل السائر، لابن الأثير، تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانة ج:2، دار الرفاعي، الرياض، ط 4، 1404هـ،ص11.
5. قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، ص276
6. المرجع نفسه، ص 276
7. التكرير بين المثير والتأثير، عز الدين علي السيد، عالم الكتب، ط2، 1986،ص88.
8. حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر، حسن الغرفي، إفريقيا الشرق2001، بيروت لبنان، ص90
9. التكرار وأنماطه في شعر عبد العزيز المقالح، صلاح مهدي الزبيدي، مجلة ديالى، كلية التربية للعلوم الإنسانية،2015، ص272.
10. ديوان التليسي، خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، 1989، ص12
11. التكرار ،مظاهره وأسراره (رسالة ماجستير)، عبدالرحمن محمد الشهراني، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، السعودية، 1983.ص43
12. التكرار في شعر عبد الرحيم محمود(رسالة ماجستير)، مهند اشتي، جامعة الخليل، كلية الدراسات العليا، فلسطين،2017، ص 52

13. الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، محمد بن عبد الرحمن بن عمر أبو المعالي جلال الدبن الخطيب القزويني، تح: عماد بسيوني زغلول، دار الأرقم، ط1، 2005، ص153

14. التكرير بين المثير، مرجع سابق، ص54

15. حركية الحداثة في الشعر العربي المعاصر، كمال خير بك، دار الفكر بيروت1986، ط3 ، ص239

16. المرجع نفسه، ص55

17. التكرار الإيقاعي في اللغة العربية، سيد خضر، دار الهدى للكتاب، ط1، 1998، ص11

18. أنساق التماثل في الشعر العربي المعاصر الدلالي والصوتي، إبراهيم عبد الله البعول وحسام محمد أيوب، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان–الأردن، ط1، 2012، ص145.

19. التكرار وأنماطه في شعر عبد العزيز المقالح، مرجع سابق،ص266

20. ديوان التليسي، مرجع سابق، ص19

21. حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص80

22. ديوان التليسي، مرجع سابق، ص20

23. التكرار ،مظاهره وأسراره (رسالة ماجستير)، مرجع سابق، ص12

24. ديوان التليسي، مرجع سابق، ص23

25. المرجع نفسه، ص25

26. حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص84

27. المرجع نفسه، ص 50

28. ديوان التليسي، مرجع سابق، ص26

29. المرجع نفسه، ص26

30. جمالية التكرار في شعر أحمد مطر، معتز قصي ياسين، مجلة الخليج العربي، العدد 46، العدد "1-2"، سنة 2018، ص 209

31. المرجع نفسه ص209.

32. ديوان التليسي، مرجع سابق ص22

33. المرجع نفسه، ص22

34. الدلالة الزمنية للأسماء في اللغة العربية: اسم الفاعل واسم المفعول والمصدر نموذجا، محمد حسن قواقزة، مجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 42، العدد1، سنة 2015، ص14

35. ديوان التليسي، مرجع سابق ص22

36. المرجع السابق، ص22
37. المرجع السابق، ص23
38. المرجع السابق، ص23
39. التكرار التركيبي أو التوازي، انس فجال، مجلة الإيوان اللغوي العدد 16، جامعة طيبة السعودية،2013
40. ديوان التليسي، مرجع سابق، ص23
41. المرجع السابق، ص24
42. المرجع السابق، ص24
43. المرجع السابق، ص24
44. المرجع السابق، ص24
45. التجربة الشعرية عند محمود درويش(أطروحة دكتوراه)، محمد بو حجر، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة الجيلاني، الجزائر،2017 ص84
46. المرجع نفسه، ص 98
47. جمالية التكرار في شعر أحمد مطر، مرجع سابق، ص 210
48. دلالة التكرار في قصيدة "ولدوا على صهواتها" للمتنبي، د.عبد الحميد معيضي، مجلة مقاربات، مجلة دولية أدبية العدد 28،مارس 2017، المجلد الأول، ص 128
49. حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر ، المرجع سابق، ص81
50. المرجع نفسه، ص81
51. التكرار وأنماطه في شعر عبد العزيز المقالح ،المرجع السابق ص272

المصادر والمراجع :

1. أثر التكرار في التماسك النصي، مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات د.خالد المنيف، نوال بنت إبراهيم الحلوة، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد الثامن2012
2. أنساق التماثل في الشعر العربي المعاصر الدلالي والصوتي، إبراهيم عبد الله البعول وحسام محمد أيوب، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان–الأردن، ط1، 2012
3. الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، محمد بن عبد الرحمن بن عمر أبو المعالي جلال الدبن الخطيب القزويني، تح: عماد بسيوني زغلول، دار الأرقم، ط1، 2005
4. التجربة الشعرية عند محمود درويش(أطروحة دكتوراه)، محمد بو حجر، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة الجيلاني، الجزائر،2017

5. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، لابن الإصبع، تح: حنفي شرف محمد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث

6. التكرار الإيقاعي في اللغة العربية، سيد خضر، دار الهدى للكتاب، ط1، 1998

7. التكرار التركيبي أو التوازي، انس فجال، مجلة الإيوان اللغوي، المجلد الأول، العدد 16، جامعة طيبة السعودية،2013

8. التكرار في شعر عبد الرحيم محمود(رسالة ماجستير)، مهند اشتي، جامعة الخليل، كلية الدراسات العليا، فلسطين،2017

9. التكرار وأنماطه في شعر عبد العزيز المقالح، صلاح مهدي الزبيدي، مجلة ديالى، كلية التربية للعلوم الإنسانية،2015

10. التكرار،مظاهره وأسراره (رسالة ماجستير)، عبدالرحمن محمد الشهراني، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، السعودية، 1983.

11. التكرير بين المثير والتأثير، عز الدين علي السيد، عالم الكتب، ط2، 1986

12. جمالية التكرار في شعر أحمد مطر، معتز قصي ياسين، مجلة الخليج العربي، العدد 46، العدد "1-2"، سنة 2018

13. حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر، حسن الغرفي، إفريقيا الشرق2001، بيروت لبنان

14. حركية الحداثة في الشعر العربي المعاصر، كمال خير بك، دار الفكر بيروت1986، ط3

15. دلالة التكرار في قصيدة "ولدوا على صهواتها" للمتنبي، د.عبد الحميد معيضي، مجلة مقاربات، مجلة دولية أدبية العدد 28،مارس 2017.

16. الدلالة الزمنية للأسماء في اللغة العربية: اسم الفاعل واسم المفعول والمصدر نموذجا، محمد حسن قواقزة، مجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 42، العدد1، سنة 2015

17. ديوان التليسي، خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، 1989

18. قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، دار العلم للملايين، بيروت، ط2

19. لسان العرب لابن منظور دار صادر،بيروت لبنان

20. المثل السائر، لابن الأثير، تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانة ج:2، دار الرفاعي، الرياض، ط 4، 1404هـ

خطاب القرآن لمن لا يقرون بالوحدانية ليعتبروا بعاقبة من سبقهم

تحول الخطاب من عام إلى خاص لأمر عام

د.عبدالمنعم سليمان محمد

محاضر بجامعة عمر المختار/ فرع درنة

كلية الآداب والعلوم/ قسم اللغة العربية

د.محمد أحمد محمد السنوسي

محاضر بجامعة عمر المختار

كلية الآداب/ قسم اللغة العربية

الملخص

تعنى هذه الدراسة بتناول خطاب القرآن لمن لا يقرون بالوحدانية ليعتبروا بعاقبة من سبقهم، وذلك بتحول الخطاب من عام إلى خاص لأمر عام ، حيث يدعو النص القرآني في هذه الآيات الملحدين والمشركين والمنافقين؛ إلى التدبر في مصائر الأمم السابقة والأقوام المكذبة الكافرة وما حلّ بها من عذاب الله وسخطه. وتتناول الدراسة هذه النصوص من ناحية بلاغية؛ حيث تسلط الضوء على اللمحات الأسلوبية والفنون البلاغية الواردة في الخطاب القرآني وبيان دلالتها. وقد تبين من خلال البحث أهمية هذه الأساليب وما يتخللها من فنون بلاغية أصيلة جمالية تعد امتدادًا للإعجاز البلاغي واللغوي في القرآن الكريم.

Summary

This study is concerned with addressing the Qur’an’s discourse for those who do not admit oneness to be considered as a consequence of their predecessors, by turning the discourse from public to private to public order, whereby the Quranic text in these verses calls atheists, polytheists and hypocrites to reflect on the fate of the previous nations and the disbelieving fools and the torment God and his wrath. The study deals with these texts from a rhetorical point of view. It highlights stylistic glimpses and rhetorical arts contained in the Qur'anic discourse and their significance. The research demonstrated the importance of these methods and the aesthetic, rhetorical, and aesthetic arts that are considered an extension of the rhetorical and linguistic miracles in the Holy Quran.

المقدمة

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين. ثم أما بعد:

نتطرق في هذه الورقة البحثية إلى أسلوب جميل من أساليب القرآن ، تلك الأساليب الفصيحة المبرهنة عن الإعجاز البلاغي لكتاب الله ؛ ألا وهو (خطاب القرآن لمن لا يقرون بالوحدانيّة ليعتبروا بعاقبة من سبقهم) وسيتم هذا – بمشيئة الله – من خلال القراءة البلاغية التفسيرية.

أسباب اختيار الموضوع:

عدم وجود دراسة بلاغية مستقلة مختصة لموضوع (خطاب القرآن لمن لا يقرون بالوحدانيّة ليعتبروا بعاقبة من سبقهم) فالحديث هنا عن أسلوب وآيات متفرقة من القرآن الكريم تتطرق لقضية واحدة، وليست دراسة سور مستقلة.

الهدف من الدراسة:

الكشف عن بلاغة القرآن الكريم في (خطاب القرآن لمن لا يقرون بالوحدانيّة ليعتبروا بعاقبة من سبقهم).وتحليل التراكيب النحوية والصور البيانية والبديعية؛ وبيان دلالتها وتأثيرها في المعنى القرآني.

منهج الدراسة:

المنهج المتبع في هذه الورقة البحثية هو المنهج التحليلي حيث يقوم الباحث أولًا باستخراج الآيات التي تحتوي على هذا الأسلوب القرآني العظيم ثم قراءتها قراءة متأنية واستخلاص مظاهرها البلاغية ثم الرجوع إلى التفاسير القرآنية التي عُرف عنها اهتمامها بالجانب البلاغي كالتحرير والتنوير، والكشاف، وروح المعاني.

الدراسات السابقة :

من المعلوم أن الدراسات البلاغية في القرآن الكريم كثيرة ولا تحصى، أما بالنسبة لما يتعلق بـ (خطاب القرآن لمن لا يقرون بالوحدانيّة ليعتبروا بعاقبة من سبقهم) فإننا لم نعثر على أية دراسة بلاغية أو لغوية تتطرق لهذا الأسلوب؛ وهو ما شجعنا على دراسته. إلا أنني لا أنكر الاستفادة من دراسات بلاغية قرآنية أخرى لعل أبرزها رسالة الماجستير الموسومة بـ (آيات الهدى في القرآن الكريم، دراسة بلاغية تحليلية)للباحثة فوزية يحيى النجيمي من المملكة العربية السعودية،وهي دراسة ممتازة ذات منهجية واضحة تناولت فيها الباحثة الخصائص البلاغية للمفردات والتراكيب والصور البيانية والبديعية في آيات الهدى.

***

وقد ورد (خطاب القرآن لمن لا يقرون بالوحدانيّة ليعتبروا بعاقبة من سبقهم) في مواضع متعددة من القرآن الكريم منها قوله تعالى في سورة الأنعام: "أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ".[الأنعام: 6].

وهَذِهِ الْجُمْلَةُ بَيَانٌ لِجُمْلَةِ: "فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْباءُ مَا كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ" الواردة في الآية السابقة، وقد جَاءَ بَيَانُهَا بِطَرِيقَةِ الِاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ عَنْ عَدَمِ رُؤْيَةِ الْقُرُونِ الْكَثِيرَةِ الَّذِينَ أَهْلَكَتْهُمْ حَوَادِثُ خَارِقَةٌ لِلْعَادَةِ مُسَلَّطَةٌ عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ –سبحانه وتعالى– عِقَابًا لَهُمْ عَلَى التَّكْذِيبِ.[(1)]

فلم يعطِ الخالق سبحانه أهل مكة نحو ما أعطى عاداً وثمود وغيرهم، من البسطة في الأجسام، والسعة في الأموال والاستظهار بأسباب الدنيا،والسحاب المدرار.[(2)]ويضيف الزمخشري:"فإن قلت: أي فائدة في ذكر إنشاء قرن آخرين بعدهم؟ قلت: الدلالة على أنه لا يتعاظمه أن يهلك قرنا ويخرب بلاده منهم؛ فإنه قادر على أن ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده".[(3)]

ومن الفنون البلاغية الواردة في الآية – فضلا عن الاستفهام الإنكاري– الالتفات والمجاز المرسل؛ أما الالتفات فمعلوم وحقيقته "مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة؛ لأنه ينتقل فيه عن صيغة إلى صيغة، كالانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر. أو من فعل ماض إلى مستقبل، أو من مستقبل إلى ماض..."[(4)]ففي قوله تعالى: ((ما لم نمكن لكم))، السياق يقتضي: (ما لم نمكن لهم) لتخصيص المرسل إليهم الرسول عليه الصلاة والسلام بالمواجهة، فضلا عن تطرية نشاط السامع.[(5)]

أما المجاز المرسل فهو: "اللفظ المستعمل في غير معناه الأصلي، لعلاقة غير المشابهة، مع قرينة مانعة من إرداة المعنى الحقيقي".[(6)]والشاهدهنا قوله تعالى : «وأرسلنا السماء عليهم مدرارا» حيثُ أُطلق لفظ السماء وأُريد المطر الكثير، والعلاقة محلية؛ لأن المطر ينزل من السماء.[(7)]

ومن المواضع التي يرد فيها أسلوب خطاب من لا يقر بوحدانية الله –سبحانه– إلى الاعتبار بمن سبق؛ قوله تعالى في سورة التوبة: " أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ".[التوبة: 70].

أَلَمْ يَأْتِهِمْ خبر الأقوام الذين مِنْ قَبْلِهِمْ وهو هلاكهم بعد نعيمهم بسبب كفرهم؛ قَوْمِ نُوحٍ أنعم الله عليهم بنعم منها تطويل أعمارهم ثم أهلكوا بالطوفان، وَعاد أنعم عليهم بنعم منها مزيد قوتهم ثم أهلكوا بالريح، وَثَمُودَ أنعم عليهم بنعم منها القصور ثم أهلكوا بالرجفة، وَقَوْمِ إِبْراهِيمَ كذلك، أنعم عليهم الخالق بالنعم ثمأهلكوا بالهدم، وَأَصْحابِ مَدْيَنَ قوم شعيب أنعم عليهم بنعم عديدة، ثم أهلكهم بإفاضة النار عليهم، وَالْمُؤْتَفِكاتِ قريات قوم لوط، انقلبت بهم، وأمطروا حجارة من سجيل.[(8)]

وقوله تعالى: (أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ) استئناف لبيان نبئهم، أن جاءتهم رسلهم بالآيات، فَما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ أي بإهلاكه إياهم، لأنه أقام عليهم الحجة والدليل، وما ظلمهم بذلك وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ أي بالتكذيب والكفر، وعدم الشكر على هذه النعم

العظيمة وأذيّتهم للرسل، فاستحقوا العقاب.[9]وهو عقاب عادل في حقهم فلا يُستقبل الأنبياء والرسل بالكفر والتكذيب والأذى إلا من قومٍ ظالمين فاسقين قساة قلوب، ولا تستقبل النعم إلا بالحمد والشكر والثناء على المعطي عز وجل.

أما الضَميران في (أَلَمْ يَأْتِهِمْ) و(مِنْ قَبْلِهِمْ) عَائِدان إِلَى الْمُنَافِقِينَ، وَالِاسْتِفْهَامُ التقريري مُوَجَّهٌ لِلْمُخَاطَبِ، بِحَيْثُ يَكُونُ كَالِاسْتِشْهَادِ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ قد أَتَاهُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ.[10]

كذلك ورد هذا الأسلوب الكريم في سورة إبراهيم حيث يقول الحق تبارك وتعالى: "أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ".[إبراهيم:9].

الِاسْتِفْهَامُ هنا إِنْكَارِيٌّ؛ فقَدْ بَلَغَتْهُمْ أَخْبَارُ الأمم السابقة؛ فَأَمَّا قَوْمُ نُوحٍ فَقَدْ تناقلتْ الأمم خَبَرُهُمْ بِسَبَبِ الطُّوفَانِ، وَأَمَّا عَادٌ وَثَمُودُ فَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ البائدة، وَهُمْ يَمُرُّونَ على مساكنهم وَيُخْبِرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِهَا.وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ أي: أَهْلَ مَدْيَنَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَغَيْرَهُمْ مِنْ الأُمَمِ التي انقرضتْ وَذَهَبَتْ أَخْبَارُها فَلَا يَعْلَمُها إِلَّا هو تبارك وتعالى.[11]وَجُمْلَةُ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ كِنَايَةٌ عَنِ الْكَثْرَةِ الَّتِي يَسْتَلْزِمُهَا انْتِفَاءُ عِلْمِ النَّاسِ بِهِمْ.[12]، وأيضا خصوصية العلم بمن بعدهم ممن لم يذكرهم.

أما قوله تعالى: « فردوا أيديهم في أفواههم » فربما يكون كناية عن الغيظ والضجر. وقيل: المراد برد الأيدي في الأفواه هنا الضحك والاستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه. وقيل أيضًا إن المراد بالأيدي والأفواه غير الجارحتين؛ فقيل المراد بالأيدي النعم ومعناه ردوا ما لو قبلوه لكان نعمة عليهم يقال: لفلان عندي يد أي نعمة والمراد بالأفواه تكذيبهم الرسل والمعنى كذبوا بأفواههم وردوا قولهم.[13]وهناك أقوال أخرى ذهب إليها المفسرون، وربما يكون " أَوْلَاهَا بِالِاسْتِخْلَاصِ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: أَنَّهُمْ وَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ إِخْفَاءً لِشِدَّةِ الضَّحِكِ مِنْ كَلَامِ الرُّسُلِ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَظْهَرَ دَوَاخِلُ أَفْوَاهِهِمْ. وَذَلِكَ تَمْثِيلٌ لِحَالَةِ الِاسْتِهْزَاءِ بِالرُّسُلِ.[14]أماحَرْفُ (فِي) فللظَّرْفِيَّةِ الْمَجَازِيَّةِ؛ فَمَعْنَى (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ)؛ وضعوها عَلَى أَفْوَاهِهِمْ.[15]وهذا دليل على شدة إنكارهم لما سمعوا،

وبيان انذهالم من قول لم يقبلوا به، والدليل إثبات الكفر ثم التوكيد عليه بالشك المريب.ويضيف الإمام ابن عاشور وهو صاحب القراءات البلاغية الجميلة التي تميز بها عن كثير من أهل العلم؛ فيقول:"وَعَطْفُهُ بِفَاءِ التَّعْقِيبِ مُشِيرٌ إِلَى أَنَّهُمْ بَادَرُوا بِرَدِّ أَيْدِيهِمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ بِفَوْرِ تَلَقِّيهِمْ دَعْوَةَ رُسُلِهِمْ، فَيَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ رَدُّ الْأَيْدِي فِي الْأَفْوَاهِ تَمْثِيلًا لِحَالِ الْمُتَعَجِّبِ الْمُسْتَهْزِئِ، فَالْكَلَامُ تَمْثِيلٌ لِلْحَالَةِ الْمُعْتَادَةِ وَلَيْسَ الْمُرَادُ حَقِيقَتُهُ، لِأَنَّ وُقُوعَهُ خَبَرًا عَنِ الْأُمَمِ مَعَ اخْتِلَافِ عَوَائِدِهِمْ وَإِشَارَاتِهِمْ وَاخْتِلَافِ الْأَفْرَادِ فِي حَرَكَاتِهِمْ عِنْدَ التَّعَجُّبِ قَرِينَةٌ عَلَى أَنَّهُ مَا أُرِيدَ بِهِ إِلَّا بَيَانٌ عَرَبِيٌّ ".(16)

ومن الآيات الواردة في هذا المجال؛ قوله تعالى في سورة طه: "أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى".[طه:128].

يوجه سبحانه الخطاب في هذه الآية الكريمة إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فيقول ألم يبين الله لقومك المشركين عاقبة من قبلهم من الأقوام الذين يمرون على مساكنهم الخاوية،هؤلاء الأقوام الذين كذبوا بآيات الله وسخروا من رسلهم؛ كيف كان مآلهم إلى الهلاك والعذاب الذي يستحقونه، وفي هذا عبرة لأولي الألباب والعقول. وفي الآية مجاز مرسل حيث أُطلِقَ لفظ القرون وأُريد الأقوام التي تعيش فيها.

وقد جَعَلَ الِاسْتِفْهَامَ الْإِنْكَارِيَّ التَّعْجِيبِيَّ مُفَرَّعًا على الوعيد المتقدم في الآية السابقة: " وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ".[طه:127]. أي عَلَى الْإِخْبَارِ بِالْجَزَاءِ بِالْمَعِيشَةِ الضَّنْكِ لِمَنْ أَعْرَضَ عَنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ لِأَنَّهُ سَبَبٌ عَلَيْهِ لَا مَحَالَةَ، تَعْجِيبًا مَنْ حَالِ غَفْلَةِ الْمُخَاطَبِينَ الكافرين عَمَّا حَلَّ بِالْأَقْوام الْمُشابهة لَهُمْ فِي الْكفر وتكذيب الرسل والإعراض عن دعوتهم.(17)

وقد ورد هذا الأسلوب الوعظي الكريم في سورة الحج؛ حيث يقول الحق تبارك وتعالى:"فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ (45) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (46) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (47) وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ (48)".[الحج:45-48].

(فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ) وكثير من القرى أهلكناها بسبب ظلمها وكفرها فأصبحت خالية أو خربة متهدمة وآبارها مهجورة لا يرد إليها الورّاد بعد أن كانت تتفجر بالماء، وقصورها مرفوعة البنيان لم يَنج أهلها من العذاب الأليم. فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على أشد ألوان الوعيد والتهديد لكفار قريش الذين كذبوا الرسول عليه الصلاة والسلام وحاربوا دعوته.(18)

أما الاستفهام في قوله: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ) فهو اسْتِفْهَامُ تَعْجِيبِيٌّ مِنْ حَالِهِمْ فِي عَدَمِ أخذ العِبَر من عواقب من قبلهم من الْأقوام المكذبة لرسلها، وَالتَّعْجِيبُ مُتَعَلِّقٌ بِمَنْ ترحّلوا مِنْهُمْ وشاهدوا بعضًا مِنْ أحوال تِلْكَ الْقُرَى الْمُهْلَكَةِ وَبِمَنْ لَمْ يُسَافِرُوا، فَإِنَّ شَأْنَ الْمُسَافِرِينَ أَنْ يُخْبِرُوا الْقَاعِدِينَ بِعَجَائِبِ مَا رأوه فِي رحلاتهم.(19)

وفي قوله تعالى: «وَلكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ» تجد فن بلاغي قليل الورود مقارنة بالفنون البلاغية الأخرى؛ ألا وهو الانفصال، وقد شرح هذا،الشيخ محي الدين درويش بشيء من التفصيل فقال : "فإن لقائل أن يقول أن القلوب لا تكون إلا في الصدور فأية فائدة في ذكر ما هو متعارف وكائن لأنه معلوم والانفصال عن ذلك أن يقال أن المتعارف أن العمى الحقيقي مكانه البصر لأنه إصابة الحدقة بما يطمس نورها واستعماله في القلب مجاز فلما أريد نقله من الحقيقة إلى المجاز كان الكلام بمثابة إثبات ما هو خلاف المتعارف وما هو الأصل فاحتاج إلى زيادة تعيين ليتقرر أن العمى مكانه هو القلوب لا الأبصار كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك فقوله بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانه ونفي المضاء عن السيف وهو المتعارف وهذا من أوابد البيان فافهمه".(20)فالقلوب التي تعمى هي تلك التي لم تبق في مكانها، لكن عنفوان صدّها جعلها تبرز عن مكانها حتى وصلت إلى الصدور من شدة الصّد.

ومن الآيات التي تدعو الضالين إلى الاعتبار بمن سبق من الأمم قوله تعالى في سورة الروم:" أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ".[الروم:9].

نلاحظ أن هذا الأسلوب الوعظي يتشابه مع جزء من الأساليب السابقة التي وردت في البحث ويلتقي معها في عدة نقاط؛ حيث يتضح فيه الاستفهام الإنشائي؛ إلا أن هذا الاستفهام أحيانًا يحمل معنى الإنكار وأحيانًا أخرى التعجب، وقد يحمل معنى التقرير كما هي الحال في هذه الآية الكريمة.ثم يُبين أن الأمم الهالكة كانت أقوى وأشد من هؤلاء المشركين، وأنهم يمرون على مساكنهم الخاوية ويسمعون بقصص هلاكهم، أفلايعتبرون؟

"أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ" أَيْ: بِعُقُولِهِمْ وَنَظَرِهِمْ وَسَمَاعِهِمْ أَخْبَارَ من مضى؛ وَلِهَذَا قَالَ: "فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً" أَيْ: كَانَتِ الْأُقوام السالفة أَقوىمِنْكُمْ وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا، وَمَا أُوتِيتُمْ مِعْشَارَ مَا أُوتُوا، ومُكنوا فِي الدُّنْيَا تَمْكِينًا لَمْ تَبْلُغُوا إِلَيْهِ، وَعُمِّرُوا فِيهَا أَعْمَارًا طِوَالًا فَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِنْكُمْ. وَاسْتَغَلُّوهَا أَكْثَرَ مِنَ اسْتِغْلَالِكُمْ، وَمَعَ هَذَا لَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَفَرِحُوا بِمَا أُوتوا، أَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ، وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ، وَلَا حَالَتْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَأْسِ اللَّهِ ، ولم يكن هذا ظلمًا لهم إنما هم من ظلموا أنفسهم كثيرا".[21]

وللزمخشري قراءة بلاغية رائعة لهذه الآية الكريمة عندما تحدث عن إثارة الأرض وعمارتها فقد رأى أن هناك استهزاءً بمشركي قريش حيث يقول في تفسيره:" ثم أخذ يصف لهم أحوالهم وأنهم كانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثارُوا الْأَرْضَ وحرثوها...وَعَمَرُوها يعنى أولئك المدمّرين أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوها من عمارة أهل مكة. وأهل مكة: أهل واد غير ذي زرع، ما لهم إثارة الأرض أصلا، ولا عمارة لها رأسا فما هو إلا استهزاءً بهم، وبضعف حالهم في دنياهم، لأنّ معظم ما يستظهر به أهل الدنيا ويتباهون به أمر الدهقنة (أي الزراعة)، وهم أيضا ضعاف القوى، فقوله كانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً أي عاد وثمود وأضرابهم من هذا القبيل".[22]

ويعد الإيجاز من الفنون البلاغية الواردة في هذه الآية الكريمة، يقول ابن عاشور: "وَتَفْرِيعُ فَما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ عَلَى قَوْلِهِ وَجاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ إِيجَازُ حَذْفٍ، لِأَنَّ مَجِيءَ الرُّسُلِ بِالْبَيِّنَاتِ يَقْتَضِي تَصْدِيقًا وَتَكْذِيبًا فَلَمَّا فَرَّعَ عَلَيْهِ أَنَّهُمْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ عَلِمَ أَنَّهُمْ كَذَّبُوا الرُّسُلَ وَأَنَّ اللَّهَ جَازَاهُمْ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُ بِأَنْ عَاقَبَهُمْ عِقَابًا لَوْ كَانَ لِغَيْرِ جُرْمٍ لَشَابَهَ الظُّلْمَ، فَجُعِلَ مِنْ مَجْمُوعِ نَفْيِ ظُلْمِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ وَمِنْ إِثْبَاتِ ظُلْمِهِمْ أَنْفُسَهُمْ مَعْرِفَةُ أَنَّهُمْ كَذَّبُوا الرُّسُلَ وَعَانَدُوهُمْ وَحَلَّ بِهِمْ مَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنْ مُشَاهَدَةِ دِيَارِهِمْ وَتَنَاقُلِ أخبارهم".[23]وقد

عبر سبحانه عن ظلمهم أنفسهم بصيغة المضارع (يظلمون) وفي هذا دلالة على تكرر ظلمهم واستمراره وأنه سبحانه أمهلهم، فلم يقلعوا حتى جاءهم العذاب الأليم.

ومن المواضع التي ورد فيها أسلوب خطاب من لا يقر بوحدانية الله إلى الاعتبار بمن سبق؛ قوله تعالى في سورة السجدة: " أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ".[السجدة:26].

ومعنى الآية الكريمة:ألم يَتَبَيَّن لِكُفَّارِ مَكَّة إهْلَاكنا كَثِيرًا من الْأُمَم بِكُفْرِهِمْ، وعدم إقرارهم بوجود الله وهم يمشون في مساكنهم فِي أَسْفَارهمْ إلَى الشَّام وَغَيْرهَا، إن في ذلك دَلَالَات عَلَى قُدْرَة الله أفلا يسمعون سماع تَدَبُّر واتعاظ؟[24]

وفي الآية استفهامان بلاغيان: الأول إنكاري؛ أما الثاني فتقريري يشتمل على توبيخ، وهو ما يؤكد علاقة الاستفهام الإنشائي القوية بهذا الأسلوب الوعظي الكريم التي أشار إليها البحث سابقًا؛ فهذه مقامات حجاجية تستدعي هذا المقال في مخاطبة هؤلاء المشركين وإرسال الرسائل البَيّنة إليهم، تلك الرسائل التي تدل على وحدانية الله وعظمة قدرته، وترشد إلى أسباب الهداية والنجاة من مآلات الأمم الهالكة التي كذبت بآيات الله وحادّتْ رسلَه فاستحقت العذاب الأليم والجزاء العادل.

يقول ابن عاشور في تحليله لهذه الآية " أولم يَهدِ لهم ..." "الِاسْتِفْهَامُ إِنْكَارِيٌّ، أَيْ هُمْ لَمْ يَهْتَدُوا بِدَلَائِلِ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ الَّتِي جَاءَهُمْ بِهَا الْقُرْآنُ فَأَعْرَضُوا عَنْهَا وَلَا اتَّعَظُوا بِمَصَارِعِ الْأُمَمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا أَنْبِيَاءَهُمْ وَفِي مَهْلِكِهِمْ آيَاتٌ تَزْجُرُ أَمْثَالَهُمْ عَنِ السُّلُوكِ فِيمَا سَلَكُوهُ. فَضَمِيرُ لَهُمْ عَائِدٌ إِلَى الْمُجْرِمِينَ أَوْ إِلَى مَنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ".[25]

وَلَمَّا كَانَ الْمأثور مِنْ قصص تِلْكَ الْأُقوام وَتَقَلُّبَاتِ أَحْوَالِهَا وَهلاكها أَشَدَّ دَلَالَةً وَمَوْعِظَةً لِلْمُشْرِكِينَ فُرِّعَ عَلَيْهِ (أَفَلا يَسْمَعُونَ) اسْتِفْهَامًا تَقْرِيرِيًّا مَشُوبًا بِتَوْبِيخٍ لِأَنَّ استعمال الْمُضَارِعِ وَهُوَ (يَسْمَعُونَ) يشير إلى أن اسْتِمَاعَ أَخْبَارِ تِلْكَ الْقرون مُتَكَرِّرٌ، فَيَكُونُ التَّوْبِيخُ عَلَى الْإِقْرَارِ الْمُسْتَفْهَمِ عَنْهُ أَوْقَعَ.[26]

ومن الفنون البلاغية الواردة في هذه الآية الكريمة "أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم"؛ فن المناسبة في المعاني وهي أن يُبتدأ الكلام بمعنى ثم يُتمم بما يناسبه معنى دون

لفظ؛فقد قال سبحانه: أولم يهد لهم، وهي موعظة سمعية لأنهم لم ينظروا إلى الأمم البائدة وإنما سمعوا بها وبأخبارها؛ فناسب أن يأتي بعدها بقوله «أفلا يسمعون» أما بعد الموعظة المرئية – الواردة في الآية التي تليها؛ «أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز» فقد ناسب أن يقول «أفلا يبصرون» لأن الزرع مرئي وليس مسموعًا ليناسب آخر كل كلام أوله.[27]

ومن المواضع التي ورد فيها أسلوب خطاب من لا يقر بوحدانية الله إلى الاعتبار بمن سبق؛ قوله تعالى في سورة فاطر:" اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا[43] أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا [44]".[فاطر: 43-44].

في قوله تعالى «ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله» فن إرسال المثل ، وهو هنا بَيّن لأن المكر لا يقع إلا على أهله، وفي أمثالهم: "من حفر مغواة (أي حفرة) وقع فيها" قال كعب لابن عباس: في التوراة من حفر حفرة لأخيه وقع فيها، فرد عليه ابن عباس قائلًا: إنا وجدنا هذا في القرآن: "ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله".[28]

أما قوله سبحانه " فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ" فيحتوي على فن بياني جميل ومُعبّر؛ فينظرون بمعنى الانتظار أي أنهم يستقبلون ما لحِقَ بالمشركين الذين سبقوهم، فشبَّه لزوم وقوع العقاب بهم بالشيء المعروف الذي ينتظرون حلوله على وجه الاستعارة.[29]

أما قوله"أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا " ففيه استفهام تقريري،أي ألم يسيروا فيما مضى في الأرض التي ضربوا فيها للتجارة إلى الشام واليمن والعراق؛ فيُسبب لهم ذلك السفر تجدد النظر والاعتبار بما حدث سابقًا للأمم المكذبة، فإن العاقل من إذا رأى شيئاً تفكر فيه، وأشار بسوقه في أسلوب الاستفهام إلى أنه لعظمه – سبحانه– خرج عن أمثاله فاستحق السؤال عن حاله، من خلال العلم

بكيف كان آخر أمر الظالمين الذين أخذهم الله بتكذيبهم للرسل؛ فعليهم أن يخافوا جزاء أفعالهم فيكون حالهم كحالهم. ولما كان السياق لاتصافهم بقوتي الظاهر من الاستكبار، والباطن من المكر؛ مكّن قوة الذين خوَّفهم بمثل مصيرهم بوصفهم بأنهم كانوا أشد منهم قوة، في جملة حالية فقال: {وكانوا} أي أهلكناهم لتكذيبهم رسلنا والحال أنهم كانوا {أشد منهم} أي من هؤلاء في قوة الاستكبار والمكر الضار.(30)

ومن المواضع الكريمة التي ورد فيها مثل هذا المعنى؛ قوله تعالى:"وإن لوطا لمن المرسلين(133) إذ نجيناه وأهله أجمعين (134) إلا عجوزا في الغابرين (135) ثم دمرنا الآخرين(136) وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (137) وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (138)"[الصافات:133:138].ففي الآية شيء متصل بأهل الحجاز حيث تذكرهم بأنهم يمرون على مساكن قوم لوط –التي دمرها الله سبحانه– في الصباح وفي الليل، وتندد بهم لأنهم لا يعقلون ولا يعتبرون بما يرون. وهذه المساكن على شواطئ البحر الميت في غور أريحا في فلسطين. وكانت قوافل الحجازيين التجارية تمر بها حينما تأتي من الحجاز إلى مصر أو العكس. وكانوا يرون آثار التدمير التي ما تزال موجودة إلى اليوم. ويعرفون قصة هلاك قوم لوط من طريق اليهود، وبذلك استحكم فيهم الإفحام والتنديد.(31)

فالكلام موجه للقريشيين لعلهم يتعظون بسماعهم لهذه القصص المؤثرة،ورؤية آثار الهالكين، فهم يمرّون عَلَى مَنَازِلِهِمْ فِي الصَّبَاحِ تَارَةً وَفِي اللَّيْلِ تَارَةً بِحَسَبِ تَقْدِيرِ السَّيْرِ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَآخِرِهِ، لِأَنَّ رِحْلَةَ قُرَيْشٍ إِلَى بلاد الشَّامِ تَكُونُ فِي الصَّيْفِ وَيَكُونُ السَّيْرُ بُكْرَةً وَعَشِيًّا، وَالْخَبَرُ الَّذِي فِي قَوْلِهِ: وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُسْتَعْمَلٌ فِي الْإِيقَاظِ وَالِاعْتِبَارِ لَا فِي حَقِيقَةِ الْإِخْبَارِ، وَفَرَّعَ عَلَى ذَلِكَ بِالْفَاءِ اسْتِفْهَامٌ إِنْكَارِيٌّ مِنْ عَدَمِ انتباههم لِدَلَالَةِ تِلْكَ الْآثَارِ عَلَى مَا حَلَّ بِهِمْ مَنْ عقاب العزيز الحكيم، وَعَلَى سَبَبِ ذَلِكَ وَهُوَ عدم اتّباعهم لرسول الله لوط عليه السلام.(32)

وقد ورد الحديث عن القرى الهالكة أيضًا في سورة محمد عندما قال الحق تبارك وتعالى: "وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ " [محمد:13].

لَمَّا ضَرَبَ لَهُمْ سبحانه مَثَلًا بِقَوْلِهِ: " أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا".[محمد: 10].وَلَمْ يَنْفَعْهُمْ مَعَ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الدَّلَائِلِ، ضَرَبَ لِلرسول الكريم– صلى الله عليه وسلم – مَثَلًا تَسْلِيَةً لَهُ فَقَالَ: وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً من مكة الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْها العزيز فكَذَلِكَ يفْعَلُ بِهِمْ، فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ رُسُلُهُمْ من قبلك.[33]

والمراد بالقرية سكانها أو أهلها،"وَإِنَّمَا أُجْرِيَ الْإِخْبَارُ عَلَى الْقَرْيَةِ وَضَمِيرِهَا لِإِفَادَةِ الْإِحَاطَةِ بِجَمِيعِ أَهْلِهَا وَجَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ وَلِيَكُونَ لِإِسْنَادُ إِخْرَاجِ الرَّسُولِ– صلى الله عليه وسلم – إِلَى الْقَرْيَةِ كُلِّهَا وَقَعَ مِنَ التَّبِعَةِ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِهَا سَوَاءٌ مِنْهُمْ مَنْ تَوَلَّى أَسْبَابَ الْخُرُوجِ، وَمَنْ كَانَ يَنْظُرُ وَلَا يَنْهَى".[34]

وفي قوله (أخرجتك) مجاز لأن أهل مكة لم يخرجوا النبي صلى الله عليه وسلم بل كانوا أحرص الناس على عدم خروجه لئلا يحتمي بقبائل العرب وتنصره على قريش وهذا ما حدث بالفعل، يقول صاحب التحرير والتنوير: "وَإِطْلَاقُ الْإِخْرَاجِ عَلَى مَا عَامَلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ النبيء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْجَفَاءِ وَالْأَذَى وَمُقَاوَمَةِ نَشْرِ الدِّينِ إِطْلَاقٌ مِنْ قَبِيلِ الِاسْتِعَارَةِ لِأَنَّ سُوءَ مُعَامَلَتِهِمْ إِيَّاهُ كَانَ سَبَبًا فِي خُرُوجِهِ مِنْ مَكَّةَ وَهِيَ قَرْيَتُهُ، فَشَبَّهَ سَبَبَ الْخُرُوجِ بِالْإِخْرَاجِ ثُمَّ أَطْلَقَ عَلَيْهِ فِعْلَ أَخْرَجَتْكَ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِإِخْرَاجٍ وَإِنَّمَا هُوَ خُرُوجٌ".[35]

وتُعد سورة الذاريات من السور الكريمة التي ورد فيها هذا الأسلوب العظيم حيث يقول سبحانه وتعالى:" فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ".[الذاريات:59]. وقوله تعالى: "فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا" أَيْ: نَصِيبًا مِنَ الْعَذَابِ، وقوله: "مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلا يَسْتَعْجِلُونِ" أَيْ: فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ذَلِكَ العذاب، فَإِنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ لَا مَحَالَةَ.[36]فإن للذين ظلُموا أنفسَهم بتكذيبِ الرسول الكريم– صلى الله عليه وسلم – ؛ نصيباً وافراً منَ العَذَابِ، "مّثْلَ ذَنُوبِ أصحابهم" أي مثلَ أنصباءِ نُظَرائِهم منَ الأممِ السابقة وهُو مأخوذٌ من مقاسمةِ السُّقاةِ الماء بالذنوب وهو الدلو العظيم المملوءُ فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب؛ أي أن في الكلام استعارة تمثيلية تصريحية.[37]

ويعرف البلاغيون الاستعارة التمثيلية بأنها "تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي".[38] وعندما تُوصف الاستعارة بأنها تصريحية فمعنى ذلك أن المشبه به مذكور، والمشبه محذوف.[39]

وآخر النصوص التي يتناولها البحث في هذا الصدد قوله تعالى في سورة التغابن " أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (5) ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (6)"[التغابن:5-6].

"أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الذين كَفَرُواْ مِن قَبْلُ" أي ألم تأتكم يا أهل مكة أخبار الأمم الماضية كعاد وثمود، والعقاب الذي حل بهم. "فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ" أي فذاقوا العذاب الوخيم على كفرهم في الدنيا. "وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"أي ولهم في الآخرة عذاب قاسٍ موجع.[40]

ونستطيع أن نرصد في هذا النص الكريم عدة لمحات بلاغية أهمها؛ الاستفهام التقريري، والاستفهام الإنكاري، والتقديم والتأخير، والاستعارة. أما الاستفهام التقريري فيتمثل في قوله تعالى: "أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ" وهذا التقرير موجهٌ للمشركين وهو هنا بمثابة الإنذار وإقامة الحجة عليهم. ومن معاني الكلام إنهم إن لم ينتهوا عن كفرهم وغيهم فستكون نهايتهم مثل نهاية من سبقهم كعاد وثمود وقوم إبراهيم. "وَالتَّقْرِيرِيُّ يُؤْتَى مَعَهُ بِالْجُمْلَةِ مَنْفِيَّةً تَوْسِعَةً عَلَى الْمُقَرَّرِ إِنْ كَانَ يُرِيدُ الْإِنْكَارَ حَتَّى إِذَا أَقَرَّ لَمْ يَسْتَطِعْ بَعْدَ إِقْرَارِهِ إِنْكَارًا لِأَنَّهُ قَدْ أُعْذِرَ لَهُ مِنْ قَبْلُ بِتَلْقِينِهِ النَّفْيَ".[41]

أما المجاز والاستعارة ففي قوله تعالى: "فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ" فصُورَ سُوءُ الحال بالشيء الذي يُذاق باللسان، وهذه صورة بلاغية قوية، يقول ابن عاشور:"وَالذَّوْقُ مَجَازٌ فِي مُطْلَقِ الْإِحْسَاسِ وَالْوِجْدَانِ، شَبَّهَ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ بِشَيْءٍ ذِي طَعْمٍ كَرِيهٍ يَذُوقُهُ مَنْ حَلَّ بِهِ وَيَبْتَلِعُهُ لِأَنَّ الذَّوْقَ بِالْلِسَانِ أَشَدُّ مِنَ اللَّمْسِ بِالْيَدِ أَو بِالْجلدِ".[42]

وأما الاستفهام الإنكاري ففي قوله:"أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا" فهم ينكرون أن يكون رسل الله بشرًا، وهذه حجة من حججهم الباطلة يسوقونها مبررين لأنفسهم طريق الضلال والهلاك التي يسيرون فيها. وقد تركوا خلفهم الآيات الواضحات التي تدل على وحدانية الله وصدق رسله. فالاستفهام هنا "اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ وَإِبْطَالٍ فَهُمْ أَحَالُوا أَنْ يَكُونَ بَشَرٌ مِثْلُهُمْ يَهْدُونَ بَشَرًا

أَمْثَالَهُمْ، وَهَذَا مِنْ جَهْلِهِمْ بِمَرَاتِبِ النُّفُوسِ الْبَشَرِيَّةِ وَمَنْ يَصْطَفِيهِ اللَّهُ مِنْهَا، وَيَخْلُقُهُ مُضْطَلِعًا بِتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ إِلَى عِبَادِهِ".(43)

وقد تقدم المسند إليه على المسند الخبر الفعلي في قوله "أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا" لغرض بلاغي وهذا الغرض هو قصد"تَقَوِّية حُكْمِ الْإِنْكَارِ، وَمَا قَالُوا ذَلِكَ حَتَّى اعْتَقَدُوهُ فَلِذَلِكَ أَقْدَمُوا عَلَى الْكُفْرِ بِرُسُلِهِمْ إِذْ قَدِ اعْتَقَدُوا اسْتِحَالَةَ إِرْسَالِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ فَجَزَمُوا بِكَذِبِهِمْ فِي دَعْوَى الرِّسَالَةِ فَلِذَلِكَ فَرَّعَ عَلَيْهِ فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا ".(44)

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة " خطاب القرآن لمن لا يقرون بالوحدانية ليعتبروا بعاقبة من سبقهم " تحول الخطاب من عام إلى خاص لأمر عام"، حيث يوجه القرآن الكريم خطابه

إلى الملحدين للتدبر في عاقبة ممن سبقهم من الأمم السابقة وما حلّ بها من عذاب الله وسخطه.

ثم توصّلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمّها:

1/ يعد أسلوب دعوة من لا يقر بوحدانية الله إلى الاعتبار بمن سبق؛ من الأساليب البلاغية القوية التي تظهر أهل الباطل وتفضح معتقداتهم الزائفة وتعمل على توبيخهم وتحذيرهم من مغبة ضلالاتهم وظلمهم لأنفسهم ومحاربتهم لدعوة الحق. ويعد هذا الأسلوب وجه من وجوه الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم.

2/ من الفنون البلاغية الواردة في آيات دعوة من لا يقر بوحدانية الله إلى الاعتبار بمن سبق؛ الاستفهام الإنكاري، الاستفهام التقريري، الاستفهام التعجيبي، التقديم والتأخير، الإيجاز، الالتفات، المجاز المرسل، الاستعارة، الكناية، فن إرسال المثل، فن المناسبة في المعاني. وربما يُعد الاستفهام بنوعيه الإنكاري والتقريري أكثر ظاهرة بلاغية أسلوبية واضحة في هذه الآيات؛ ولعلّ هذا لما يستدعيه المقام من خطاب مباشر وقرع آذان هؤلاء المشركين بل حتى المؤمنين كي يزدادوا إيمانًا وثباتًا على الحق. وهذه المباشرة والمواجهة من صفات الأسلوب الإنشائي الذي يرى فيه الأسلوبيون قوة وحيوية لا يرونها في نظيره الخبري الذي لا يقل أهمية ولكن في موضعه ومقامه الذي يستدعيه.

الهوامش:

---

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور،137/7.

(2) الكشاف، الزمخشري،6/2.

(3) المرجع السابق والصفحة.

(4) المثل السائر، ابن الأثير، 3/2.

(5) إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، 67/3.

(6) البيان والبديع، الدكتور طالب الزوبعي، والدكتور ناصر حلاوي،72.

(7) إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، 67/3،68.

(8) محاسن التأويل، القاسمي، 453/4.

(9) المرجع السابق والصفحة.

(10) التحرير والتنوير، ابن عاشور،260/10.

(11) المرجع السابق، 196/13.

(12) المرجع نفسه.

(13) إعراب القرآن وبيانه،محي الدين درويش،166/5،165.

(14) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 197/13.

(15) المرجع السابق والصفحة.

(16) المرجع نفسه.

(17)نفسه، 334/16.

(18) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، 322/9.

(19) التحرير والتنوير، ابن عاشور،287،17.

(20) إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، 446/6.

(21) تفسير القرآن العظيم،ابن كثير،306/6.

(22) الكشاف، الزمخشري،469/3.

(23) التحرير والتنوير، ابن عاشور،58/21.

(24) تفسير الجلالين، جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، 548/1.

(25) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 239/21.

(26) المرجع السابق، 240/21.

(27) إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، 591/7.

(28)المرجع نفسه، 169/8،168.

(29) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 337/22.

(30) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، 76/16.

(31) التفسير الحديث، د.روزة محمد عزت، 227/4.

(32) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 172/23،171.

(33) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، 45/28.

(34) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 90/26.

(35) المرجع السابق، 91/26.

(36) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 426/7.

(37) ينظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبي السعود العمادي، 145/8. وينظر كذلك: إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، 325/9.

(38) علم البيان، الدكتور عبد العزيز عتيق،192.

(39) البيان والبديع، الدكتور طالب الزوبعي والدكتور ناصر حلاوي،97.

(40) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، 369/3.

(41) التحرير والتنوير، ابن عاشور،268/28.

(42) المرجع السابق والصفحة.

(43) المرجع نفسه.

(44)نفسه ،269/28.

المصادر والمراجع:

1/ إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى : 1403هـ)، الطبعة الرابعة، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية ، (دار اليمامة- دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، 1415 هـ.

2/ البيان والبديع، الدكتور طالب الزوبعي والدكتور ناصر حلاوي، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، بيروت، 1996.

3/ التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.

4/ تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت. د.ت.

5/ تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي،وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الطبعة الأولى، دار الحديث، القاهرة. د.ت.

6/ التفسير الحديث، د.روزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية،القاهرة، 1383هـ.

7/ تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي(المتوفى: 774هـ)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ - 1999م.

8/ التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، الطبعة الأولى، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة.تاريخ النشر:أجزاء 1 - 3: يناير 1997، جزء 4: يوليو 1997، جزء 5: يونيو 1997، أجزاء 6 - 7: يناير 1998، أجزاء 8 - 14: فبراير 1998، جزء 15: مارس 1998.

9/ صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، الطبعة الأولى، دار الصابوني للطباعة والنشر، القاهرة، 1417 هـ، 1997م.

10/ الكافي في البلاغة، أيمنعبدالغني، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، 2011.

11/ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جارالله(المتوفى: 538هـ)، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت،1407هـ.
12/ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت.
13/ محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ.
14/ مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: 606هـ)، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ.
15/ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي (المتوفى: 885هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.

بحث بعنوان

مهارات البحث عن المعلومات

دراسة ميدانية مطبقة على المجتمع الجامعي

إعداد

أ. يحيى محمد موسى حسين

محاضر بقسم المكتبات والمعلومات

جامعة عمر المختار – البيضاء

هاتف : 0926214776 - 0913486617

www. Yahia altalhy. Gmail. com

مهارات البحث عن المعلومات
دراسة ميدانية مطبقة على المجتمع الجامعي

المستخلص

تسعى الدراسة إلى التعرف على مهارات البحث عن المعلومات واستخدامها لدى طلبة كلية الآداب بجامعة عمر المختار؛ لمعرفة المنافذ التي يسلكها طلبة الجامعة للحصول على المعلومات، وتحديد الصعوبات التي تواجههم أثناء البحث، ومعرفة مدى استجابة الطلبة للبدائل الإلكترونية لأوعية المعلومات، وتحديد أنواع وأشكال مصادر المعلومات التي يستخدمونها، وقد استخدمت الدراسة المنهج الوصفي معتمدة في ذلك على الاستبانة كأداة رئيسة لجمع البيانات. وقد توصلت إلى أن أكثر الدوافع وراء البحث عن المعلومات هو البحث عن المواد المتعلقة بالمقررات الدراسية، وأن أكثر المنافذ التي يعتمدون عليها في الوصول إلى مصادر المعلومات هي الإنترنت ثم تلتها المكتبات، وأكثر الصعوبات التي تواجههم عدم توفر مصادر معلومات بالمكتبة، وأن معظم أفراد عينة الدراسة يفضلون استخدام المصادر الإلكترونية للمعلومات على المصادر المطبوعة، أما من حيث نوع المصادر فقد تصدرت الكتب اختيارهم، ويعد محرك البحث (جوجل) من أكثر محركات البحث استخداماً في عملية البحث عن المعلومات. وأوصت بتقديم برنامج تدريبي من قبل العاملين المتخصصين في مجال المكتبات لطلبة الجامعة عن كيفية استخدام مصادر وخدمات المعلومات بالمكتبة، وتزويد مكتبات الجامعة بمصادر معلومات حديثة ومتنوعة بشكل دوري ومستمر.

الكلمات المفتاحية: المهارات، المعلومات، البحث عن المعلومات، جامعة عمر المختار

Abstract

The study seeks to identify the skills of information search and use among students of the Faculty of Arts at Omar Al-Mukhtar University; They use it, The study used the descriptive methodology based on the questionnaire as the main data collection tool. Text exceeds 3900 character limit, I found that the most motivated search for information is for course materials, The most reliable access to information sources is the Internet, followed by libraries. And that most of the study sample prefer to use electronic sources of information over printed sources, In terms of the type of sources, books topped the selection, and the search engine (Google) is one of the most used search engines in the search for information. it recommended the provision of a training program by the specialized

staff in the field of libraries to university students on how to use the library's information resources and services, and to provide the university libraries with modern and diverse sources of information periodically and continuously.

Keywords: skills, information, information search, Omar Mukhtar University

التمهيد :

إننا نعيش اليوم عصر انفجار المعلومات، حيث دخلت المعلومات جميع المجالات لتصبح عصب الحياة، وخاصة في العصر الحالي الذي تضخمت فيه المعلومات وأصبح من الصعب الإلمام بها، حيث كثرت وتنوعت مصادر المعلومات بأشكال مختلفة ومتنوعة، مما أدى إلى إتاحة خيارات عديدة أمام الباحثين عن المعلومات من حيث نوعية المعلومات وطريقة الحصول عليها، وترتب على ذلك صعوبات في الحصول على المعلومة، فعملية إدراك الباحث عن الحاجة المعلوماتية التي تفي بحاجته أصبح من أصعب الأمور على الباحث المبتدئ، وخاصة ونحن نعيش الآن في بيئة رقمية مفتوحة، مما يجبر الباحث على ضرورة اكتسابه مهارات تؤهله في عملية البحث عن المعلومات.

إن التقنيات الحديثة وما أفرزته من قدرات هائلة في مجال إنتاج المعلومات ومعالجتها واختزانها واسترجاعها ومن ثم بثها، قد أحدثت تغييرات جوهرية في طبيعة المعلومات من جهة وأشكال الوسائط التي تنطوي عليها من جهة أخرى، حيث لا تقتصر أهميتها على إتاحة أساليب غير مسبوقة لتطوير المكتبات، وإنما تمتد هذه الأهمية لتشمل النظرة الاستشرافية المستقبلية اللازمة لتطوير المكتبات التقليدية، والتي استوجبت من المستفيدين أن يكون لديهم مجموعة من القدرات والمهارات؛ لكي يتمكنوا من استخدامها، فسلوكيات البحث عن المعلومات ترتبط بمهارات يمتلكها الباحث في بحثه عن المعلومات، وتخطيه جميع الصعوبات والحواجز التي تعيقه في استخراج المعلومات سواء بالوسائل التقليدية أو الحديثة، وخاصة أننا نعيش عصر التكنولوجيا التي تعتمد على مهارات عالية لمواكبة هذه التطورات.

مشكلة الدراسة:

انطلاقاً من أهمية المعلومات ودورها في عملية البحث العلمي وخاصة أننا نعيش عصر انفجار المعلومات، مما تسبب في ضخامة مصادر المعلومات وتنوع أشكالها وقنوات استخراجها سواء بشكلها التقليدي أو غير التقليدي، والذي تتطلب من الباحثين عن

المعلومات اكتساب مهارات تؤهلهم لاستخدام الأدوات والوسائل التي تمكنهم من الحصول على احتياجاتهم من المعلومات.

فإن دراسة المستفيدين من المكتبات الجامعية لمعرفة الدور الذي يقومون به للحصول على المعلومات من دور المكتبات ومراكز المعلومات، أو أي مصدر آخر يمكن الرجوع إليه لتلبية احتياجاتهم، قد يساهم في معالجة المعوقات والصعوبات التي يواجهها الطلاب للحصول على ما يحتاجون إليه من معلومات.

وبعد الاطلاع على عينة استطلاعية من طلبة جامعة عمر المختار وجد عجز لبعض الطلبة من البحث عن المعلومات بوسائلها التقليدية والحديثة، مما دعانا إلى دراسة مهارات البحث عن المعلومات لدى طلبة كلية الآداب بجامعة عمر المختار لمعرفة أسباب القصور.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى عدد من الأهداف منها :

1. التعرف على المنافذ التي يسلكها طلبة كلية الآداب بجامعة عمر المختار للحصول على المعلومات.
2. تحديد الصعوبات التي يواجها طلبة كلية الآداب بجامعة عمر المختار أثناء البحث عن المعلومات.
3. معرفة مدى استجابة طلبة كلية الآداب بجامعة عمر المختار للبدائل الإلكترونية لأوعية المعلومات.
4. تحديد أنواع وأشكال مصادر المعلومات التي يستخدمها طلبة كلية الآداب بجامعة عمر المختار.

تساؤلات الدراسة:

1. ما المنافذ التي يسلكها طلبة كلية الآداب بجامعة عمر المختار للحصول على المعلومات؟
2. ما الصعوبات التي يواجها طلبة كلية الآداب بجامعة عمر المختار أثناء البحث عن المعلومات؟
3. ما مدى استجابة طلبة كلية الآداب بجامعة عمر المختار للبدائل الإلكترونية لأوعية المعلومات؟

4. ما أنواع وأشكال مصادر المعلومات التي يستخدمها طلبة كلية الآداب بجامعة عمر المختار؟

المصطلحات والمفاهيم:

البحث Search: هو عبارة عن استقصاء وتقصي وفحص يهدف إلى إضافة واكتشاف معلومات والتحقق منها[1].

المعلوماتInformation : هي مجموعة من البيانات يتم ترتيبها وتنظيمها ومعالجتها بصورة تعكس مفاهيم ومعاني تؤدي إلى الإجابة عن الاستفسارات، أو لاستعمالها لغرض اتخاذ القرارات، لتصبح هذه البيانات ذات القيمة، وبالتالي تؤدي إلى التعلم والمعرفة وكسب المهارات[2]

مهارات البحث عن المعلومات Information Search Skills: هو النشاط أو السلوك الذي يقوم به الفرد للوصول إلى مصادر المعلومات التي تلبي احتياجاته[3].

أدوات جمع البيانات:

استخدمت الدراسة عدداً من أدوات جمع البيانات وهي:

1. الاطلاع على أدبيات الموضوع :

اعتمدت الدراسة على أدبيات الموضوع من (كتب، ومقالات وبحوث الدوريات، والرسائل الجامعية المتعلقة بموضوع الدراسة ..... إلخ.

2. استمارة الاستبيان:

أعدت استمارة الاستبيان المغلق المفتوح موجهة لعينة من طلبة كلية الآداب بجامعة عمر المختار، وقد قسمت إلى محورين هما:

- المحور الأول: حول المعلومات العامة من حيث الجنس، والقسم الذي يدرس فيه عينة الدراسة، والمرحلة الجامعية واللغات التي يجيدها عينة الدراسة .
- المحور الثاني: حول الاتجاهات الخاصة بعينة الدراسة من الأسباب التي تدفعهم نحو البحث عن المعلومات والوسائل التي يلجؤوا إليها، وأنواع المصادر التي يستخدمونها، ودرجة الإجادة في استخراج المعلومات، ونوع محركات البحث التي يستخدمونها، والصعوبات التي تواجههم في البحث عن المعلومات.

وقد وزعت الاستمارات بعدد 175 استمارة، رجع منها عدد 155 استمارة، واستبعد منها عدد 7 استمارات؛ نظراً لأن إجابات الطلبة كانت بعيدة عن المنطقية وغير مكتملة البيانات .

منـهج الدراسة:

تـم الاعتمـاد فـي هـذه الدراسـة علـى المـنهج الوصـفي الـذي يسـتخدم فـي دراسـة الأوضـاع الراهنـة للظـواهر من حيث خصائصـها وأشكالها وعلاقاتها، والعوامل المؤثرة في ذلك، وهذا يعني أن المنهج الوصفي يهتم بدراسة حاضر الظـواهر والأحداث مـع ملاحظـة أنـه يشتمل فـي كثيـر مـن الأحيان علـى عمليات تنبـئ بمسـتقبل الظـواهر والأحـداث التـي يدرسـها، ويقوم المنـهج الوصـفي علـى رصد ومتابعـة دقيقـة لظـاهرة أو حـدث معين بطريقـة كميـة، أو نوعيـة فـي فترة زمنيـة، أو فتـرات عدة مـن أجل التعرف علـى الظـاهرة أو الحـدث مـن حيـث المحتـوى والمضـمون، والوصـول إلـى نتـائج وتعميمـات تسـاعد فـي فهـم الواقـع وتطـويره، ويـرتبط استخدام المـنهج الوصـفي غالبـاً بدراسـات العلـوم الاجتماعيـة والإنسـانية، والتـي استخدم فيها منذ نشأته وظهوره، ولكـن هـذا لا يعنـي أن استخدامه وتطبيقه يقتصـر علـى هـذه العلـوم فحسـب، بـل إنـه يسـتخدم أحيانـاً فـي دراسـات العلـوم الطبيعيـة لوصـف الظـواهر الطبيعيـة المختلفة[4].

مجتمع الدراسة:

ضم مجتمـع الدراسة طلاب كلية الآداب بجامعة عمر المختار بالمراحل الجامعية الأربعـة (الأولـى، والثانيـة، والثالثـة، والرابعـة)؛ ونظـراً لأن عـدد مجتمـع الدراسـة محـدود قـدره (1183) طالبـاً فأخـذت منـه عينـة عشـوائية بسـيطة – والتـي تعـد أكثـر تمثـيلاً لمجتمـع الدراسـة– بنسبة 12.5% من مجتمع الدراسة قدرها 148 طالب 74 من جنس الذكور، وعدد 74 من جنس الإناث موزعة على الشكل الآتي:

الجدول (1) يوضح عينة الدراسة حسب مراحلهم الدراسية

المرحلة / القسم	الأولى	الثانية	الثالثة	الرابعة	المجموع	النسبة
المكتبات	2	2	2	2	8	%5.5
تاريخ	2	3	3	2	10	%6.7
الإعلام	2	3	3	4	12	%8.1
علم الاجتماع	2	2	3	3	10	%6.7
دراسات إسلامية	2	2	3	3	10	%6.7
جغرافيا	2	2	2	2	9	%6.1
الآثار	1	1	1	2	5	%3.4
اللغة الفرنسية	1	1	2	1	5	%3.4

المرحلة / القسم	الأولى	الثانية	الثالثة	الرابعة	المجموع	النسبة
تفسير	1	1	1	1	4	%2.6
علم النفس	2	2	2	2	8	%5.5
اللغة العربية	2	2	2	2	9	%6.1
التخطيط	3	4	4	3	14	%9.5
اللغة الإنجليزية	10	10	11	13	44	%29.7
المجموع	**32**	**35**	**39**	**40**	**148**	**%100**

حدود الدراسة :

الحـدود المكانيــة : تناولـت الدراسـة ميـدانياً كليـة الآداب جامعـة عمـر المختـار بمدينـة البيضاء.

الحدود الزمنية : جرت الدراسة خلال العام الجامعي 2017 – 2018 .

الحدود الموضوعية : تناولت الدراسة موضوع مهارات البحث عن المعلومات لدي طلبة كلية الآداب بجامعة عمر المختار.

الحـدود البشـرية : اقتصـرت علـى عينـة مـن طلبـة كليـة الآداب بجامعـة عمـر المختـار بأقسامها المختلفة وبمراحلها الأربعة .

الدراسات السابقة :

تـم الاطـلاع علـى بعـض الرسـائل الجامعيـة، والبحـوث، والدراسـات المنشـورة فـي الدوريات التي لها علاقة بموضوع الدراسة، حيث تناولت هذه الدراسة موضوع المهارات المعلوماتية لدى طلبة كلية الآداب بجامعة عمر المختار، وقد بلغ عددها تسع دراسات رتبت زمنياً وفقاً لسنوات صدورها من الأقدم إلى الأحدث على النحو الآتي:

أولاً الدراسات العربية:

دراسة محمد رشيد(5): تسعى هذه الدراسة إلى وصف وتحليل سلوك المستفيدين من طلبة الدراسات العليا في مجال اللغة الإنجليزية بهدف التعرف على أساليبهم في البحث عن المعلومات واستخدام المكتبات، والتعرف على المنافذ التي من خلالها يحصلون على مصادر المعلومات، وتحديد دور المكتبات الجامعية في تأمين حاجاتهم، والكشف عن الصعوبات، والمعوقات التي تواجههم، ومدى تأثيرها في سلوكياتهم واستخدامهم للمكتبات.

وقد توصلت إلى أن استخدام المكتبات الجامعية من قبل مجتمع الدراسة بدرجة كبيرة لكونها مصدرا أساساً في الحصول على المعلومات، وتنوع الوسائل التي يعتمد عليها المستفيدون من أجل الحصول على المعلومات بحيث شملت بالإضافة إلى المكتبات الجامعية مكتبات الكليات، والأقسام، والاتصالات الشخصية بين الباحثين، ويرجع انخفاض مستوى استخدام المكتبات الجامعية من قبل مجتمع الدراسة إلى رداءة خدمات التدفئة والتبريد والإضاءة، وضعف خدمات الاستنساخ والتصوير، وكذلك ضعف مجموعة المكتبة الجامعية في مجال الاختصاص الموضوعي. وأوصت بضرورة توفير البحوث والمصادر الحديثة التي تلبي اهتمامات الباحثين الموضوعية، وتشجيع البحوث والدراسات الخاصة بالمستفيدين ومهاراتهم، وحاجاتهم للمعلومات التي من شأنها معرفة اتجاهات المستفيدين في تناول مصادر المعلومات المختلفة.

دراسة منصور بن علي الشهري(6): تناولت الدراسة مهارات البحث عن المعلومات، والحاجات المعلوماتية لطلاب الدراسات العليا بالكليات النظرية في جامعة الملك سعود؛ بهدف الكشف عن خصائصها، وتوظيف نتائج الدراسة لرفع مستوى خدمات المعلومات، وقد اعتمدت على المنهج الوصفي لعينة قدرها 200 طالب من طلاب مرحلتي الماجستير والدكتوراه المنتظمين والمقيدين في الفصل الدراسي الأول للعام الجامعي 2005 -2006 م، وأظهرت نتائج الدراسة أن هناك تبايناً في مهارات البحث عن المعلومات لدى طلاب الدراسات العليا، وحاجتهم إلى زيارة مكتبات، ومراكز معلومات غير مكتبة الأمير سلمان المركزية للحصول على مصادر المعلومات، إضافة إلى غياب البرامج التدريبية المتخصصة، وحاجتهم إلى المزيد من الخدمات المكتبية، وأوصت بضرورة تحقيق التوازن في تنمية مجموعات المكتبة وفق احتياجات التخصصات العلمية، وإعداد مقرر تدريبي متخصص في استخدام مصادر المعلومات بالمكتبة وتقويمه.

دراسة حمد بن إبراهيم العمران(7) : تسعى الدراسة إلى التعرف على سلوكيات البحث عن المعلومات واستخدامها لدى طلاب الدراسات العليا في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ولتحقيق ذلك استخدم المنهج الوصفي معتمداً على الاستبانة كأداة رئيسة لجمع البيانات. وتوصلت الدراسة إلى أن أكثر الدوافع وراء البحث هو التطوير الذاتي لقدراتهم، وأن أكثر المنافذ التي يعتمدون عليها للوصول إلى مصادر المعلومات هي الإنترنت، وأن معظمهم يفضلون استخدام المصادر المطبوعة على المصادر الإلكترونية، كما أنهم يعتمدون للحصول على أحدث الأخبار والمعلومات والأحداث في مجال

تخصصهم على المواقع الإلكترونية المتخصصة، كما وجدت أن هناك استخداماً عالياً للإنترنت من قبل أفراد العينة، وكذلك يملكون مهارات جيدة في هذا المجال، كما أن غالبيتهم يعتمدون على محرك بحث جوجل للوصول إلى المعلومات على شبكة الإنترنت، وأن أكبر عقبة تواجههم أثناء البحث عن المعلومات هي عدم توفر مصادر المعلومات في مكتبة الجامعة. وأوصت بضرورة دعم الجامعات ومراكز البحث العربية لإثراء المحتوى العربي على الإنترنت لتلبية احتياجات الباحثين العرب، وضرورة التركيز على إكساب طلاب الجامعة بشكل عام وطلاب الدراسات العليا بشكل خاص لمهارات استخدام مصادر المعلومات الإلكترونية.

دراسة ثروت عبدالعزيز سالم بصفر(8): هدفت الدراسة إلى تحديد أهم المهارات المتبعة عند البحث عن المعلومات لدى عينة الدراسة، وتحديد أبرز الصعوبات التي تحول دون الوصول إلى المعلومات المطلوبة في البحث عن المعلومات الرقمية، وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي، وعلى أداة الاستبانة موزعة على 240 طالبة من مدارس جدة، وقد توصلت الدراسة إلى أن غالبية عينة الدراسة لديهن معرفة باستراتيجيات صحيحة للبحث عن المعلومات، وأن السبب الأساس للبحث عن المعلومات للحصول على المعلومات العلمية والترفيهية والثقافية، وأوصت بضرورة وضع خطط، واستراتيجيات لبرامج تطوير مهارات البحث عن المعلومات في البيئة الرقمية بالإضافة إلى طرح برامج حقيقية لنشر الوعي المعلوماتي بين أفراد المجتمع الجامعي.

دراسة جواهر عبدالله فرحان الفيفي(9): هدفت الدراسة إلى التعرف على واقع مهارات البحث عن المعلومات لدى الصحفيين بمؤسسة عكاظ للصحافة من حيث أنواع المعلومات التي يحتاجونها، ودوافعهم للبحث عن المعلومات، والوسائل التي يتبعونها في الوصول إلى مصادر المعلومات، ومدى استخدامهم لمصادر المعلومات، وأسباب استخدامهم لمواقع التواصل الاجتماعي، والصعوبات التي يواجهونها، وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي وعلى أداة جمع البيانات الاستبانة والتي وزعت على عينة قدرها 58 من الصحفيين العاملين بصحف (عكاظ، النادي، سعودي جازيت)، وقد توصلت إلى أن أكثر أنواع المعلومات احتياجاً لدى عينة الدراسة (المعلومات الاجتماعية)، وأن أكثر الدوافع وراء البحث عن المعلومات لإجراء التحقيق الصحفي، وأكثر الوسائل استخداماً للبحث عن المعلومات من شبكة الإنترنت محركات البحث وشبكات التواصل الاجتماعي، وأن أكثر الصعوبات التي تواجههم ضيق الوقت، وأوصت بضرورة العمل على إصدار

أدلة تشتمل على أهم محركات البحث، ومواقع الإنترنت، وصفحات التواصل الاجتماعي التي تفيدهم في العمل الصحفي، واهتمام أقسام الصحافة بالجامعات السعودية بإكساب طلابها بالمهارات المطلوبة لكيفية البحث عن المعلومات من البيئة الرقمية

دراسة هتهات محمد(10) والتي هدفت إلى التعرف على الأنماط المختلفة لمهارات الأساتذة الباحثين عن المعلومات في البيئة الرقمية والعوامل المؤثرة فيها، ومعرفة دوافعهم للبحث عن المعلومات في البيئة الرقمية، ومعرفة المصادر الرقمية التي يلجأ إليها الباحثون لإشباع حاجاتهم المعرفية، والتعرف على الوسائل والأساليب والاستراتيجيات المتبعة من قبل الباحثين للوصول إلى المعلومات في البيئة الرقمية، ومعرفة الصعوبات التي تواجههم عند البحث عن المعلومات، وقد استخدمت الدراسة المنهج المسحي، كما اعتمدت في جمع بياناتها على أداة الاستبانة، وتوصلت الدراسة إلى أن أغلب عينة الدراسة يعتمدون على مصادر المعلومات الرقمية في البحث عن المعلومات، وأن حداثة المعلومات من أكثر الدوافع وراء بحثهم عن المعلومات من البيئة الرقمية، وأوصت بضرورة تدريب الأساتذة الباحثين على اكتساب مهارات الوصول إلى مصادر المعلومات الرقمية بكل سهولة ويسر، العمل على زيادة الوعي المعلوماتي الرقمي لدى الأساتذة وتلبية حاجاتهم المعلوماتية، وتحسين مستوى الخدمة المقدمة لهم من قبل مكتبات الجامعة.

ثانيا الدراسات الأجنبية:

دراسة Nikolopoulou and Gialamas:(11) والتي هدفت إلى تحديد مهارات الحث عن المعلومات لدى طلاب الجامعات اليونانية، وتحديد مهارات الطلاب في تقييم المعلومات المستندة إلى الإنترنت، والتحقيق في ثقة الطلاب في مهاراتهم الذاتية في الحصول على المعلومات من شبكة الإنترنت، وقد استخدمت الدراسة المنهج المسحي، وقد استعانت في جمع بياناتها على أداة الاستبانة والتي تم توزيعها على عينة قدرها 250 طالب من جامعيين من دولة اليونان، وقد توصلت الدراسة إلى أن الإنترنت هو الأداة الرئيسة التي يعتمدون عليها في الحصول على معلوماتهم الخاصة بالجامعة، وأن مستوى مهاراتهم في البحث عن المعلومات على الصعيد الشخصي منخفض جداً، وقد أوصت بضرورة تدريب الطلاب على برامج محو الأمية المعلوماتية للرفع من مهاراتهم البحثية عن طريق شبكة الإنترنت.

دراسة Meng, Jyh, Huei and Chin:(12) تمحورت الدراسة حول استراتيجيات البحث عن المعلومات لدى طلاب الجامعة عبر الإنترنت لعينة قدرها 304 طالب من

جامعات تايوان؛ وذلك للتعرف على أغراض البحث عن المعلومات والاستراتيجيات عن هذه العملية البحثية من شبكة الإنترنت، وقد اعتمدت الدراسة في جمع بياناتها على أداة الاستبانة، وتوصلت الدراسة إلى احتياج المعلمين إلى بعض التدريب لتنمية مهاراتهم البحثية على شبكة الإنترنت؛ كي يستطيعوا مساعدة الطلاب على تطوير مهاراتهم البحثية عبر الإنترنت، وقد أوصت الدراسة إلى عقد ورش عمل، ودورات تدريبية مكثفة للرفع من مهارات الطلاب الجامعيين في البحث عن المعلومات عن طريق شبكة الإنترنت.

دراسة **Meng, Jung Tsai. Jyh, Chong Liang. Huei, Tse Hou and Chin, Chung Tsaz**: [13] والتي هدفت إلى التحقق من مهارات البحث للطلاب في الجامعات الخاصة والمختارة من ولاية اوجون بنيجيريا، وفحص قدرة الطلاب على التمييز بين مصادر المعلومات المتنوعة، وتقييم فعالية محو الأمية المعلوماتية ببرامج التعليمية في الجامعات الخاصة، واستخدمت الدراسة أداة الاستبانة لدى عينة قدرها 359 طالب، واعتمدت الدراسة على المنهج المسحي، وتوصلت الدراسة إلى انخفاض مهارات محو الأمية المعلوماتية لدى عينة الدراسة، وافتقار المؤسسات المختارة إلى برامج محو الأمية المعلوماتية السليمة، وأوصت الدراسة إلى ضرورة دمج برامج مهارات محو الأمية المعلوماتية في المناهج الدراسية بالمدارس، وضرورة تعزيز مستخدمي المكتبة بدورات تدريبية على كيفية البحث عن المعلومات في البيئة الرقمية.

الإطار النظري:

مفهوم المعلومات

تعد كلمة المعلومات من الكلمات الشائعة الاستخدام، فهي تتسم بثراء مفرداتها وتنوع معاني هذه المفردات ضمنها ما يتصل بالبحث، والمعرفة، والإرشاد، والتميز، والإدراك، واليقين وغيرها من المعاني المتصلة بوظائف العقل البشري، حيث إن المعلومات تعد العنصر الأساس في تطوير البحث العلمي، ومساعدة الباحثين والدارسين؛ لإجراء بحوثهم على أكمل وجه في مختلف المجالات، وهي شيء غير محدد المعالم لا يمكن رؤيته أو سماعه أو لمسه، فالإنسان يحاط علماً أو يصبح على بينة أو دراية في موضوع معين إذا ما تغيرت حالته المعرفية بشكل ما، وهي ذلك الشيء الذي يغير من الحالة المعرفية للشخص في موضوع ما[14].

وتعد المعلومات هي عبارة عن بيانات تمت معالجتها بغرض تحقيق هدف معين، أو لاستعمال محدد، فالمعلومات هي بحد ذاتها مجموعة من البيانات المنظمة

والمنسقة بطريقة توليفية تعطي معنى خاص وتركيبة متجانسة من المفاهيم والأفكار، يمكن استفادة الإنسان منها في الوصول إلى المعرفة واكتشافها[15].

أهمية المعلومات

لقد أصبحت المعلومات في هذا العصر بالغة الأهمية في تقدم المجتمعات ورقيها وأهميتها للشعوب، فهي تأتي في المرتبة الخامسة في معادلة ضروريات الحياة، فالمعلومات جزء من حياة الإنسان تساعد في اتخاذ القرارات، والبحث العلمي المميز، وتنير له الطريق في التكيف بشكل ايجابي مع المجتمع الذي يعيش فيه.

إن للمعلومات دورها الذي لا يمكن إنكاره في كل نواحي النشاط، فهي أساس للبحث العلمي وهي التي تشكل الخلفية الملائمة لاتخاذ القرارات الجيدة، وهي عنصر لا غنى عنه في الحياة اليومية لأي فرد، وهي بالإضافة إلى ذلك مورد ضروري للصناعة، والتنمية، والشؤون الإدارية، والاقتصادية، والسياسية، للإنتاج القومي، وهي المادة، والطاقة، والمعلومات، إلا أن الأخيرة أصبحت تتبوأ المكانة الأولى من حيث الأهمية[16].

لقد ارتبطت المعلومات بالإنسان منذ القدم، حيث كان يسيطر على البيئة دون الاعتماد على المعلومات، فمسيرة الاهتمام بالمعلومات قد شهدت تطورات أعمق من خلال التقنيات الحديثة المتمثلة في تطور اللغة، ثم اختراع الطباعة، هذا الأمر الذي أدى إلى زيادة الإنتاج الفكري العلمي وتنوع مصادره من كتب، ودوريات، ونشرات، ورسائل جامعية، وغيرها، وظهور الأجهزة، والمعدات الالكترونية، كل هذه الأسباب أدت إلى ما يعرف بانفجار المعلومات، وأصبحت المعلومات سلاح العصر الحديث، ومن يملك المعلومات ويستغلها يمتلك القوة والسلاح[17].

كما تعد المعلومات مورداً أساساً لأي نشاط بشري، فهي عنصر أساس في علاقة الإنسان بمجتمعه، وبيئته، وعلاقة، المجتمعات فيما بينها في شتى المجالات، حيث إن استثمار مورد المعلومات يعد معيار التميز حالياً بين المجتمعات الغنية والمتقدمة من جهة والفقيرة والمتخلفة من جهة أخرى، والجدير بالذكر أن هناك مجتمعات أو دولاً نجحت في استثمار ثروة المعلومات، واستغلالها الاستغلال الأمثل بتحقيق النوعية، أو الجودة لهدف معين[18].

مهارات الوصول إلى المعلومات:

هي عملية معرفة المعلومات المناسبة لعمل أو مهنة ما، والقدرة على تحصيلها وفهمها، وتحليلها لصنع قرارات جيدة تساعده في النجاح والتطور، تعد عملية البحث عن

المعلومات هي عملية تطويرية تتغير من فترة إلى أخرى عندما تضاف معلومات جديدة إلى العلوم والمعارف، كما أن تزايد مصادر الحصول على المعلومات تجعل من عملية الحصول عليها من أصعب العمليات، ولعل أبرز المهارات المطلوبة من قبل الباحثين للحصول على المعلومات تتمثل في:

1. معرفة الحاجة من المعلومات.
2. فهم كيفية تهيئة وتخزين وتنظيم المعلومات.
3. تحديد واختيار طرق البحث المناسب، وأنظمة استرجاعها.
4. تطوير، وتنفيذ استراتيجيات بحث فعالة.
5. تحديد المعلومات، ومواقعها واسترجاعها.
6. تحليل، وتقييم، وتركيب المعلومات.
7. استخدام المعلومات بطريقة فعالة للوصول إلى هدف معين.
8. تحديد عملية البحث عن المعلومات، ونتائجها
9. معرفة كيفية استخدام المعلومات في التفكير، وصناعة القرار [19].

العوامل والمتغيرات التي تؤثر في استخدام المعلومات من قبل الباحثين :

تعد عملية استخدام المعلومات من قبل الباحثين تتأثر بعدد كبير من العوامل والمتغيرات، تتمثل أهمها في النقاط الآتية:

1. إتاحة المعلومات، وسهولة الوصول اليها، وسهولة استخدامها.
2. مدى حداثة المعلومات، وجودتها.
3. شكل مصدر المعلومات المستخدم.
4. صعوبات الاستخدام [20].

الأسباب التي تحول دون حصول الباحثين على المعلومات :

عند محاولة الباحث القيام بعملية البحث عن المعلومات لتحقيق غاياته، فإن هناك أسباباً تحول دون حصوله على المعلومات تتمثل في النقاط الآتية:

1. عدم قدرة المستفيد على الوصول إلى مدخل صحيح للإنتاج الفكري.
2. نشر المعلومات في مصدر غير متوقع.
3. عدم توفر وعاء المعلومات الذى يحوى المعلومات المطلوبة في المكتبة.
4. قلة إلمام المستفيد بنظام التصنيف المتبع في المكتبة، إن هذه الصعوبة تحول دون وصول المستفيدين إلى الموضوعات عن طريق أرقام التصنيف.

5. ضعف قدرته على اختيار مصطلحات البحث التي تمثل موضوعات بحثه.
6. عدم تعوده على استخدام مصادر المعلومات الحديثة مثل المصادر المنشورة على الإنترنت أو على قواعد البيانات أو المخزنة على وسائط إلكترونية[21] .

الدراسة الميدانية:

جدول (2) يوضح اللغات التي يجيدها أفراد عينة الدراسة

الجنس / اللغات	الذكور		الإناث		المجموع	النسبة
	العدد	النسبة	العدد	النسبة		
اللغة العربية فقط	53	%35.8	58	%39.2	111	%75
اللغة العربية والانجليزية	20	%13.5	12	%8.1	32	%21.6
اللغة العربية والفرنسية	1	%0.7	4	%2.7	5	%3.4
المجموع	74	%50	74	%50	148	%100

تبين من الجدول (2) أن أكثر اللغات التي يجيدها أفراد عينة الدراسة اللغة العربية بعدد 111 طالب وبنسبه قدرها 75%، منها عدد 53 طالباً من الذكور، وبنسبه قدرها 35.8%، بينما كانت الإناث بعدد 58 طالبة وبنسبة قدرها 39.2%. بينما أفراد عينة الدراسة الذين يجيدون اللغة الإنجليزية بجانب اللغة العربية فعددهم 32 طالباً وبنسبة قدرها 21.6%، منها عدد 20 طالباً من الذكور بنسبة قدرها 13.5%، بينما الإناث بعدد 12 طالبة وبنسبة قدرها 8.1% . أما أفراد عينة الدراسة الذين يجيدون اللغة الفرنسية بجانب اللغة العربية فعددهم 5 طلاب وبنسبة قدرها 3.4%، منها عدد طالب واحد فقط من الذكور وبنسبة قدرها 0.7%، بينما عدد الإناث 4 وبنسبة قدرها 2.7%.

وقد تبين أن أغلب أفراد عينة الدراسة يجيدون اللغة العربية أكثر من غيرها من اللغات الأخرى؛ ويرجع ذلك لأنها اللغة المستخدمة للدراسة داخل أقسام الكلية، كما أن الطلبة جلهم من جنسيات عربية، أما إجادة اللغة الإنجليزية والفرنسية لعدد قليل من أفراد العينة لوجود أقسام تدرس اللغتين بالكلية.

جدول (3) يوضح الأسباب التي دفعت أفراد العينة الدراسة للبحث عن المعلومات

الجنس / الأسباب	الذكور		الإناث		المجموع	النسبة
	العدد	النسبة	العدد	النسبة		
البحث عن المواد المتعلقة بالمقررات الدراسية	24	%16.2	26	%17.6	50	%33.8
متطلبات البحث العلمي	19	%12.8	19	%12.8	38	%25.7
دافع الاطلاع والثقافة العامة	14	%9.5	16	%10.8	30	%20.3
متابعة آخر المستجدات في مجال التخصص	12	%8.1	-	-	12	%8.1
الحوار والنقاش	3	%2	8	%5.4	11	%7.4
الإجابة عن سؤال مطروح	2	%1.4	5	%3.3	7	%4.7
المجموع	74	%50	74	%50	148	%100

تبين من الجدول (3) أن البحث عن المواد المتعلقة بالمقررات الدراسية أكثر الأسباب التي دفعت أفراد عينة الدراسة للبحث عن المعلومات بعدد 50 طالباً وبنسبه قدرها 33.8%، منها عدد 24 طالباً من الذكور، وبنسبة قدرها 16.2%، بينما كانت الإناث بعدد 26 طالبة، وبنسبة قدرها 17.6%.

أما أفراد عينة الدراسة الذين يدفعهم متطلبات البحث العلمي للبحث عن المعلومات عددهم 38 طالباً، وبنسبة قدرها 25.7%، منهم 19 من الذكور بنسبة قدرها 12.8%، بينما الإناث بعدد 19 طالبة، وبنسبة قدرها 12.8%.

أما أفراد عينة الدراسة الذين بسبب الاطلاع والثقافة العامة يبحثون عن المعلومات فعددهم 30 طالباً، وبنسبة قدرها 20.3%، منهم عدد 14 طالباً من الذكور، وبنسبة قدرها 9.5%، بينما عدد الإناث 16 طالبة، وبنسبة قدرها 10.8% .

بينما عدد أفراد عينة الدراسة الذين يحبذون متابعة آخر المستجدات في مجال التخصص عددهم 12 طالباً جلهم من الذكور، وبنسبة قدرها 8.1%.

أما أفراد عينة الدراسة الذين يفضلون الحوار والنقاش فعددهم 11 طالباً، وبنسبة قدرها 7.4%، من بينهم عدد 3 طلاب من الذكور، وبنسبة قدرها 2%، وعدد 8 طالبات من الإناث، وبنسبة قدرها 5.4%.

بينما أقل أفراد عينة الدراسة الذين يفضلون البحث للإجابة على سؤال مطروح لديهم بعدد 7 طلاب، وبنسبة قدرها 4.7%، منهم عدد 2 طالبان من الذكور، وبنسبة قدرها 1.4%، وعدد 5 طالبات من الإناث، وبنسبة قدرها 3.3%.

تبين من الجدول أن الغرض الأساس من عملية البحث عن المعلومات لدى الأغلبية الكبرى من أفراد عينة الدراسة البحث عن المواد المتعلقة بالمقررات الدراسية، من أجل دعم المقررات الدراسية، وتنمية مهاراتهم الفكرية في مجال التخصص، بينما النسبة الأقل من أفراد عينة الدراسة يبحثون عن المعلومات للإجابة عن سؤال مطروح، بسبب نظرة الطالب للدراسة الجامعية نظرة مادية للحصول على شهادة جامعية فقط ، وعدم اهتمامه بمعرفة كل ما يدور في مجال تخصصه.

جدول (4) يوضح الوسائل التي تلجأ إلى أفراد عينة الدراسة في البحث عن المعلومات

الجنس / الوسائل	الذكور		الإناث		المجموع	النسبة
	العدد	النسبة	العدد	النسبة		
الإنترنت	48	%32.4	31	%21	79	%53.4
المكتبات	21	%14.2	41	%27.7	62	%41.9
متاجر بيع الكتب	5	%3.4	2	%1.3	7	%4.7
المجموع	74	50%	74	50%	148	%100

تبين من الجدول (4) أن الإنترنت أكثر الوسائل التي يلجأ إليها أفراد عينة الدراسة للبحث عن المعلومات بعدد 79 طالباً وبنسبة قدرها 53.4% منها عدد 48 طالباً من الذكور، وبنسبة قدرها 32.4%، بينما الإناث بعدد 31 طالبة، وبنسبة قدرها 21% .

بينما تحتل المكتبات المرتبة الثانية من حيث الوسائل المستخدمة من قبل أفراد عينة الدراسة بعدد 62 طالباً، وبنسبة قدرها 41.9%، منهم عدد 21 طالباً من الذكور، وبنسبة 14.2%، أما عدد الإناث 41 طالبة، وبنسبة قدرها 27.7% .

وتأتي متاجر بيع الكتب في المرتبة الأخيرة بأقل الوسائل استخداماً من قبل أفراد عينة الدراسة بعدد 7 طلاب، وبنسبة قدرها 4.7%، منهم عدد 5 طلاب من الذكور، وبنسبة قدرها 3.4%، ومنهم عدد طالبتان من الإناث، وبنسبة قدرها 1.3% .

تبين أن النسبة العظمى من أفراد عينة الدراسة يستخدمون الإنترنت للبحث عن المعلومات، بسبب عدم تلبية مكتبات الجامعة لاحتياجات المستفيدين لضعف مجموعاتها، وبسبب سهولة البحث على الإنترنت، وتوفره لأغلبية أفراد العينة في منازلهم، وتلتها في

المرتبة الثانية أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون المكتبات، بسبب عدم مقدرتهم على استخدام البدائل الإلكترونية واكتفائهم بما يتوفر في المكتبات من مجموعات تقليدية، بينما النسبة الأقل تستخدم متاجر الكتب؛ بسبب أن الكتب المتوفرة في متاجر الكتب يغلب عليها الطابع الترفيهي، وغلاء ثمن الكتب العلمية، مما يسبب عدم قدرة جميع الطلاب على انتقائها.

جدول (5) يوضح وسائل استخدام المكتبة من قبل أفراد عينة الدراسة

الجنس / الوسائل	الذكور		الإناث		المجموع	النسبة
	العدد	النسبة	العدد	النسبة		
استخدام الرفوف	41	%27.7	31	%20.9	72	%48.6
الاستعانة بمساعدة العاملين	33	%22.3	43	29.1	76	%51.4
المجموع	74	50%	74	50%	148	%100

تبين من الجدول (5) أن أكثر الوسائل استخدام داخل المكتبة من قبل أفراد عينة الدراسة الاستعانة بمساعدة العاملين لإرشادهم إلى مصادر المعلومات المتوفرة بالمكتبة بعدد 76 طالباً، وبنسبة قدرها 51.4%، منهم عدد 33 طالباً من الذكور، وبنسبة قدرها 22.3%، أما الإناث بعدد 43 طالبة، وبنسبة قدرها 29.1%، أما أفراد عينة الدراسة الذين يفضلون استخدام رفوف المكتبة بأنفسهم ودون مساعدة العاملين عددهم 72 طالباً، وبنسبة قدرها 48.6%، منهم عدد 41 طالباً من الذكور، وبنسبة قدرها 27.7%، بينما عدد الإناث 31 طالبة، وبنسبة قدرها 20.9%.

على الرغم أن النسبة جاءت متقاربة إلا أن النسبة الأكبر من عدد أفراد عينة الدراسة الذين يستعينون بمساعدة العاملين بالمكتبات في عملية البحث عن المعلومات بلغت نسبة أكبر من نسبة أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الرفوف بأنفسهم دون مساعدة غيرهم ؛ بسبب عدم قدرتهم على استخدام الرفوف، وكيفية استخراج المعلومات منها ، وكذلك عدم المعرفة بكيفية ترتيب الكتب على الرفوف وكيفية استخدامها؛ ويرجع ذلك لعدم توفر بمكتبات الجامعة البرنامج التدريبي الخاص بالمستفيدين منها؛ لتنمية مهاراتهم في كيفية استخدام مصادر وخدمات المعلومات بالمكتبة، ومعرفة طريقة استخراج المعلومات باستخدام فهارس المكتبة .

جدول (6) يوضح عدد ترددات أفراد عينة الدراسة على المكتبة

الجنس / الترددات	الذكور		الإناث		المجموع	النسبة
	العدد	النسبة	العدد	النسبة		
يومياً	6	%4.1	4	%2.7	10	%6.8
أكثر من مرة في الأسبوع	33	%22.3	24	%16.2	57	%38.5
أسبوعياً	4	%2.7	3	%2	7	%4.7
مرة في الشهر	6	%4.1	7	%4.7	13	%8.8
بشكل غير منتظم	25	%16.9	36	%24.3	61	%41.2
المجموع	74	50%	74	50%	148	%100

تبين من الجدول (6) أن عدد تردد أفراد عينة الدراسة على المكتبة بشكل غير منتظم جاء في المرتبة الأولى بعدد 61 طالباً، وبنسبة قدرها 41.2%، منهم عدد 25 طالباً من الذكور، وبنسبه قدرها 16.9%، أما الإناث بعدد 36 طالبة، وبنسبة قدرها 24.3%.

أما أفراد عينة الدراسة الذين يفضلون استخدام المكتبة أكثر من مرة في الأسبوع عددهم 57 طالباً، وبنسبة قدرها 38.5%، منهم عدد 33 طالباً من الذكور، وبنسبة قدرها 22.3%، بينما عدد الإناث 24 طالبة، وبنسبة قدرها 16.2%.

أما أفراد عينة الدراسة الذين يترددون على المكتبة مرة في الشهر عددهم 13 طالباً، وبنسبة قدرها 8.8%، منهم عدد 6 طلاب من الذكور، وبنسبة قدرها 4.1%، بينما عدد الإناث 7 طالبات، وبنسبة قدرها 4.7%.

أما أفراد عينة الدراسة الذين يترددون على المكتبة بصفة دورية بشكل يومي فعددهم 10 طلاب، بنسبة قدرها 6.8%، منهم عدد 6 طلاب من الذكور، وبنسبة قدرها 4.1%، وعدد 4 طالبات من الإناث، وبنسبة قدرها 2.7%.

بينما عدد أفراد عينة الدراسة الذين يترددون على المكتبة بشكل أسبوعي 7 طلاب، وبنسبة قدرها 4.7%، منهم عدد 4 طلاب من الذكور، وبنسبة قدرها 2.7%، بينما عدد الإناث 3 طالبات، وبنسبة قدرها 2%.

بإلقاء نظرة على البيانات الواردة في الجدول يتبين أن النسبة الأكبر من أفراد العينة يترددون على المكتبة بشكل غير منتظم؛ بسبب قلة ساعات عمل المكتبة المحددة بين الساعة الثامنة صباحاً حتى الواحدة ظهراً، وحيث إن أغلب الطلاب منهمكين

بالمحاضرات داخل القاعات الدراسية، مما يجعل الطلاب لا يستطيعون دخول المكتبة بشكل منتظم ومحدود.

جدول (7) يوضح شكل المصادر المستخدمة من قبل أفراد العينة

الجنس / الشكل	الذكور		الإناث		المجموع	النسبة
	العدد	النسبة	العدد	النسبة		
المطبوعة	26	%17.6	11	%7.4	37	%25
الإلكترونية	48	%32.4	62	%41.9	110	%74.3
المطبوعة والإلكترونية معاً	1	%0.7	-	-	1	%0.7
المجموع	74	50%	74	50%	148	%100

تبين من الجدول (7) أن أفراد عينة الدراسة الذين يفضلون استخدام مصادر المعلومات الإلكترونية عددهم 110 طالب، وبنسبة قدرها 74.3%، منهم عدد 48 طالباً من الذكور، وبنسبة قدرها 32.4% ، بينما الإناث عددهم 62 طالبة، وبنسبة قدرها 41.9%؛ ويرجع ذلك لما توفره المصادر المعلومات الإلكترونية من وفره في حجم وغزارة المعلومات، وسهولة في الحصول عليها.

بينما أفراد عينة الدراسة الذين يفضلون استخدام المصادر المطبوعة في البحث عن المعلومات بدلاً من الإلكترونية عددهم 37 طالب وبنسبة قدرها 25%، منهم عدد 26 طالباً من الذكور، وبنسبة قدرها 17.6%، أما عدد الإناث 11 طالبة وبنسبة قدرها 7.4%، ويعود ذلك لما للكتاب التقليدي من سهولة في التعامل والاستخدام، وعدم مقدرهم على استخدام التكنولوجيا ومواكبتها، حيث لا يمتلكون المهارة التي تؤهلهم لاستخدام المصادر الإلكترونية .

بينما أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون المصادر المطبوعة والإلكترونية معاً في البحث عن المعلومات كان عددهم طالباً واحداً من الذكور، وبنسبة ضئيلة قدرها 0.7% .

جدول (8) يوضح نوع المصادر المستخدمة من قبل أفراد العينة

النوع \ الجنس	الذكور		الإناث		المجموع	النسبة
	العدد	النسبة	العدد	النسبة		
الكتب	62	%41.9	69	%46.6	131	%88.5
الدوريات	5	%3.4	2	%1.3	7	%4.7
التقارير	2	%1.3	1	%0.7	3	%2
الرسائل الجامعية	4	%2.8	2	%1.3	6	%4.1
وقائع الندوات والمؤتمرات	1	%0.7	-	-	1	%0.7
المجموع	74	50%	74	50%	148	%100

يبين الجدول (8) أن عدد أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الكتب كأكثر أنواع المصادر للبحث عن المعلومات 131 طالب، وبنسبة كبيرة قدرها 88.5%، منهم عدد 62 طالباً من الذكور، وبنسبة قدرها 41.9%، بينما الإناث عددهم 69 طالبة، وبنسبة قدرها 46.6% .

أما أفراد عينة الدراسة الذين يفضلون الدوريات عددهم 7 طلاب، وبنسبة قدرها 4.7%، منهم عدد 5 طلاب من الذكور، وعدد طالبتان من الإناث، وبنسبة قدرها 1.3%.

أما أفراد العينة الذين يفضلون استخدام الرسائل الجامعية في البحث عن المعلومات عددهم 6 طلاب، وبنسبة قدرها 4.1%، منهم عدد 4 طلاب من الذكور، وبنسبة 2.8%، بينما الإناث عددهم طالبتان من الإناث، وبنسبة قدرها 1.3%.

أما أفراد عينة الدراسة الذين يفضلون استخدام التقارير للبحث عن المعلومات عددهم 3 طلاب، وبنسبة قدرها 2%، منهم عدد طالبان من الذكور، وبنسبة قدرها 1.3%، بينما عدد الإناث طالبة واحدة، وبنسبة قدرها 0.7%.

أما أفراد عينة الدراسة الذين يفضلون استخدام الورقات البحثية المقدمة في وقائع المؤتمرات والندوات فعددهم طالب واحد من جنس الذكور، وبنسبة قدرها 0.7% .

تبين من بيانات الجدول أن هناك أقبالاً كبيراً جداً على الكتب من مصادر المعلومات؛ ويعود ذلك لانتشار نشر المعلومات في شكل كتاب أكثر من الأنواع الأخرى من مصادر المعلومات، مما جعله أكثر تداولاً وتوفراً للمستفيدين، وسهولة في الحصول عليه واقتنائه مقارنة بالأنواع الأخرى مثل الدوريات التي تصدر بشكل متواصل مما

يضطرهم إلى متابعة أعدادها باستمرار، أما بقية المصادر فاستخدامها نادر بالنسبة لأفراد العينة بسبب أنهم يعدونها مصادر أولية للمعلومات، وليست مصدراً أساساً للحصول على المعلومات.

الجدول (9) يوضح عدد أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الإنترنت للبحث عن المعلومات

الجنس / العدد	الذكور		الإناث		المجموع	النسبة
	العدد	النسبة	العدد	النسبة		
يستخدم	64	%43.2	62	%41.9	126	%85.1
لا يستخدم	10	6.8	12	%8.1	22	%14.9
المجموع	74	50%	74	50%	148	%100

يبين الجدول (9) أن أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الإنترنت في عملية البحث عن المعلومات عددهم 126 طالب، وبنسبة قدرها 41.9%، منهم عدد 64 طالباً من الذكور، وبنسبة قدرها 43.2%، بينما الإناث عددهم 62 طالبة، وبنسبة قدرها 41.9%. بينما أفراد عينة الدراسة الذين لا يستخدمون الإنترنت في البحث عن المعلومات عددهم 22 طالباً، وبنسبة قدرها 14.9%، منهم عدد 10 طلاب من الذكور، وبنسبة قدرها 6.8%، أما الإناث عددهم 12 طالبة، وبنسبة قدرها 8.1%.

تبين من الأغلبية العظمى لأفراد عينة الدراسة أنهم يستخدمون الإنترنت في البحث عن المعلومات؛ بسبب توفره في الآونة الأخيرة في منازلهم، وكذلك العدد الهائل من المعلومات التي يتيحها للطلاب، حيث أصبح العالم قرية صغيرة تتبادل المعلومات، فالإنترنت يلغي الحواجز والحدود ليسهل نقل المعلومات بأقل وقت وأقصر زمن.

الجدول (10) يوضح عدد المرات التي يستخدم فيها أفراد العينة الإنترنت للبحث عن المعلومات

الجنس / العدد	الذكور		الإناث		المجموع	النسبة
	العدد	النسبة	العدد	النسبة		
يومياً	18	%12.1	16	%10.8	34	%22.9
عدة مرات في الأسبوع	26	%17.5	28	%18.9	54	%36.4
اسبوعياً	4	%2.7	1	%0.7	5	%3.4
مرة في الشهر	6	%4.1	5	%3.4	11	%7.5
بشكل غير منتظم	10	%6.8	12	%8.1	22	%14.9
ابداً	10	%6.8	12	%8.1	22	%14.9
المجموع	74	50%	74	50%	148	%100

تبين من الجدول (10) أن عدد أفراد عينة الدراسة يستخدم الإنترنت للبحث عن المعلومات عدة مرات في الأسبوع 54 طالباً، وبنسبة قدرها 36.4%، ومنهم عدد 26 طالباً من الذكور، وبنسبة قدرها 17.5%، وعدد 28 طالبة من الإناث، وبنسبة قدرها 18.9%.

أما عدد أفراد العينة الذين يستخدمون الإنترنت للبحث عن المعلومات بشكل يومي فعددهم 34 طالباً، وبنسبة قدرها 22.9%، منهم عدد 18 طالباً من الذكور، وبنسبة قدرها 12.1%، اما عدد الإناث 16 طالبة، وبنسبة قدرها 10.8%.

أما أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الإنترنت للبحث عن المعلومات بشكل غير منتظم عددهم 22 طالباً، وبنسبة قدرها 14.9%، منهم عدد 10 طلاب من الذكور، وبنسبة قدرها 6.8%، وعدد 12 طالبة من الإناث، وبنسبة قدرها 8.1%.

وقد جاء أيضاً عدد أفراد عينة الدراسة الذين لا يستخدمون الإنترنت في البحث عن المعلومات أبداً بالعدد بنفسه 22 طالباً، وبنسبة قدرها 14.9%، منهم عدد 10 طلاب من الذكور، وبنسبة قدرها 6.8%، أما الإناث بعدد 12 طالبة، وبنسبة قدرها 8.1%.

أما عدد أفراد العينة الذين يستخدمون الإنترنت في البحث عن المعلومات مرة واحدة في الشهر فعددهم 11 طالباً، وبنسبة قدرها 7.5%، منهم عدد 6 طلاب من الذكور، وبنسبة قدرها 4.1%، وعدد 5 طالبات من الإناث، وبنسبة قدرها 3.4%.

أما عدد أفراد العينة الذين يستخدمون الإنترنت في البحث عن المعلومات بشكل أسبوعي فعددهم 5 طلاب، وبنسبة قدرها 3.4%، منهم عدد 4 طلاب من الذكور، وبنسبة قدرها 2.7%، وعدد طالبة واحدة من الإناث، وبنسبة قدرها 0.7%.

تبين أن أغلب أفراد عينة الدراسة يستخدمون الإنترنت عدة مرات في الأسبوع؛ بسبب ما للإنترنت من فائدة مهمة في البحث وتسهيل عملية الوصول إلى المعلومات بشكل أسرع وأسهل، وأكثر فاعلية، ولما يتيحه الإنترنت من كم هائل من المعلومات التي تفيد الباحثين عن المعلومات، وعلى الرغم من أهمية الإنترنت، ودوره الكبير في البحث عن المعلومات، إلا أن الجزء الأكبر منهم لا تتيح لهم ظروفهم الحياتية اليومية استخدام الإنترنت بصفة مستمرة، مما يجعلهم يستغلون أي فرصة يحصلون عليها خلال الأسبوع لاستغلاله في البحث على الإنترنت بشكل غير محدد، لما للإنترنت من دور هام في عملية البحث عن المعلومات.

الجدول (11) يوضح عدد الساعات التي يقضيها أفراد العينة
في استخدام الإنترنت للبحث عن المعلومات

الجنس / الساعات	الذكور		الإناث		المجموع	النسبة
	العدد	النسبة	العدد	النسبة		
أقل من ساعة	18	%12.1	13	%8.8	31	%20.9
من ساعة إلى ساعتين	37	%25	41	%27.7	78	%52.7
ثلاث ساعات فأكثر	9	%6.1	8	%5.4	17	%11.5
أبداً	10	%6.8	12	%8.1	22	%14.9
المجموع	74	50%	74	50%	148	%100

يبين الجدول (11) أن أفراد عينة الدراسة الذين يقضون من ساعة إلى ساعتين على الإنترنت للبحث عن المعلومات عددهم 78 طالباً، منهم عدد 37 طالباً من الذكور، وبنسبة 25%، بينما عدد الإناث 41 طالبة، وبنسبة قدرها 27.7%. بينما أفراد عينة الدراسة الذين يقضون أقل من ساعة على الإنترنت للبحث عن المعلومات عددهم 31 طالباً، وبنسبة قدرها 20.9%، منهم عدد 18 طالباً من الذكور، وبنسبة قدرها 12.1%، وعدد 13 طالبة من الإناث، وبنسبة قدرها 8.8%. أما أفراد عينة الدراسة الذين لا يستخدمون الإنترنت أبداً فعددهم 22 طالباً، وبنسبة قدرها 14.9% ، منهم عدد 10 طلاب من الذكور، وبنسبة قدرها 6.8%، أما عدد الإناث 12 طالبة، وبنسبة قدرها

8.1%. وبينما أفراد عينة الدراسة الذين يقضون عدد ثلاث ساعات فأكثر عددهم 17 طالباً، وبنسبة قدرها 11.5%، منهم عدد 9 طلاب من الذكور، وبنسبة قدرها 6.1%، أما عدد الإناث 8 طالبات، وبنسبة قدرها 5.4%.

تبين من الجدول أن أفراد عينة الدراسة أغلبهم يقضون من ساعة إلى ساعتين للبحث عن الإنترنت، بسبب عدم وجود وقت طويل من الفراغ لديهم للجلوس على الإنترنت للبحث عن المعلومات، ولعدم تفرغهم للبحث وانشغالهم في أمور حياتية، مما قد ينعكس على أفراد العينة بالسلب، ويتسبب في الحصول على معلومات ضعيفة وغيرة جيدة؛ بسبب التسرع وعدم التركيز.

الجدول (12) يوضح درجة إجادة أفراد العينة لاستخدام الإنترنت في البحث عن المعلومات

الجنس / درجة الإجادة	الذكور		الإناث		المجموع	النسبة
	العدد	النسبة	العدد	النسبة		
ممتاز	18	%12.2	12	%8.1	30	%20.3
جيد	46	%31.1	51	%34.4	97	%65.5
ضعيف	2	%1.3	5	%3.4	7	%4.7
ضعيف جداً	2	%1.3	1	%0.7	3	%2
لا يجيد	6	%4.1	5	%3.4	11	%7.5
المجموع	74	50%	74	50%	148	%100

تبين من الجدول (12) أن أفراد عينة الدراسة الذين يجيدون استخدام الإنترنت في البحث عن المعلومات بدرجة جيدة عددهم 97 طالباً، وبنسبة قدرها 65.5%، منهم عدد 46 طالباً من الذكور، وبنسبة قدرها 31.1%، أما الإناث عددهم 51 طالبة، وبنسبة قدرها 34.4%.

أما أفراد عينة الدراسة الذين يجيدون استخدام الإنترنت في البحث عن المعلومات بدرجة (ممتازة) عددهم 30 طالباً، وبنسبة 20.3%، منهم عدد 18 طالباً من الذكور، وبنسبة قدرها 12.2%، أما عدد الإناث 12 طالبة، وبنسبة قدرها 8.1%.

بينما أفراد عينة الدراسة الذين لا يجيدون استخدام الإنترنت في البحث عن المعلومات عددهم 11 طالباً، وبنسبة قدرها 7.5%، منهم عدد 6 طلاب من الذكور، وبنسبة قدرها 4.1%، وعدد 5 طالبات من الإناث، وبنسبة قدرها 3.4%.

أما أفراد عينة الدراسة الذين يجيدون استخدام الإنترنت للبحث عن المعلومات بدرجة (ضعيف) عددهم 7 طلاب، وبنسبة قدرها 4.7%، منهم عدد طالبان من الذكور، وبنسبة قدرها 1.3%، وعدد 5 طالبات من الإناث، وبنسبة قدرها 3.4%.

بينما أفراد عينة الدراسة الذين يجيدون استخدام الإنترنت للبحث عن المعلومات بدرجة (ضعيف جداً) عددهم 3 طلاب، وبنسبة قدرها 2%، منهم عدد طالبان من الذكور، وبنسبة قدرها 1.3%، وعدد طالبة واحدة من الإناث، وبنسبة قدرها 0.7%.

تبين من الجدول أن النسبة الأكبر من أفراد عينة الدراسة درجة إجادتهم جيدة في استخدام الإنترنت في البحث عن المعلومات؛ بسبب عدم خضوعهم لدورات تدريبية، أو أن المهارة التي تحصلوا عليهم ليست أكاديمية، بل هي من الممارسة المستمرة والمتواصلة لاستخدام الإنترنت، وهذا يدل على التقصير من قبل الجامعة، وعدم إدخال عملية تدريب الطلاب على كيفية استخراج المعلومات من الإنترنت، وتدريبهم على كيفية البحث عن المعلومات؛ لتنمية مهاراتهم وتطويرها.

الجدول (13) يوضح محركات بحث الإنترنت المستخدمة من قبل أفراد العينة للبحث عن المعلومات

الجنس / العدد	الذكور		الإناث		المجموع	النسبة
	العدد	النسبة	العدد	النسبة		
Google قوقل	62	%38.8	48	%30	110	%68.8
Yahoo ياهوو	14	%8.7	16	%10	30	%18.7
محركات بحث أخرى	4	%2.5	7	%4.4	11	%6.9
لا يستخدمها	4	%2.5	5	%3.1	9	%5.6
المجموع	84	%52.5	76	%47.5	160	%100

يبين الجدول (13) أن أغلب أفراد عينة الدراسة يفضلون استخدام محرك البحث Google بعدد 110 طالب، وبنسبة قدرها 68.8%، منهم عدد 62 طالباً من الذكور، وبنسبة قدرها 38.8%، بينما عدد الإناث 48 طالبة، وبنسبة قدرها 30%. بينما أفراد عينة الدراسة الذين يفضلون استخدام محرك البحث Yahoo بعدد 30 طالباً، وبنسبة قدرها 18.7%، منهم عدد 14 طالباً من الذكور، وبنسبة قدرها 8.7%، أما عدد الإناث 16 طالبة، وبنسبة قدرها 10%، وأما أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون أنواع أخرى من محركات البحث عددهم 11 طالباً، وبنسبة قدرها 6.9%، منهم عدد 4 طلاب من

الذكور، وبنسبة قدرها 2.5%، أما عدد الإناث 7 طالبات، وبنسبة قدرها 4.4%، وبينما أفراد عينة الدراسة الذين لا يستخدمون محركات البحث عددهم 9 طلاب، وبنسبة قدرها 5.6%، منهم عدد 4 طلاب من الذكور، وبنسبة قدرها 2.5%، بينما عدد الإناث 5 طالبات، وبنسبة قدرها 3.1%.

تبين أن الأغلبية العظمى من أفراد عينة الدراسة يستخدمون محرك البحث Google أكثر استخداماً في عملية البحث عن المعلومات، لأنه أكثر أنواع محركات البحث انتشاراً، وأسهلها استخداماً، خاصة أنه يتقبل جميع اللغات بما فيها العربية التي تعد لغة أفراد عينة الدراسة ، مما يتيح فرصة لاستخدامه خاصة للأفراد الذين لا يجيدون غير اللغة العربية .

الجدول (14) يوضح الصعوبات التي تواجه أفراد عينة الدراسة عند البحث عن المعلومات بالمكتبة

الجنس / الصعوبات	الذكور		الإناث		المجموع	النسبة
	العدد	النسبة	العدد	النسبة		
عدم توفر مصادر المعلومات في المكتبة	43	%29.1	30	%20.2	73	%49.3
سوء تنظيم المكتبة	13	%8.8	21	%14.1	34	%22.9
ضعف الخدمات المتوافرة بالمكتبة	8	%5.4	13	%8.8	21	%14.2
عدم وجود الخبرة الكافية لاستخدام المكتبة	3	%2	6	%4.1	9	%6.1
عدم وجود حوافز للبحث	5	%3.4	1	%0.7	6	%4.1
عدم القدرة على قراءة المصادر الأجنبية	2	%1.4	3	%2	5	%3.4
المجموع	74	%50	74	%50	148	%100

تبين من الجدول (14) أن أفراد عينة الدراسة الذين تواجههم صعوبة عدم توفر مصادر المعلومات في المكتبة أثناء البحث عن المعلومات بعدد 73 طالباً، وبنسبة قدرها 49.3%، منهم عدد 43 طالباً من الذكور، وبنسبة قدرها 29.%، أما الإناث فعددهم 30 طالبة، وبنسبة قدرها 20.2%.

أما أفراد عينة الدراسة الذين يواجهون صعوبة في البحث عن المعلومات لسوء تنظيم المكتبة عددهم 34 طالباً، وبنسبة قدرها 22.9%، منهم عدد 13 طالباً من الذكور، وبنسبة قدرها 8.8%، وعدد 21 طالبة من الإناث، وبنسبة قدرها 14.1%.

أما أفراد عينة الدراسة الذين يواجهون صعوبة في البحث عن المعلومات بسبب ضعف الخدمات المتوفرة بالمكتبات عددهم 21 طالباً، وبنسبة قدرها 14.2%، منهم عدد 8 طلاب من الذكور، وبنسبة قدرها 5.4%، وعدد 13 طالبة من الإناث، وبنسبة قدرها 8.8%.

أما أفراد عينة الدراسة الذين يواجهون صعوبة في البحث عن المعلومات بسبب عدم وجود الخبرة الكافية لاستخدام المكتبة عددهم 9 طلاب، وبنسبة قدرها 6.1%، منهم عدد 3 طلاب من الذكور، وبنسبة قدرها 2%، وعدد 6 طالبات من الإناث، وبنسبة قدرها 4.1% .

أما أفراد عينة الدراسة الذين يواجهون صعوبة في البحث عن المعلومات بسبب عدم وجود حوافز للبحث عددهم 6 طلاب، وبنسبة قدرها 4.1%، منهم عدد 5 طلاب من الذكور، وبنسبة قدرها 3.4%، وعدد طالبة واحدة من الإناث، وبنسبة قدرها 0.7%.

أما أفراد عينة الدراسة الذين يواجهون صعوبة في البحث عن المعلومات بسبب عدم مقدرتهم على قراءة المصادر الأجنبية عددهم 5 طلاب، وبنسبة قدرها 3.4%، منهم عدد طالبان من الذكور، وبنسبة قدرها 1.4%، وعدد 3 طالبات من الإناث وبنسبة قدرها 2%.

تبين أن الأغلبية العظمى من أفراد عينة الدراسة يواجهون صعوبة في الحصول على المعلومات التي يبحثون عنها؛ بسبب عدم توفر مصادر المعلومات بالمكتبة الكلية، وهذا يرجع لقلة المجموعات بالمكتبة وضعفها؛ وبسبب توقف المكتبة على التزويد بمجموعات جيدة من فترة طويلة، مما نتج عن وجود ثغرة في مقتنياتها من مجموعات مكتبية، والذي تسبب في عدم اعتماد طلبة الكلية على المكتبة بدرجة كبيرة، واعتمادهم على وسائل أخرى بديله للحصول على المعلومات التي يحتاجونها.

الجدول (15) يوضح ما يقوم بها أفراد عينة الدراسة
عندما تواجههم صعوبات في الحصول على المعلومات التي يريدونها

الجنس / العدد	الذكور		الإناث		المجموع	النسبة
	العدد	النسبة	العدد	النسبة		
شراء مصدر المعلومات الذي يبحث عنه	57	%38.5	63	%42.6	120	%81.1
التوقف عن البحث	12	%8.1	11	%7.4	23	%15.5
الاستعانة بالمتخصصين	2	%1.4	-	-	2	%1.4
وسائل أخرى	3	%2	-	-	3	%2
المجموع	74	%50	74	%50	148	%100

يبين الجدول (15) أفراد عينة الدراسة الذين يقومون بشراء مصدر المعلومات الذي يبحثون عنها إذا واجهتهم صعوبات في الحصول على المعلومات التي يحتاجونها عددهم 120 طالب، وبنسبة قدرها 81.1%، ومنهم عدد 57 طالباً من الذكور، وبنسبة قدرها 38.5%، وعدد 63 طالبة من الإناث، وبنسبة قدرها 42.6% .

أما أفراد عينة الدراسة الذين يتوقفون عن عملية البحث عند مواجهتهم للصعوبات أثناء البحث عددهم 23 طالباً، وبنسبة قدرها 15.5%، منهم عدد 12 طالباً من الذكور، وبنسبة قدرها 8.1%، وعدد 11 طالبة من الإناث، وبنسبة قدرها 7.4%.

أما أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون وسائل أخرى عند مواجهتهم لصعوبات أثناء البحث عن المعلومات عددهم 3 طلاب جلهم من الذكور، وبنسبة وقدرها 2% .

بينما أفراد عينة الدراسة الذين يستعينون بالمتخصصين عندما تواجههم صعوبات في البحث عن المعلومات عددهم 2 من الطلبة جلهم من الذكور، وبنسبة قدرها 1.4%.

تبين أن النسبة الأكبر من أفراد عينة الدراسة يقومون بشراء مصادر المعلومات التي يحتاجونها عند البحث عن المعلومات عندما تواجههم صعوبات في الحصول على المعلومات التي يريدونها، بسبب عدم إمكانيتهم التوقف عن البحث لأن الأغلبية العظمى من الطلبة يبحثون عن المعلومات لتأدية الواجبات المُكلفين بها من قبل أساتذتهم، ولعدم حرفيتهم في البحث عن المعلومات عن طريق الإنترنت.

النتائج

توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها :

1. أن أكثر الدوافع وراء بحث أفراد عينة الدراسة عن المعلومات هو البحث عن المواد المتعلقة بالمقررات الدراسية، وتلتها البحث عن متطلبات البحث العلمي .
2. تعتبر عدم إجادة أفراد عينة الدراسة للغة الأجنبية من الصعوبات التي تواجههم في البحث عن المعلومات ، حيث يعتمد غالبيتهم على اللغة العربية في مجال بحثهم عن المعلومات .
3. أن أكثر المنافذ التي يعتمد عليها أفراد عينة الدراسة للوصول إلى مصادر المعلومات هي الإنترنت ثم تلتها المكتبات .
4. هناك ضعف لدى أفراد عينة الدراسة في البحث عن المعلومات بالمكتبة ، مما يجعلهم يستعينون بالعاملين لمساعدتهم في الحصول على المعلومات .
5. أن أكثر الصعوبات التي تواجه طلبة الكلية بالمكتبة هي عدم توفر مصادر معلومات بها ، ثم سوء التنظيم .
6. أن معظم أفراد عينة الدراسة يفضلون استخدام المصادر الإلكترونية للمعلومات على المصادر المطبوعة ، أما من حيث نوع المصادر فقد تصدرت الكتب اختيارهم .
7. يعد محرك البحث جوجل من أكثر محركات البحث استخداماً في عملية البحث عن المعلومات لدى أفراد عينة الدراسة .
8. أن غالبية أفراد عينة الدراسة يقومون بشراء مصادر المعلومات التي يبحثون عنها عندما تواجههم صعوبات في الحصول على المعلومات التي يريدونها .

أ. **التوصيات :**

وقد أوصت الدراسة بعدد من المقترحات هي :

1. إجراء دراسات دورية منتظمة عن سلوكيات المستفيدين وحاجاتهم المعلوماتية ، لوضع خطط مناسبة لتلبية الاحتياجات المعلوماتية للمستفيدين .
2. تصميم، وتقديم برنامج تدريبي من قبل العاملين المتخصصين في مجال المكتبات لطلبة الجامعة عن كيفية استخدام مصادر وخدمات المعلومات بالمكتبة .
3. تزويد مكتبات الجامعة بمصادر معلومات حديثة ومتنوعة بشكل دوري ومستمر ، لتغطية احتياجات المستفيدين منها بشكل فعال .

4. الاهتمام بتدريس اللغة الانجليزية في الجامعة سواء من خلال المناهج التدريسية بالجامعة، أو إعداد سنة تحضيرية مكثفة تسبق الدراسة .
5. دعم إنشاء المكتبات الرقمية والاشتراك بقواعد البيانات لمكتبات الجامعة وإتاحتها للمستفيدين من مكتباتها .
6. عقد ورش عمل لتعليم المستفيدين مهارات البحث عن المعلومات من الوسائل التقليدية والحديثة ، وكيفية استخدام أوعية المعلومات الموجودة داخل المكتبة واستخراج المعلومات منها .

الهوامش:

[1] – عبد الله محمد الشريف. مناهج البحث العلمي: دليل الطالب في كتابة وإعداد الأبحاث والرسائل العلمية.ــ ط3، مزيدة ومنقحة.ــ طرابلس: منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام، 2008، ص 25.

[2] – إيمان فاضل السامرائي، يسري أحمد أبوعجمية. قواعد البيانات ونظم المعلومات في المكتبات ومراكز المعلومات.ــ عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2005، ص 18.

[3] – سوسن طه. "استخدام أعضاء هيئة التدريس لمصادر المعلومات الببليوغرافية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة". مجلة المكتبات والمعلومات العربية. س 19، ع4، اكتوبر 1999، ص ص 120.

[4] – ربحي مصطفى عليان، عثمان غنيم. أساليب البحث العلمي: الأسس النظرية والتطبيق العلمي.ــ ط2، مزيدة ومنقحة.ــ عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، 2008، ص 52.

[5]– محمد رشيد . سلوك المستفيدين في البحث عن المعلومات لدى طلبة الدراسات العليا في أقسام اللغة الانكليزية .ــ بغداد : الجامعة المستنصرية – كلية الآداب ، 2000 – رسالة ماجستير .

[6]– منصور بن علي الشهري. سلوكيات البحث عن المعلومات والحاجات المعلوماتية لطلاب الدراسات العليا بالكليات النظرية في جامعة الملك سعود : دراسة تحليلية.ــ الرياض: جامعة الملك سعود– كلية الآداب، 2009– أطروحة دكتوراه.

[7] – حمد بن إبراهيم العمران. "السلوكيات المعلوماتية لدى طلاب الدراسات العليا في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية" .مجلة المكتبات والمعلومات العربية. س 30، ع 3، 2010.

[8] ثروت عبدالعزيز سالم بصفر. سلوكيات الحث عن المعلومات في البية الرقمية لدى طالبات التعليم العام.ـ الرياض: جامعة الملك عبدالعزيز– كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2013– رسالة ماجستير.

[9] – جواهر عبدالله فرحان الفيفي. سلوك البحث عن المعلومات لدى الصحفيين لمؤسسة عكاظ للصحافة والنشر: دراسة مسحية.ـ الرياض: جامعة الملك عبدالعزيز – كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2014 – رسالة ماجستير.

[10] – هتهات محمد. سلوكيات الأساتذة الباحثين للوصول إلى المعلومات في البيئة الرقمية: الأساتذة الباحثون بجامعتي الجلفة والأغواط أنموذجاً.ـالجزائر: جامعة وهران – كلية الآداب، 2015– رسالة ماجستير.

[11] - Kleopatra Nikolopoulou, Vasilis Gialamas. "Undergraduate students' information search practices". Themes in Science and Technology Education. 4(1), 2011, p p 21-32. http://earthlab.uoi.gr/thete/index.php/theste

[12]- Meng, Jung Tsai. Jyh, Chong Liang. Huei, Tse Hou and Chin, Chung Tsaz ." University students' online information searching strategies in different search contexts". Australasian Journal of Educational Technology.28(5), 2012, p p 881-895. http://www.ascilite.org.au/ajet/ajet28/tsai-mj.html

[13]- Ilogho, Julie. and Nkiko, Christopher, "Information Literacy Search Skills of Students in Five Selected Private Universities in Ogun State, Nigeria: A Survey". Library Philosophy and Practice (e-journal). 1040. 2014, p p 1 – 22, http://digitalcommons.unl.edu/libphilprac/1040

[14] – أحمد أنور بدر . " المعلومات وعلم المعلومات في التسعينيات : أضواء من الإنتاج الفكري الأجنبي " . مجلة المكتبات والمعلومات العربية . س 16 ، ع3 ، يونيو 1996 ، ص 9

[15] – عامر قنديلجي ، إيمان السامرائي . قواعد وشبكات المعلومات المحوسبة في المكتبات ومراكز المعلومات .ـــ عمان : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 2000 ، ص 19

[16] – محمد فتحي عبد الهادي . المكتبات والمعلومات : دراسات في الإعداد المهني والببليوجرافي للمعلومات .ـــ القاهرة : مكتب الدار العربية للكتاب ، د:ت ، ص 19 .

[17] – محمد أحمد جرناز. أهمية المعلومات ودورها في البحث العلمي: الندوة العلمية الأولى لقسم المعلومات بأكاديمية الدراسات العليا بالتعاون مع مركز الدراسات والبحوث.ـ طرابلس: أكاديمية الدراسات العليا، 15 – 17 ديسمبر 2003، ص 209.

[18] – محمد أحمد جرناز. "المعلومات والبحث العلمي". الجامعي. ع6، 2004، ص 209 .

[19] – منى ميلود غريبه. "الأمية المعلوماتية" . مجلة المكتبات والمعلومات. ع2، 2010، ص ص 62 – 64.

[20] – نوال عبد العزيز راجح . "اتجاهات عضوات هيئة التدريس نحو استخدام قواعد المعلومات الببليوجرافية بجامعة الملك عبد العزيز" . مجلة الملك فهد الوطنية . مج9 ، ع1 ، أغسطس 2003 ، ص 166 .

[21] – حسين الأنصاري ، فيفيان رمزي . "استخدام المكتبة وسلوك البحث لدى طلاب العلوم الصحية والتمريض بجامعة الكويت" . مجلة المكتبات والمعلومات العربية . مج 21، ع3 ، يوليو 2001 ، ص 66

المراجع

أولاً الكتب:

- إيمان فاضل السامرائي، يسري أحمد أبوعجمية. قواعد البيانات ونظم المعلومات في المكتبات ومراكز المعلومات.ــ عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2005.
- ربحي مصطفى عليان، عثمان غنيم. أساليب البحث العلمي: الأسس النظرية والتطبيق العلمي.ــ ط2، مزيدة ومنقحة.ــ عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، 2008.
- عامر قنديلجي ، إيمان السامرائي . قواعد وشبكات المعلومات المحوسبة في المكتبات ومراكز المعلومات .ــ عمان : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 2000.
- عبد الله محمد الشريف. مناهج البحث العلمي: دليل الطالب في كتابة وإعداد الأبحاث والرسائل العلمية.ــ ط3، مزيدة ومنقحة.ــ طرابلس: منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام، 2008.
- محمد فتحي عبد الهادي . المكتبات والمعلومات : دراسات في الإعداد المهني والببليوجرافي للمعلومات .ــ القاهرة : مكتب الدار العربية للكتاب ، د:ت.

ثانياً مقالات وبحوث الدوريات:

- أحمد أنور بدر. " المعلومات وعلم المعلومات في التسعينيات : أضواء من الإنتاج الفكري الأجنبي ". مجلة المكتبات والمعلومات العربية . س 16، ع3، يونيو 1996، ص ص 8 – 23.
- حسين الأنصاري ، فيفيان رمزي . "استخدام المكتبة وسلوك البحث لدى طلاب العلوم الصحية والتمريض بجامعة الكويت" . مجلة المكتبات والمعلومات العربية . مج 21، ع3 ، يوليو 2001، ص ص 53 – 76.

- حمد بن إبراهيم العمران. "السلوكيات المعلوماتية لدى طلاب الدراسات العليا في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية" .مجلة المكتبات والمعلومات العربية. س 30، ع 3، 2010، ص ص 5 – 36.
- سوسن طه. "استخدام أعضاء هيئة التدريس لمصادر المعلومات الببليوغرافية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة". مجلة المكتبات والمعلومات العربية. س 19، ع4، اكتوبر 1999، ص ص 119 – 175
- محمد أحمد جرناز. "المعلومات والبحث العلمي". الجامعي. ع6، 2004، ص ص 205 – 223.
- منى ميلود غريبه. "الأمية المعلوماتية" . مجلة المكتبات والمعلومات. ع2، 2010، ص ص 62 – 64.
- نوال عبد العزيز راجح . "اتجاهات عضوات هيئة التدريس نحو استخدام قواعد المعلومات الببليوجرافية بجامعة الملك عبد العزيز" . مجلة الملك فهد الوطنية . مج9 ، ع1 ، أغسطس 2003، ص ص 165 – 199.

ثالثاً الرسائل العلمية:

- ثروت عبدالعزيز سالم بصفر. سلوكيات الحث عن المعلومات في البية الرقمية لدى طالبات التعليم العام.ـ الرياض: جامعة الملك عبدالعزيز– كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2013– رسالة ماجستير.
- جواهر عبدالله فرحان الفيفي. سلوك البحث عن المعلومات لدى الصحفيين لمؤسسة عكاظ للصحافة والنشر: دراسة مسحية.ـ الرياض: جامعة الملك عبدالعزيز – كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2014 – رسالة ماجستير.
- محمد رشيد . سلوك المستفيدين في البحث عن المعلومات لدى طلبة الدراسات العليا في أقسام اللغة الانكليزية .ـــ بغداد : الجامعة المستنصرية – كلية الآداب ، 2000 – رسالة ماجستير .
- منصور بن علي الشهري. سلوكيات البحث عن المعلومات والحاجات المعلوماتية لطلاب الدراسات العليا بالكليات النظرية في جامعة الملك سعود : دراسة تحليلية.ـ الرياض: جامعة الملك سعود– كلية الآداب، 2009– أطروحة دكتوراه.

- هتهات محمد. سلوكيات الأساتذة الباحثين للوصول إلى المعلومات في البيئة الرقمية: الأساتذة الباحثون بجامعتي الجلفة والأغواط أنموذجاً.ـالجزائر: جامعة وهران – كلية الآداب، 2015- رسالة ماجستير.

رابعاً أعمال المؤتمرات العلمية :

- محمد أحمد جرناز. أهمية المعلومات ودورها في البحث العلمي: الندوة العلمية الأولى لقسم المعلومات بأكاديمية الدراسات العليا بالتعاون مع مركز الدراسات والبحوث.ـ طرابلس: أكاديمية الدراسات العليا، 15 – 17 ديسمبر 2003.

خامساً: المراجع الأجنبية:

- Ilogho, Julie. and Nkiko, Christopher, "Information Literacy Search Skills of Students in Five Selected Private Universities in Ogun State, Nigeria: A Survey". Library Philosophy and Practice (e-journal). 1040. 2014, p p 1 – 22, http://digitalcommons.unl.edu/libphilprac/1040
- Kleopatra Nikolopoulou, Vasilis Gialamas. “Undergraduate students’ information search practices”. Themes in Science and Technology Education. 4(1), 2011, p p 21-32. http://earthlab.uoi.gr/thete/index.php/theste
- Meng, Jung Tsai. Jyh, Chong Liang. Huei, Tse Hou and Chin, Chung Tsaz .”University students’ online information searching strategies in different search contexts”. Australasian Journal of Educational Technology.28(5), 2012, p p 881-895. http://www.ascilite.org.au/ajet/ajet28/tsai-mj.html